متن جامع في التصوف

الرسالة المكية

تأليف

العارف بالله

الشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره

(المتوفى: ٧٨٠هـ)

إشراف

الداعية الإسلامي

الشيخ أبو سعيد إحسان الله المحمدي

أطال الله بقاءه

تحقيق وتخريج

الأستاذ غلام مصطفى الأزهري والأستاذ ضياء الرحمن العليمي

مراجعة

الأستاذ أبو سعد حسن سعيد الصفوي

SHAH SAFI ACADEMY

أكاديمية شاه صفي

أكاديمية شاه صفي

أكاديمية شاه صفي قد أسسها العارف بالله الداعية الإسلامي الشيخ أبو سعيد إحسان الله المحمدي حفظه الله سنة ٢٠٠٨م لنشر كتب التصوف القديمة منها والجديدة في أساليب معاصرة مع ترجمة وتحقيق وترتيب جديد، وإشاعة أفكار الصوفية والقيم الدينية الروحية العالية عن طريق الكتب والصحف في لغات شتى من العربية والأردية والإنكليزية. وبحمد الله قد نشرت هذه الأكاديمية كتبا عديدة ومجلات مختلفة، وقامت بدور بارز في هذا المجال في مدة قليلة.

الكتاب: الرسالة المكية

Title: Al-Risalah Al-Makkiah

التصنيف: التصوف

Classification: Tasawwuf

المؤلف: الشيخ قطب الدين الدمشقي

Author:Al-Shaikh Qutbuddin Al-Damishqui

سنة الطباعة: ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦ م

Year: 2016 A.D 1437 H

الطبعة: الأولى

Edition : 1st

ثمن النسخة

في الهند: ٢٠٠ ₹

خارج الهند: ١٠ $

978-93-81942-18
50000
9 789381 942185 50000

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم:

Shah Safi Academy
A/C-22631450000118
IFSC CODE HDFC 0002263
(HDFC,Akbarpur-Sallahpur,Allahabad)

عنوان المراسلات

SHAH SAFI ACADEMY
Jamia Arifia
Saiyed Sarawan
Kaushambi, Allahabad
U. P. Pin. 212213 INDIA
E-mail:shahsafiacademy@gmail.com
Mob: +919026981216

الإهداء

إلى

قطب الأقطاب وارث الأنبياء والمرسلين الإمام الفقيه الأصولي

الشيخ سعد الدين الخير آبادي

قدَّس الله روحه وأُوصل إلينا فتوحه

المتوفى سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م

قد أفلح من تزكى

كلمات

عن الطبعة الثانية

حسن سعيد الصفوي

الحمد لله رب العالمين حمدًا دائمًا طيِّبًا ، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأمين، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإن " أكاديمية شاه صفي" لا تزال تواصل مسيرتها إلى الأمام، وتقطع أشواطها نحو هدفها المنشود وتستمر على دأبها وديدنها، حيث إنها تقدم إلى قرائها كنوزًا علميًّا في حين، وكتبًا نوادر في حين آخر، لا سيِّما كتب التصوف والتزكية والأخلاق. وفي هذا الانطلاق هي أخرجت "الرسالة المكية " التي هي متنٌ جامعٌ في التصوف في عام ٢٠١٤م مع مجلة الإحسان التي تصدر من نفس الأكاديمية حَولِيةً باسم العدد الخاص لها. فهي لقت تجاوبًا وقبولًا بين الأوساط العلمية، حتى نفدت طبعتها الأولى بأسرع وقت، ثم بدت حاجة العلماء والعرفاء لها، فمنهم من ألحّ على الداعية الإسلامي الشيخ أبي سعيد ـ شيخ الجامعة العارفية، أدامه الله وأطال بقائه ـ إعادة طبعها الجديدة، وأصرُّوا على ذلك، فأمر الشيخ لفيفًا من الباحثين بإعادة طبعها، فشعرت الأكاديمية شِدَّة احتياج الناس إليها، وعظم وُلوعِهم بها، فقام القائمون عليها بإعادة النظر فيها فحصًا وتدقيقًا وتنقيحًا وتهذيبًا، واقتضت إعادة النظر فيها أن يضيفوا إليها ما رأوه ضروريًا، وأن يوضحوا ما وجدوه في حاجة إلى إيضاح، وأن يبسطوا ما هو في حاجة إلى بسط ليكتمل بذلك – والكمال لله وحده – تحقيق الغرض والفائدة المرجوة من الكتاب. فها هي بين أيديكم طبعتها الثانية .

وفي الختام نشكر شكرًا جزيلًا لفضيلة الأستاذ الدكتور إبراهيم صلاح الهدهد ـ رئيس جامعة الأزهر الشريف ـ والأستاذ الدكتور حسن نجار الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف، حيث راجعاها مراجعةً دقيقةً، وقرّظا عليها تقريظًا مفيدًا نافعًا. فبارك الله فيهما ، وشكر سعيهما .

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بها، ويتقبلها، ويتقبل منا هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزينا به خير الجزاء.

*****

الرسالة المكية تهدي إلى المعرفة بأنواعها

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / إبراهيم صلاح الهدهد
رئيس جامعة الأزهر، وعضو مجمع البحوث الأسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله عظيم الشأن، جليل البرهان، الممتن على عباده بالإيمان، والصلاة والسلام على خير الأنام، إمام الأنبياء وسيد الأتقياء، وبعد

فإن «أكاديمية شاه صفي» تتحف قارئيها، وتغذي بهذا السفر النفيس، الكاشف عن معنى السلوك والوصال، وطرائقهما، وعلوم الأحوال، وحاجات المريدين، وصفات الشيخ، وطرائق اختياره، وظهور الأنوار من وراء الأستار، والطريق الممهود إلى حصول المقصود من رضا رب الوجود، وضرورة الخلوة، لحصول الجلوة، ومناهج الأنبياء والمرسلين، في اعتزال العالمين في الخلوات، وبها تحصل المجاهدات، كما عرج هذا السفر النفيس على طرائق الذكر والتلقين، وشرائط الذكر وفضائل الذاكرين عند رب العالمين، كما أنه يهدي إلى تدريب المريد على صرف الشيطان المريد، كما عرض للخواطر وسوانحها، والمشايخ وشرائطها، وكل ذلك على نور من الكتاب والسنة، وعمل السلف الصالح.

كما أن هذا السفر يمتعك بما يجب على السالك إلى رب الممالك، كاشفا عن مقاماته، مبينا آدابه، ومحاوراته، منبها إلى احترام المريد شيخه ظاهرا وباطنا، واغتنامه أفضل الأوقات وحسن استثمارها، وبين أهمية ترويض النفس على المجاهدة، ومراعاة النفس وأخلاقها، وأهم الطرائق في كبح جماحها.

وهذا السفر يهدي إلى المعرفة وأنواعها، وما يجب على السالك في شأنها، وفرّق بين الحق والحقيقة في اصلاح الصوفية، وعقد بابا في الوصية، وكشف عن معنى الوصل، وأركان الوصال، ودور المكاشفات في حياة السالك والمجاهدة إلى آخر ذلك من رياضات النفس التي بها يرقى السالك معارج القبول، وينخرط في سلك العارفين، ويرتاد بستان المحبين، وقد جاء ذلك كله في أسلوب جذاب ميسور، ولفظ قريب مقبول بأخضر طريق إلى تحقيق المقصود.

هذا، ولقد وفى محقق الكتاب الأستاذ غلام مصطفى الأزهري هذا الكتاب حقه، وبذل جهدا طيبا يذكر له فيشكر عليه، إذ جعل هذه النسخة نتيجة مقابلة لنسخ كثيرة للكتاب بلغت ست نسخ، وكانت عنايته بالنص ذاته، فجاء النص دقيقا، ولم يكن شأنه شأن بعض المحققين الذي يعتني بالحاشية ويثقل كاهله، ولكنه كان يحشّى بالقدر الذي يعين على فقه النص، فكانت صحة النص غرضه الأسمى، ومقصده الأسنى، كما يحمد له ضبط الآيات وإثباتها بالرسم العثماني، كما اعتنى بضبط النصوص النبوية، وعني بعزوها، وبيان درجتها في كثير من الأحيان، كما كان اهتمامه بعلامات الترقيم المعينة على فقه النص واضحا جليا، وإني أزجي الشكر لمن اختار هذا السفر للطباعة والتوزيع ، كما أقدم جزيل الشكر لمن حقق، ولكل القائمين على «أكاديمية شاه صفي» أسكنهم الله جميعا دار الجنان، ورزقهم حب النبي العدنان، إنه ولي ذلك والقادرعليه.

*****

كتاب جامع

لكل ما يلزم السالك معرفته

فضيلة الأستاذ الدكتور / حسن نجار محمد

كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد :

فإن كتاب " الرسالة المكية " للشيخ العالم الرباني قطب الدين الدمشقي، من أمتع كتب التصوف، فهو كتاب جامع لكل ما يلزم السالك معرفته، فلا يسع طالب التصوف المبنيّ على العلم والفقه إلا معرفة كل ما جاء في هذا الكتاب، فهو كتاب يغني عنه غيره في الوقت الذي لا يغني غيره عنه!!

وممّا يلفت النّظر أن المؤلف يبني كلامه في مبادئ التصوف على أصول من الكتاب والسنة، ويربط بين تلك المبادئ وهذه الأصول بطريقة سَلِسَة، مثل قوله: قال بعضهم: " العمل بحركات القلوب أشرف من العمل بحركات الجوارح؛

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لَرَجَحَ" ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما فاق أبو بكر بكثرة الصلاة والصيام ولكن بشىءٍ وقَر في قلبه "؛ ولهذا ظهر من حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يظهر من حال غيره حين صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "من كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم؛ فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت" .

ومثل قوله: " اعلم أن الإنسان عبارة من جملة ظاهره وباطنه، ولكل واحد منهما لباس يختص به ؛ قال الله تعالى: (ولباس التقوى ذلك خير) " الأعراف ٢٦ "، أما ظاهره فالبدن، ولباسه ما أجازته الشريعة، وهو الخرقة ....." .

والكتاب بتلك المقاربات الربانية بين تلك النصوص ومبادئ التصوف، مقاربات مبنية على فهم صحيح ونظر ثاقب يستمدّ صاحبه من عطاءٍ ربانيٍّ ونور إلهيٍّ !!

ولن يستقم أمر التصوف وأتباعه إلا باتباع وتطبيق مثل ذلك المنهج.

وأسلوب المؤلف غاية في التقريب والتيسير، ففي كثير من المواطن يعتمد على الأسلوب الحواريّ المبنيّ على طرح سؤالٍ والإجابة عنه ؛ مثل قوله : " فإن قيل: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " ؛ يقال – والله أعلم– أراد به ثمرة الإسلام" ؛

وخلاصة القول أن من أراد أن يعرف التصوف الصحيح المبنيّ على أصول من الكتاب والسنة فعليه إدماء قرأة هذا الكتاب !!

ويرجع الفضل – بعد الله تعالى – في إخراج هذا الكتاب إلى العلامة النوراني الشيخ أبي سعيد إحسان الله المحمدي، شيخ الجامعة العارفية في الهند، فله الشكر، وجزاه الله خيرا على جهوده المتواصلة للتعريف بالتصوف الصحيح.

يوم الإثنين ١٨ شعبان ١٤٣٥ هـ

١٦ / ٦ / ٢٠١٤ من الميلادي

الرسالة المكية وصاحبها

ضياء الرحمن العليمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منّ على المؤمنين بظاهر أفضاله، فأرسل الرُّسُلَ هدايةً للبشر إلى الطريق القويم بعميم ألطافه، والصلاة والسلام على برهان الحق والهدى، سيدنا ومولانا محمد المصطفى، وأحمد المجتبى، المبعوث إلى الخلق خاتم النبيين، ورحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وخلفائه الذين ورثوا منه العلم والإيمان، والحكمة والفرقان، فأصبحوا للمذنبين كهف الأمان، وللسالكين مرشدين إلى المنزل والمقام، نفعنا الله تعالى بهم في الدنيا والآخرة.

أما بعد؛ فقد أمرني سيدي الداعية الإسلامي الشيخ أبو سعيد إحسان الله المحمدي ــ حفظه الله ــ أن أكتب سطورًا عن التعريف بالرسالة المكية ومؤلفها وأجمع ما وجدتها من درر الفرائد ولآلي الفوائد أثناء بحثي عن الرسالة المكية ومؤلفها، فأولا أتحدث عن الرسالة المكية وأهميتها فيما بين التراث الصوفي فأقول:

الرسالة المكية:

هذه الرسالة ألفها الشيخ الكبير والمرشد العظيم قطب الدين الدمشقي ــ قدس الله سره ــ. وهي رسالة جامعة لأصول التصوف وفروعه وتأخذ بأيدي السالكين إلى معالم الطريق ومناهج السبيل، ولا زالت هذه الرسالة منذ أول يومها معروفة لدى الطالبين والسالكين، وكم من طالب سلك بها إلى المطلوب، وكم من سالك وصل بها إلى المحبوب، وكم من واصل تسنى له بها الخوض في بحار الذات والصفات، ففازوا بدُرَرِ المعارف ولآلي الحقائق.

وامتازت هذه الرسالة بأن لها صلة خاصة بالهند، ولعلماءها وصوفيتها اهتمام كبير، فلا برحت في الهند خصوصا تعد من أمهات كتب التصوف ومصادره؛ ولذلك ورد ذكرها في كثير من مهمات كتب التصوف ومجموعات ملفوظات المشايخ عبر العصور، وإن الأعلام من الصوفية لم يذكروا اسمها فحسب، بل نقلوا منها مباحث كثيرة وذكروها في مواضع التمسك والاستدلال. فقد نجد ذكرها في "اللطائف الأشرفية"، وهي مجموعة لملفوظات الشيخ العارف القدوة السيد الشريف أشرف السمناني الكشوشوي (***KICHAUCHAVI***) قدس الله سره (٨٠٨هـ)

وهو من أعلام التصوف في القرن الثامن الهجري في الهند، وقد جاء فيها ذكر الرسالة المكية في عدة مواضع ونقلت فيها مباحث عديدة منها، فمثلا في اللطيفة السادسة – وهي تتعلق بشرائط المشيخة والاقتداء بالمشايخ وآداب المريد والمرشد – نقل جامع اللطائف الشيخ نظام اليمني قدس الله سره عن شيخه العارف أشرف السمناني الكشوشوي أنه قال نقلا عن الرسالة المكية: لا بد للمريد من شيخ كامل يقتدي به؛ لأنه رفيق في الطريق إلخ.

ونقل الجامع عن شيخه ههنا بابًا كاملًا من الرسالة المكية. (ينظر اللطيفة : ٦)

وقد ظفرت بهذا النص في الرسالة تحت باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل (ينظر ص:٤٥)

وقد ورد ذكر الرسالة في مبحث ذكر النفي والإثبات فنقل الجامع قدس الله سره ههنا مبحثا من الرسالة بواسطة شيخه فقال: وكل قلب أحبّه الله وارتضاه، وقربه وأدناه، وأراد أن يوصله إلى مقام النبوة إن كان في زمانه، أو مقام الولاية فهو تعالى يسلط الذكر على ذلك القلب. (اللطيفة: ٩)

وهذه العبارة قد وجدتها في الرسالة تحت فصل في الذكر وفي أن صلاح القلب بواسطة الذكر. (ينظر ص: ٧٠)

وفي موضع آخر نقل الجامع قدس الله سره سؤالا أثير من قبل أحد من الحضور في مجلس شيخه، وبيانه أنه سئل: أن الشيخ العارف قطب الدين الدمشقي قدس الله سره قال في الرسالة المكية: "إذا وصل المريد إلى الشيخ يحتاط ويجتهد في معرفة الشيخ أنه هل يصلح للمشيخة و يجوز الاقتداء به؟ فإنَّ أكثر الطالبين هلكوا في هذا المنزل". فقوله هذا يدل على أن معرفة المشايخ لا يمكن بدون نور المعرفة، فكيف يتيسر للمريد المبتدي معرفة المشايخ وهو لا يعرف شيئا من هذه الأمور؟

فأجاب عليه الشيخ السمناني ناقلا عن الرسالة المكية أنه جاء فيها: فإن كان مبتديًا يعرف ذلك من أفواه الناس ومن أحوال الجماعة الذين يقتدون به، يحبونه ولاينكرون عليه. (اللطيفة : ٦)

وما ذكر من النص تحت السؤال والجواب وجدته في الرسالة تحت فصل في أن يحتاط المريد في اختيار الشيخ (ينظر ص: ٤٧)

أقول: هذا يدل على أن الرسالة المكية كانت متداولة في الهند فيما بين المريدين والسالكين والأوساط الصوفية عامة في ذلك الزمان، وعلى أن الشيخ السمناني قدس الله سره كان يذكرها وينقل منها كثيرًا في مجالسه، ولعله قد حصل له التعرف بهذه الرسالة بواسطتين:

الأولى: أنه رحل كثيرًا فطاف الإيران ، والروم، والعراق، وتركيا، ودمشق، والبلاد العربية الأخرى، وزار الحرمين الشريفين مرَّتين، والشيخ قطب الدين الدمشقي كان من العلماء المجاورين

لبيت الله الحرام، وألفت الرسالة المكية في مكة - زادها الله شرفًا-، وزمانه أيضا أقرب من المؤلف وتأليف رسالته، فقد توفي الشيخ السمناني عام ٨٠٨هـ، والشيخ الدمشقي في٧٨٠هـ، وكانت الرسالة متداولة في مكة، بين علماءها وصوفيتها، فلعله تعرف بها في مكة بواسطة علماءها أو أثناء رحلته إلى دمشق، فالمؤلف ينتسب إلى مدينة دمشق والرسالة أيضا قد استدركت وزيدت فيها بتلك المدينة.

الثانية: أن الشيخ السمناني قد لقي السيد الشريف الإمام جلال الدين الحسين أحمد بن الحسين البخاري قدس الله سره (٧٠٧-٧٨٥ هـ) في ملتان، أثناء رحلته إلى الهند ومكث في صحبته وسمع منه وحصل على كثير من مقامات الفقر والتصوف، وكان للسيد المخدوم البخاري صلة عميقة بالرسالة ومؤلفها كما سيأتي ذكره. وكان يدرّسها في مجالسه، فيمكن أنه قد حصلت له المعرفة بالرسالة في مجالسه.

محصول الكلام أن الرسالة المكية ما برحت تعتبر من الكتب المرجعية في التصوف في الهند فيما بين الأوساط العلمية عامةً والصوفية خاصةً عبر العصور، وقد ذكرتُ ههنا الشيخ السمناني فحسب، ولو شئت لأوردت من عدد كبير لأعلام الصوفية أنهم قد استفادوا من هذه الرسالة وذكروها في مجالسهم، ونقلوا منها مباحث ومعارف.

ولأجل هذا القبول العظيم لها فيما بين الناس وكونها كثيرة الفائدة عظيمة النفع نقل بعض فصولها إلى اللغة الفارسية وهذّبها الشيخ رشيد أحمد الجنجوهي (١٣٢٣هـ) وسمّاها بـ"إمداد السلوك" انتماء إلى شيخه العارف الكامل إمداد الله السهارنفوري مولدًا والمكي مدفنًا (١٣١٧هـ)، وترجمها تلميذه ومريده محمد عاشق إلهي الميرتي (**MEERUTI**) (١٤٢٢هـ) بالأردية بعنوان "إرشاد السلوك".

ولكن مما يؤسف له أن الرسالة المكية لم تطبع حتى الآن أصلًا أو ترجمة حتى فاز بهذا الشرف أكاديمية شاه صفي التابعة للزاوية العارفية، سيد سراوان، ألله آباد، الهند، أنها قامت بترجمة الرسالة كاملا باللغة الأردية كما قامت بطبعها بالعربية أيضًا وستقوم بطبع ونشر تلك الترجمة إن شاء الله تعالى أيضا.

بعض أهم مصادر الرسالة المكية

من الطبيعي أنه يتأثر كل مؤلف في تأليفه بمن سبق قبله من المؤلفين وكتاباتهم، وبناء على ذلك إذا درسنا الرسالة المكية وجدنا أن مؤلفها استفاد كثيرا من الكتابين التاليين:

١. آداب المريدين للشيخ أبي النجيب السهروردي.

٢. فوائح الجمال وفواتح الجلال للشيخ نجم الدين الكبرى. وصاحب الرسالة أيضا ينتمي إلى الطريقة السهروردية الكبروية.

٣. عوارف المعارف للشيخ شهاب الدين السهروردي.

وها أنا أقص عليكم بعض التفاصيل حتى يتبين الكلام ويتضح المرام.

آداب المريدين : هذا الكتاب كما هو معلوم عند من له أدنى إلمام بالتصوف أنه للشيخ عبد القاهر أبي النجيب السهروردي (٥٦٣هـ) ـ قدس الله سره ـ وهو من مشايخ صاحب الرسالة وإليه يتسلسل سنده في تلقين الذكر عن طريق عمار بن ياسر البدليسي (٥٨٢هـ). عندما درسنا الرسالة المكية وقابلناها بآداب المريدين انكشف لنا أن الرسالة المكية مصدرها الأكبر آداب المريدين، فقد أخذ منها مؤلفها فصولا واقتباسات طويلة أذكر نبذة منها فيما يلي:

جاء في الرسالة المكية (ص:١٠٧) فصل في ذكر آدابهم ومحاوراتهم. وهذا الفصل برمته مأخوذ من آداب المريدين.

وجاء فيها (ص:٨١) فصل في قصد المريد إلى الشيخ العارف، وما ذكر تحت هذا الفصل كله منقول مما ذكر في آداب المريدين تحت فصل في ذكر آدابهم في حال البداية.

وجاء فيها أيضا (ص: ١١٣): ويجب على المريد أن لا يخلو ظاهره من الأوراد وباطنه من الإرادات إلى أن ترد عليه الواردات ، فحينئذ يكون مع الواردات لا مع الأوراد ولا مع الإرادات.

وهذا النص بعينه موجود في آداب المريدين تحت الفصل السابق (ينظر ص: ٣١، دار الكتب العلمية، بيروت)

وورد فيها أيضا (ص: ١١٣): وقال بعض المشايخ: إذا رأيت المريد قائما مع الشهوات، طالبا لحظوظ النفس فاعلم أنه كذاب، وإذا رأيت المتوسط غافلا عن حفظ قلبه ومراعاة أحواله فاعلم أنه كذاب، وإذا رأيت من يشير إلى المعرفة ويميز بين المدح والذم والقبول والرد فاعلم أنه كذاب.

هذا النص أيضًا إلى آخر الفصل مذكور في الآداب تحت الفصل السابق (ينظر: نفس المصدر) وهناك نصوص أخرى توجد في الرسالة وهي مأخوذة من الآداب ولكن اكتفينا بهذا القدر اجتنابًا من الإطناب الممل.

فوائح الجمال وفواتح الجلال : هذا الكتاب للشيخ أبي الجنّاب نجم الدين الكبرى الخيوقي الخوارزمي وهو أيضًا من شيوخ صاحب الرسالة، وإليه يصعد سنده في تلقين الذكر عن طريق تلميذه مجد الدين البغدادي .

وعندما تيسرت لي مطالعة هذا الكتاب فوجئت أن صاحب الرسالة قد أخذ كثيرا من هذا الكتاب ونقل عنه عدة نصوص في رسالته. فجاء في الرسالة :

أقرب الطرق إلى حصول المقصود وهو ثماني شرائط: دوام الطهارة ، ودوام الصوم ، ودوام السكوت، ودوام الخلوة ، ودوام الذكر، وهو قول لاإله إلا الله ، ودوام نفي الخواطر، ودوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه حتى يفنى تصرفه في تصرف الشيخ، ودوام ترك الاعتراض على الله تعالى في كل مايرد منه عليه، ضرا كان أو نفعا ، وترك السوال عنه من جنة أو تعوذ من نار . (ص: ٥٢)

هذه العبارة موجودة في فوائح الجمال تحت عنوان: طرق المجاهدة (ينظر: ص:١٢٤،١٢٥ ط: دار السعاد الصباح)

وورد فيها أيضا : وفيضان النفس على الوجود وتربيته منها ، فإذا صفت وزكت أفاضت عليه الخير ، فينبت منه الخير، وإن أفاضت عليه الشر فكذلك ينبت منه الشر. (ص:٥١)

هذا النص بكامله موجود في الفوائح تحت عنوان: فروق (ينظر: ص : ١٢٦)

وورد فيها أيضا: جاء عن عيسى عليه السلام أنه كان نائما متوسدا بلبنة فسهر من منامه فإذا اللعين عند رأسه فقال له : ماجاء بك إليّ ؟ فقال: طمعت فيك. فقال يا ملعون! أنا روح الله كيف تطمع فيّ؟ فقال: إنك أخذت قماشي فطمعت فيك، فقال: وما ذاك القماش؟ فقال: هذه اللبنة تحت رأسك فرماها عيسى عليه السلام حتى فارقه الشيطان . (ص: ١١٦)

هذه العبارة بكمالها مدرجة في الفوائح تحت عنوان "رواية" (ينظر: ص: ١٤٣)

هذه عدة نصوص اقتطفها صاحب الرسالة من فوائح الجمال، وأما مضامين الرسالة فهي منقولة بكثرة من فوائح الجمال، ولا يخفى ذلك على من طالع الكتابين وقابلهما بكل إمعان.

وكذلك أخذ صاحب الرسالة عديدا من الأقوال والمباحث من العوارف وأشار إليه بقوله قال صاحب العوارف، أو وفي العوارف.

هذا ما وصلنا إليه حتى الآن في البحث عن أهم مصادر الرسالة المكية.

اهتمام مشايخ الطريقة الجشتية الجلالية المينائية الصفوية بالرسالة:

بالإضافة إلى أن الأوساط العلمية والصوفية عامة قد تناولت الرسالة بأيدي القبول، اعتنى بها خصوصا المشايخ الجشتية الجلالية المينائية الصفوية اعتناءًا كبيرًا، ولا زالوا يهتمون بها اهتمامًا بالغًا مدحًا ودرسًا وتدريسًاوشرحًا وتوضيحًا، والفضل في ذلك يرجع إلى السيد الشريف جلال الدين البخاري الشهير بمخدوم جهانيان، فإنه أقام مدةً طويلةً في الحرمين الشريفين وصَحِب

طويلًا الإمام عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي (٦٩٨-٧٦٨هـ) مؤلف كتاب "روض الرياحين" وانتفع به كثيرًا، وسمع منه هذه الرسالة وحضر دروسها لديه مع جماعة من الطالبين والسالكين، وبعد رحلته إلى الهند وإقامته ههنا كان يذكر الرسالة في مجالسه كثيرًا بكل حب وولوع وينقل منها المباحث والأقوال ويقوم بتدريسها بكل اهتمام، فقد تكرر ذكرها في "الدر المنظوم" وهي ترجمة أردية لإحدى مجموعة أقواله وملفوظاته بالفارسية الموسومة بجامع العلوم جمعها تلميذه وخليفته الشيخ العالم العارف السيد الشريف علاء الدين علي بن سعد الحسيني (هذا المجموع يشتمل على دروس وأقوال الشيخ البخاري التي أفاد بها أثناء إقامته بدهلي منذ يوم الأحد، ٨ من ربيع الآخر سنة ٧٨١هـ حتى يوم الثلاثاء ١٧من محرم الحرام سنة ٧٨٢هـ)، وذكر فيها أن المخدوم البخاري أثناء تدريسه للرسالة، قال: إنه قد حضر دروسها مع جمع من الطالبين عند الإمام اليافعي قدس الله سره وسمعها منه ولكنه لم يستطع أن ينسخها لغلاء ثمن القرطاس وقلة المال، إلا أن المؤلف الشيخ قطب الدين الدمشقي عندما أكمل الرسالة أرسل نسختها إليه. (المجلد: ٢، ص: ٦٧٤، ٧٠٢ مطبع أنصاري، دهلي ١٣٠٦ هـ)

وجاء فيه أيضًا أن الإمامين الجليلين الإمام اليافعي شيخ مكة والإمام المحدث عبد الله المطري شيخ المدينة (المتوفى ٧٤٨هـ تقريبا) عندما توفيا أوصيا ابنه وأخاه بالترتيب بأن يذهبوا إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي لتعلم التصوف والسلوك. (المصدر نفسه، ص: ٦١١، ٦٧٤)

وتوارث تدريسَ الرسالة المكية في المجالس الروحية من الشيخ جلال الدين البخاري قدس الله سره خلفاؤه ومحبوه ومريدوه، فما زالوا يقومون بتدريسه وقراءته على الطالبين حتى آل الأمر إلى الشيخ العارف الزاهد النحوي، الأصولي سعد بن بُدَّهن الخير آبادي (٩٢٢هـ) خليفة الشيخ العارف الزاهد محمد قطب المعروف بشاه مِيْنَا اللكنوي(٨٨٤هـ) وهو خليفة للشيخ المخدوم سَارَنْگْ (٨٥٥هـ) وهو خليفة للشيخ صدر الدين أبي الفضل محمد بن أحمد البخاري المعروف بـ"رَاجُوْ قَتَّال" (٨٢٧هـ)، وهو أخ وخليفة للسيد الشريف جلال الدين البخاري (٧٨٥هـ) قدس الله أسرارهم.

فبنى الشيخ الخيرآبادي زاوية ومدرسة كبيرة في خير آباد ــ إحدى محافظات ولاية أترابراديش، الهند ــ، للتعليم والتربية ونشر المبادئ الإسلامية والمعارف الصوفية، فأصبح مقصد الطالبين وكعبة السالكين وتوجه إليه الطالبون المخلصون من كل فج عميق، والتف حوله جمع من السالكين. فبدأ يدرس الرسالة المكية ويقرأها عليهم، ويشرح معضلاتها، ويحل مشكلاتها ويوضح مجملاتها ويتحفهم بلطائف معانيها ودقائق مبانيها، فالتمس منه بعض تلاميذه وأحباءه

من أمثال الشيخ مبارك البِجْنَوري والقاضي محمد مَنّ الله الكَاكُوروِي والسيد الشريف جلال بن أبي طاهر أن يقوم بشرحها فكتب لها شرحا بالفارسية مدرجا فيه أقوال شيخه مثل نظم اللآلي في السلك في أكثر من ثمان مائة صفحة، وأسماه بـ"مجمع السلوك والفوائد" فقرت به أعين الطالبين وتنورت قلوب السالكين، واهتدى به حيارى طريق الله إلى المقامات والمنازل.

وبعد تأليف الشرح تيسرت مطالعة الرسالة المكية للطالبين فازداد إقبالهم عليها وعضوا عليها بالنواجذ ولا زالوا يدرسونها ويقومون بتدريسها على مر القرون وكر الدهور، حتى جاء السيد الشريف عبد الواحد البلجرامي الميناثي الصفوي (١٠١٧هـ) مريد وتلميذ المخدوم عبد الصمد المعروف بـ"شاه صفي" (٩٤٥هـ) وهو خليفة للشيخ سعد بن بدهن الخيرآبادي شارح الرسالة، فألَّف الشيخ البلگرامي كتابًا أسماه بـ"سبع سنابل" واستفاد من الرسالة المكية وشرحها ونقل فيه الكثير من المباحث من شرحها "مجمع السلوك"، وهذا يشير إلى عنايته الكبيرة بالمتن والشرح كليهما ثم جاء القاضي إرتضا الگوپاموي (١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) فلخص هذا الشرح الضخم وجردها من المتن والشرح باسم "فوائد سعدية"

وكذلك نجد الاهتمام البالغ بالرسالة المكية وشرحها عند الشيخ العارف الشاه محمد عزيز الله الميناثي الصفوي (١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨م)، وهو من أعلام التصوف في القرن العشرين الميلادي وله مؤلف في العقيدة الإسلامية يسمى بـ"عقائد العزيز" وقد أكثر النقل فيه من الرسالة وشرحها مجمع السلوك، وظل الاهتمام باقيًا فيما بين المشايخ الجشتية الميناثية الصفوية في الأعوام التالية حتى جاء زمان احتجب فيه المشايخ الكبار في الطريقة الميناثية الصفوية وتنقبوا عن أعين الناس وقل الرجال الصالحون والعلماء العاملون، وكثر المترسمون والمترزقون، وانتهى الأمر إلى من لم يكن لهم رغبة في العلم وميل إلى السلوك، فاندرست مجالسه وانطمست معالمه، فتوقفت دروس الرسالة وضاعت ما كانت عندهم من نسخ الرسالة وشرحها أيضا، ولم يبق عندهم إلا الفرح بأن نسخة الرسالة المكية وشرحها كانت موجودة عندهم.

ولا زالوا على هذه الحالة السيئة حتى نبغ في الطريقة العارفية ـ فرع الطريقة الجشتية الميناثية الصفوية ـ رجلٌ عظيمٌ، أعني جنيدَ زمانه وشبلي آوانِه، صاحب المناقب العالية، والمفاخر السنية، العارف الرباني، والداعية الإسلامي، محتسب العلماء والأولياء، الشيخ أبا سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي، (المتولد: ٥ محرم الحرام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) فجدد من التراث ما اندرس، وأحيا من المجالس المتوارثة ما مات، فنفقت سوق العلم والإيمان، والسلوك والعرفان وراجت مجالس العلم والمعرفة، والشريعة والطريقة، وصرف قصارى جهوده في التنقيب عن الكنوز الخفية

حتى حصل على نسخ الرسالة المكية وشرحها مجمع السلوك، وفوض عمل التخريج والتحقيق والتعليق والترجمة إلى من كانوا له أهلا، وأعد مقرَّرًا دراسيًّا خاصًّا هادفًا إلى إعداد وتربية جيلٍ جديدٍ على مبدأ القرآن والسنة وطريقة الصوفية الصافية، باسم الدبلوم العالي في الدعوة والعلوم الإسلامية بالجامعة العارفية، فأدرج فيه الرسالة وشرحها من بين الكتب المنهجية، فابتدأ تدريس الرسالة المكية من جديد. وهكذا استطاع هذا الرجل العظيم أن يعيد الماء إلى مجاريه وأعاد إلى الطريقة الجشتية الميناثية الصفوية رونقها وبهاءها ومجدها المفقود منذ قديم، وهو مجاهد ليلا ونهارا بكل مده وصاعه مستخدما جميع موارده لإحداث ثورة إسلامية على مبدأ الصوفية الصافية وإعادة المجد الإسلامي التليد.

هذه كانت نبذة من أهمية الرسالة المكية وقبولها بين الأوساط العلمية والصوفية وتاريخ اهتمام المشايخ الجشتية الميناثية الصفوية بالرسالة المكية درسًا وتدريسًا وشرحًا وتعليقًا.

نسأل الله تعالى من فضله أن يفيض علينا من بركاتها ويوفقنا لمطالعة ما فيها والعمل بها ويوصلنا إلى مقامات قربه ومقعد صدقه، والله هو الموفق.

مؤلف الرسالة:

لقد تواترت الروايات أن مؤلف الرسالة المكية هو الشيخ الكبير العارف القدوة قطب الدين الدمشقي إلا أن المؤرخين اختلفوا في تحديد اسمه ومولده ووفاته، وما ذكروا في ترجمته إلا عدة سطور.

فجاء في مجمع السلوك شرح الرسالة المكية نقلًا عن معيار التصوف للشيخ قوام الدين العباسي الكروي مولدًا، واللكنوي مدفنًا (٨٠٦هـ): قال الفقير العباسي: وسألت أيضًا من شيخ العالم بقية السلف قطب الحق والشرع والدين الدمشقي مؤلف الرسالة المكية حين لقنني كلمة لا إله إلا الله وبيَّن كيفية النفي والإثبات... الخ.

(مخطوط النسخة الكاكوروية، فصل في احتياج المريد لتلقين الذكر، ق: ١٨١)

وورد في كشف الظنون (٢/ ١٧٤٤): أنه هو قطب الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن أيمن النووي الأصفهندي، وله كتاب معيار المريدين، ولكنه لم يذكر سنة ميلاده ووفاته.

وجاء في الذيل عليه المسمى بـ"إيضاح المكنون" (٤/ ٦٨٥): أنه هو قطب الدين عبد الله بن محمد بن أيمن الشافعى الزاهد نزيل دمشق وله مؤلفات منها: نور العقائد وضياء الفوائد وقد فرغ منها فى رجب من سنة سبع وستين وسبع مائة (٧٦٧ هـ)، وهو كتاب جليل كثير الفائدة أوله: الحمد لله رب العالمين وبه نستعين إلخ. وإنه أيضًا لم يذكر سنة ميلاده ووفاته.

وورد في فهرس مخطوطات مكتبة آزاد- عليگر- الهند (٢/ ١٦): بعنوان: الرسالة المكّية (رقم الميكروفيلم: ١٨/٣) هوالشيخ قطب الدّين عبدالله بن محمّد بن أيمن الاصفهندى. وهو أيضا يخلو من ذكر سنة الميلاد والوفاة.

وجاء على غلاف نسخة أخرى للرسالة في مكتبة آزاد عليگر، الهند: هو الشيخ قطب الدين الدمشقي السهروردي الكبروي، ولم يذكر شيء غير ذلك.

وقال في معجم المؤلفين (٦/ ١١١): هو أبو محمد قطب الدين عبد الله بن محمد بن أيمن النوري، الأصفهاني الشافعي الصوفي، نزيل دمشق، من آثاره: معيار المريدين، الرسالة المكية، ونور العقائد وضياء الفوائد، و توفي : ٥٩١ هـ.

وذكر في هدية العارفين(١/ ٢٣٨): هو قطب الدين عبد الله بن شمس الدين محمد بن أيمن الشافعي النوري الأصفهندي الصوفي نزيل دمشق المتوفى سنة ٥٩١هـ. له الرسالة المكية، معيار المريدين، نور العقائد وضياء الفوائد.

تحقيق سنة وفاته:

قد اتضح مما ذكرنا أن المؤرخين قد اتفقوا على لقبه قطب الدين ونسبته الدمشقي ولكنهم اختلفوا في اسمه و كنيته ولم تذكر سنة وفاته إلا في معجم المؤلفين وهدية العارفين وهي إحدى وتسعين وخمس مائة ولكنها غير صحيحة من وجوه:

الأول: لقد مر من قبل أن الإمام اليافعى والشيخ عبد الله المطري أوصيا ابنه وأخاه بالترتيب قبل وفاتهما أن يذهبوا إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي لتعلم التصوف والسلوك، وسنة وفاتهما بالترتيب هي ٧٦٨هـ و ٧٤٨هـ فلا يتصور أنهما قد أمراهما أن يتعلموا السلوك من شيخ توفي قبل وفاتهما بقرنين تقريبا.

والثاني: قد ذكر الشيخ الدمشقي في رسالته المكية أنه تلقن الذكر من برهان الدين السمرقندي ، وهو تلقن من الشيخ عبد الرحمن الكرخي (ميلاد: ٦٣٩هـ)، وهو من الشيخ أحمد الكورباني (٦٦٩هـ) إلى آخر ما ذكره في سند تلقين الذكر، فشيخه برهان السمرقندي سنة ميلاده ووفاته غير معلوم وشيخ السمرقندي عبد الرحمن الكسرقي من مواليد ٦٣٩هـ. وهل من الممكن أن يتلقن أحد الذكر عن شيخ ولد شيخ شيخه بعد وفاته بقرن تقريبًا.

والثالث: : لقد مضى أيضا أن مؤلف الرسالة قد أرسل نسخة منها إلى الشيخ جلال الدين البخاري المتوفى عام ٧٨٥هـ فهل هذا من الممكن أن يرسل المؤلف نسخة الكتاب بعد وفاته بقرنين تقريبا؟

والرابع: لقد سبق أن الشيخ قوام الدين العباسي اللكنوي المتوفى عام ٨٠٠هـ قد تلقى الذكر من الشيخ قطب الدين الدمشقي في حياته كما جاء في كتابه المسمى بـ"معيار التصوف" ونقله شارح الرسالة المكية الشيخ الخير آبادي، فهل من المعقول أن يتلقى المريد الذكر من شيخ توفي قبل قرنين؟

والخامس: قد توارث في الطريقة الجلالية المينائية الصفوية أن مؤلف الرسالة المكية كان معاصرًا للشيخ الإمام اليافعي والشيخ جلال الدين البخاري والشيخ قوام الدين اللكنوي والتوارث أقوى دليل لا يعارضه دليل آخر.

والسادس: أنه قد ورد في الدر المنظوم في ذكر الملفوظ يوم ٢٤، ٢٨ من شهر ذي القعدة سنة ٧٨١هـ أن المرشد العظيم قطب الدين الدمشقي قد توفي قبل سنة، وهذا يحدد سنة وفاة الشيخ الدمشقي، وهي سنة ثمانين وسبع مائة من الهجرة النبوية وبهذا يتعين أن ما هو مكتوب في آخر النسخة الرامفورية من سنة تمام الرسالة المكية إنما هو من الناسخ لا من المؤلف، وهي في الواقع سنة تمام نسخ الرسالة والمؤلف قد فرغ من تأليفها قبل ثمانين وسبع مائة.

لقد ثبت من الوجوه المذكورة فيما سبق أن القول بأنه توفي في عام ٥٩١هـ، لا يمت إلى الحق والصواب بصلة، والصحيح عندي أنه توفي في سنة ثمانين وسبع مائة، كما تم تحديدها برواية الدر المنظوم. والله أعلم بالصواب.

سنده في الطريقة:

إن الشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره (٧٨٠ هـ) ينتمي إلى الطريقة السهروردية الكبروية وهو ــ كما ذكر في رسالته ــ قد تلقى تلقين الذكر من الشيخ برهان الدين السمرقندي، وهو من الشيخ عبد الرحمن الكسرقي (٦٣٩- ٧١٧ هـ)، وهو من الشيخ أحمد الكورباني (٦٦٩هـ)، وهو من الشيخ رضي الدين علي بن سعيد لالا (٦٤٢هـ)، وهو من الشيخ مجد الدين البغدادي (٦١٠هـ)، وهو من الشيخ نجم الدين الكبرى (٦١٨هـ)، وهو من الشيخ عمار بن ياسر البدليسي(٥٨٢ هـ تقريبًا)، وهو من الشيخ أبي النجيب السُّهروردي (٥٦٣هـ)، وهو من الشيخ أحمد الغزالي(٥٢٠هـ)، وهو من الشيخ أبي بكر النسَّاج (٤٧٨هـ)، وهو من الشيخ أبي القاسم الكركاني، وهو من الشيخ أبي عثمان المغربي(٣٧٣ هـ)، وهو من الشيخ أبي علي الكاتب(٣٤٣ هـ)، وهو من الشيخ أبي على الرُّوْذباري(٣٢٢ هـ)، وهو من الشيخ الإمام أبي القاسم الجنيد(٢٩٧ هـ)، وهو من خاله الشيخ سري السقطي(٢٥١ هـ)، وهو من الشيخ معروف الكرخي(٢٠٠ هـ)، وهو من الشيخ داود الطائي(١٦٥ هـ)، وهو من الشيخ حبيب

العجمي (١١٩هـ)، وهو من الشيخ الإمام الحسن البصري(١١٠ هـ)، وهو من الإمام علي كرَّم الله تعالى وجهه (٤٠ هـ) وهو من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم(١١ هـ).

صلة المؤلف ببعض المشايخ الجشتية:

إن الشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره كانت له صلات ببعض المشايخ الجشتية:

الأول: هو السيد الشريف جلال الدين البخاري المعروف بمخدوم جهانيان ويدل عليها أن الشيخ قطب الدين الدمشقي أهدى إليه نسخة للرسالة المكية كما مر.

والثاني: هو الشيخ العارف قوام الدين العباسي الكروي واللكنوي، مريد وتلميذ الشيخ نصير الدين الأودهي سراج دهلي (٧٥٧هـ)، وخليفة الشيخ المخدوم جلال الدين البخاري، والدليل عليها أنه قد اجتمع به وحضر مجالسه وسمع منه وتلقى منه إجازة الذكر، وقد ذكره الشيخ العارف سعد الخير آبادي في مجمع السلوك شرح الرسالة المكية ناقلا عن معيار التصوف كما مر من قبل.

سند شيخنا أبي سعيد لتعليمات الرسالة المكية:

لقد توارثت تعليمات الرسالة المكية إلى شيخنا أبي سعيد نقيب المشيخة العارفية أيضا من شيخه وأخي جده العارف شاه أحمد صفي المحمدي الصفوي (١٤٠٠هـ) وهو من شيخه وأخيه شاه صفي الله المحمدي (١٣٧٤هـ) وهو من شيخه وأبيه شاه عارف صفي المحمدي (١٣٢٠هـ) وهو من شيخه القاضي عبد الغفور المعروف بـ"صاحب سِرِّ قل هو الله" المحمدي (١٣٢٤هـ) وهو من شيخه خادم صفي المحمدي (١٢٨٧هـ) وهو من شيخه شاه محمد حفيظ الله الصفي پوري (١٢٨١هـ) وهو من شيخه الشيخ محمدي المعروف بـ"غلام پير" (١٢٥١هـ) وهو من شيخه شاه أفهام الله (١١٩٦هـ) وهو من شيخه شاه عبد الله الصفي پوري (١١٦٣هـ) وهو من عمه وشيخه شاه بُهولَن الصفي پوري (١١٠٤هـ) وهو من أبيه وشيخه شاه محمد زاهد الصفي پوري (١٠٩٥هـ) وهو من أبيه وشيخه شاه عبد الواحد الصفي پوري (١٠٧٥هـ) وهو من أبيه وشيخه شاه عبد الرحمن الصفي پوري (١٠٤٧هـ) وهو من أبيه وشيخه شاه أكرم الصفي پوري (١٠٢٦هـ) وهو من أبيه وشيخه مبارك بن الشيخ عبد الملك (٩٥٦هـ) وهو من شيخه وخاله شيخ الإسلام المخدوم عبد الصمد المعروف بـ"شاه صفي" (٩٤٥هـ) وهو من شيخه المخدوم سعد الدين الخير آبادي (٩٢٢هـ) وهو من شيخه المخدوم محمد بن القطب المعروف بـ"شاه مِيْنَا اللكنوي" (٨٨٤هـ) وهو من شيخه المخدوم الشيخ

سَارَنْگ (٨٥٥هـ) وهو من شيخه العارف قوام الدين العبَّاسي الكَرْوِي واللكنوي(٨٠٦هـ)، وهو من شيخه العارف قطب الدين الدمشقي صاحب الرسالة.

والطريقة الثانية أن المخدوم الشيخ سَارَنْگ أخذها من شيخه سيد يوسف الإيرجي (٨٣٤هـ) وهو من شيخه المخدوم جلال الدين البخاري وهو من شيخه الإمام اليافعي وهو أخذها من صاحب الرسالة.

تحقيق نسبة الرسالة إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي:

لقد ذكر فيما سلف أن الروايات متضافرة على أن الرسالة المكية مؤلفها الشيخ قطب الدين الدمشقي إلا أني وجدتها على غلاف نسخة طوكيو منسوبة إلى الإمام اليافعي وهي باطلة من وجوه:

الأول: أن الإمام اليافعي المتوفى عام ٨٦٨ هـ كان يدرس الرسالة في حلقاته العلمية وينسبها إلى الشيخ الدمشقي، وقد حضر في دروسها عنده الشيخ البخاري.

والثاني: أنه قد تكرر ذكر الرسالة المكية في الدر المنظوم ونسبت فيه الرسالة دائما إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره.

والثالث: ذكر في نفس الكتاب أن الإمام اليافعي والإمام المطري قد أوصيا ابنه وأخاه قبل وفاتهما بأن يتلقوا التصوف والسلوك من الشيخ قطب الدين الدمشقي وصرحا كلاهما بأن الإمام الدمشقي هو صاحب الرسالة.

والرابع: وجاء فيه أيضا أن الرسالة قد أهداها الشيخ قطب الدين الدمشقي مؤلف الرسالة إلى الشيخ جلال الدين البخاري كما مر من قبل.

والخامس: أن الشيخ قوام الدين العباسي الكروي اللكنوي قد ذكر في "معيار التصوف" أن مؤلف الرسالة شيخه قطب الدين الدمشقي.

والسادس: أن الجامع لملفوظات الشيخ أشرف السمناني قد نقل فيها بعض فصول الرسالة المكية عن شيخه بقوله: قال الشيخ قطب الدين الدمشقي في الرسالة المكية.

والسابع: أنه قد نقل في الطريقة الجلالية الميناثية الصفوية كابرًا عن كابر أن مؤلف الرسالة هو الشيخ قطب الدين الدمشقي المعاصر للإمام اليافعي والشيخ البخاري والشيخ قوام الدين اللكنوي، لا غير، وهو أكبر دليل على صحة نسبة الكتاب إلى الشيخ الدمشقي.

فهذه عدة وجوه تثبت ما قد اتفقت الروايات عليه من أن مؤلف الرسالة المكية هو الشيخ قطب الدين الدمشقي وتدحض نسبتها إلى الإمام اليافعي قدس الله سره.

هذا ما تيسر وتوفر لي من المعلومات بعد بحث وتحليل ولا أدعي لنفسي العصمة من الخطأ والنقصان والله هو المستعان في كل حين وآن.

وفي الختام أعترف بالتقدير نحو الأستاذ الفاضل الأخ غلام مصطفى الأزهري لما سعى في تحقيق الرسالة وتخريجها وإخراج متنها في ثوب قشيب وأتوجه بالشكر الجزيل والاعتراف بالجميل للشيخ الكبير العارف الرباني والداعية الإسلامي الشيخ أبي سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي لجميع نعمائه وآلائه على أعضاء "أكاديمية شاه صفي" والفضل كله يرجع إليه وهو قطب دائرة النشاطات العلمية والروحية والتربوية بالزاوية العارفية الصفوية، وندعو الله الكريم أن يوفقنا للخيرات والمبرات، ويرشدنا إلى طريق الحق واليقين بوسيلة سيدنا ومرشدنا الكريم، ومؤلف الرسالة المكية وجميع عباده الصالحين برحمتك يا أرحم الرحمين وبجاه سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

*****

كلمات عن تحقيق الرسالة

غلام مصطفى الأزهري

صلتي بالرسالة المكية:

الرسالة المكية سفر عظيم وكتاب قيم للطالبين والكاملين وكان من المقررات الدراسية للتزكية والتطهير في الزوايا الصوفية، لاسيما في الأسرة الجشتية الهندية إلى مدة مديدة ولكن عندما خفّت وانطفأت نار العشق والمحبة والذوق الروحي فيما بين الناس وتغشت عليهم من مادية واقتصادية أدتهم إلى حياة مترفة مبذرة ومتنفرة عن الزهد والفقر والمجاهدة، فهم غابوا عن مجالس التذكير وابتعدوا عن العارفين وعن دروسهم فقد احتجبت عيونهم من نور المعرفة وعميت قلوبهم عن كشف الحق والحقيقة وما بقيت إلا المراسم بعيدة عن الإخلاص والاحتساب إلا من رزقه الله القرب من عالم رباني وشيخ كامل واجتنى شيئا من ثمار معارفه ومجالسه ودروسه ومواعظه وهم أقل قليل.

ولكن أمثال هولاء قليلون للغاية ومنهم الداعية الإسلامي الشيخ أبو سعيد الملقب بـ"إحسان الله"، الذي دلو في الخامس من شهر محرم الحرام ١٣٧٧هـ / ٢ أغسطس ١٩٥٧ م في أسرة متدينة. تم نشأه وترعرعه في بيئة روحية أدبية يسودها جو من الصلاح والتقوى، وشب على أيد أمينة ربته على عقيدة صافية زكية لا تشوبها بدع أو خرافات، ورغم أنه تعلم العلوم العصرية في المعهد الثانوي ثم التحق بقسم اللغة الفارسية في جامعة علي جراه الإسلامية. وكان قلبه معلقا من بداية الأمر بطريق الحق، مجذوبا إليه، حتى رغب في المجاهدة وقيام الليل وصيام النهار واشتغل بالأوراد والأذكار، فبينما كان في مرحلة الليسانس بجامعة علي جراه الإسلامية طلب أخو جده وشيخه العارف أحمد صفي المحمدي قدس الله سره وبايعه وأجازه بجميع الطرق والسلاسل التي وصلت إليه من مشايخه في ١٧ من ذي القعدة ١٣٩٨هـ فانقطعت الدراسة الرسمية وتسلط الذوق والجذبة الإلهية على قلبه، فتزهد عن الدنيا وتخلى إلى الصحارى والغابات والقرى المجاورة لموطنه "سيد سراوان".

ومن المعلوم أنه لم يكن جلس بين يدي أستاذ أو شيخ للحصول على العلوم الدينية المتداولة وأنه تعلم الفنون العصرية واللغتين: الأردية والفارسية في المعهد والجامعة فحسب، ولكنه أخذ العلوم الدينية الضرورية كالعقيدة وأحكام الصلاة والصيام والحلال والحرام من بيئة أسرته العلمية وتراث مشايخه، فتوجهت إليه جنود أرواح المشايخ الكبار للتربية، فتلقى

دقائق العلوم الإسلامية وكوامن طرق المعرفة من روحانيتهم كالشيخ الإمام عبد الصمد المعروف بالمخدوم شاه صفي والشيخ سعد الدين الخيرآبادي وسلطان المشايخ الشيخ نظام الدين محمد الدهلوي والشيخ أحمد النامقي الجامي والشيخ أبي سعيد أبي الخير وغيرهم قدس الله أسرارهم، وذلك بالإضافة إلى معرفته بالديانات الأخرى وعقائدها كالهندسية والسيخية ولغاتها كالسنسكرتية والهندية، التي اكتسبها بالخبرة والاحتكاك بالآخرين.

فلما توفي شيخه في ١٥ من محرم الحرام عام١٤٠٠هـ تولى رئاسة المشيخة العارفية ومال إلى تربية المريدين والطالبين ودعوة الكفار والمشركين إلى قيم الدين، واعتكف على تدريس أمهات الكتب الصوفية، وتربية النفوس وتزكية القلوب، وبجهده المتواصل أسلم على يده مآت من الهندوسيين والوثنيين والسيخ والملحدين، وتاب آلاف من العلماء والمتخصصين في الفنون والعلوم، وتركوا المادية وآثروا الروحانية وتوكلوا على الله وآووا إلى الحضرة الإلهية، وبعنايته وتوجهه فاق كثير من الناس في مجال التوحيد وأسراره وتنورت قلوبهم بنور الجمال الإلهي، وإضافة إلى ذلك أسس جامعةً باسم الجامعة العارفية لنشر العلم والإيمان والدعوة الإسلامية القائمة على الوسطية والاعتدال ولإقامة العلاقة بين الروح والجسد، وبين النظرية والعملية، وبين التحقيق والتطبيق، وللجمع بين العلم والدين، وبين القديم والجديد، وأقام أكاديمية للطباعة والتوزيع وسماها بـ«أكاديمية شاه صفي» لنشر تراث التصوف محققًا أو مترجمًا بأسلوب راهن ولدراسة العلوم العليا وهي التوحيد والمعرفة والتعريج إلى الحضرة الصمدية ولترويج العلوم والأصول والفروع من التصوف مقيدة ومشيدة بالقرآن والسنة، وله هيئة للإغاثة الخيرية، ومركز للدعوة والإصلاح، فالشيخ ــ حفظه الله ــ قام بتنويع وتجديد في كل المجالات العلمية والروحية وحمل لواء إحياء روح الإسلام والتصوف وقد فاز بمرامه بتوفيق الله وإذنه، وهو ماض نحو أهدافه السامية بكل نشاط ونجاح.

والشيخ ــ حفظه الله ــ أشار يوما بعض أصحابه الأكاديميين إلى أن يدخروا مخطوطات نادرة ما استطاعوا، وإلا تصويرها من تراث الصوفية كالرسالة المكية وشرحها مجمع السلوك، وسبع سنابل، وأسرار التوحيد، وخزائن الفوائد الجلالية، واللطائف الأشرفية وبحر ذخار وغيرها، فسافر الفاضل الجليل فضيلة الأستاذ حسن سعيد الصفوي الخلف الأكبر لشيخنا ومدير مجلة الإحسان، والأخ الفاضل الأستاذ مجيب الرحمن العليمي، والأخ الكريم مقصود أحمد السعيدي والأخ النبيل السيد عارف إقبال المصباحي، إلى مكتبات قديمة في مدن الهند مرات عديدة على حسب الظروف وأخذوا شتى مخطوطات قديمة ونسخا عديدة لكتاب واحد.

فنشكر جميع الأحبة والأساتذة الأفاضل وأصحاب المكتبات الذين ساهموا في الحصول على أية نسخة لأي كتاب شكرا جزيلا.

ومضى الأمر حتى تمنى الشيخ أن تطبع الرسالة المكية التي ظلت مخطوطة ليجدد تدريسها في الجامعات الإسلامية وزوايا المشايخ الصوفية، فلبّى الأخ الفاضل ركن الدين السعيدي بندائه وبدأ يكتب على الكمبيوتر مباشرة من نسخة المكتبة بدار العلوم ديوبند وقابلها بنفسه مع نسخة مكتبة رضا برامفور وجعل نصا مثبتا كل ما كان في نسخة المكتبة بدار العلوم ديوبند بدون تصحيح الخطأ من الناسخ وذكر اختلاف نسخة مكتبة رضا برامفور في الحاشية، وفرغ من الكتابة في ٢٠ من مايو سنة ٢٠١٠م ثم قام الأستاذ الفاضل ضياء الرحمن العليمي بتصحيح الكتابة وبمراجعة نسخة المكتبة بدار العلوم ديوبند ونسخة مكتبة رضا برامفور ونسختين لمجمع السلوك شرح الرسالة المكية بدون ذكر النسخ التي بها صححت النسخة الحالية ولكنه أضاف معظم عناوين الفصول وتراجم الأبواب في الكتاب فإن الكتاب كان مبوبا ومفصلا بدون التراجم والعناوين.

ومما يؤسف له أن هذه الأعمال كانت قد وقعت على البرنامج إنبج (INPAGE) وهو برنامج خاص باللغة الأردية فصعب الأمر في ترقيم الكتابة بأسلوب جديد وتشكيلها عند الضرورة وتحسين الخط العربي فانتهى الأمر إلى التحويل من إنبج (INPAGE) إلى ورد (WORD) ولما تم تحويلها حدثت فيها أخطاء كثيرة خاصة في الكتابة، وشكل الحروف، فقام بتصحيح الكتابة وترقيمها على قواعد حديثة فضيلة الأستاذ حسن سعيد الصفوي وفي نهاية المطاف فوض الكتاب إليّ في نهاية سنة ٢٠١٣م فعملت فيه بعض العمل بتوفيق الله تعالى.

عملي في التحقيق:

أمرني الداعية الكبير أن أخرّج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فبدأت العمل متوكلا على الله وخرجت أحاديثه وعلقت في بعض المقامات تعليقا ضروريا واستفدت فيه من تعليمات شيخي وإشاراته وفي أثناء التخريج ألقي في روعي أن أقابل النسخة الحالية الكمبوترية مع النسخ التي احتفظت في مكتبة الشاه إحسان الله الواقعة بالجامعة العارفية، فجلست مع رفقائي الأكادميين لا سيما الأساتذة الأفاضل محمد اشتياق عالم المصباحي، وإمام الدين السعيدي، ومحمد رفعت رضا النوري، والأخ أصغر علي المصباحي، فتم العمل في شهرين وكتبت بنفسي على الكمبيوتر كل ما نتج عن المقابلة.

ولما قدمت الرسالة في هذا الشكل بين يدي فضلية الشيخ الأستاذ الدكتور إبراهيم صلاح الهدهد رئيس جامعة الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية، للتصحيح وإبداء الرأي، فحسّن العمل وأشارني علي بإضافة تراجم الأعلام أيضًا في الرسالة بالإيجاز، فتوجهت إلى أمره وقبلت مشورته، وكذلك نبهني إلى الإصلاح في الأخطاء التراقيمية الأستاذ الدكتور حسن نجار محمد أستاذ كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف.

فنشكر جميع الأساتذة والأحباء وطلاب الدبلوم العالي في الدعوة والعلوم الإسلامية بالجامعة العارفية الذين ساهموا في هذا العمل بأي مساهمة وندعو لهم بالخير.

وبعد هذه التفاصيل إليك الخطوات التي اتخذتها في هذه الرسالة وفهارس الأعمال التي قمت بها أنا وزملائي:

أولاً : اعتمدت في ضبط النص على عدة مخطوطات، و هي و إن كانت متقاربة ، و لا يوجد بينها اختلاف كبير، إلا في عدة مقامات، فاستفدنا من مجموعها في إخراج النص بصورة دقيقة وإليك وصف المخطوطات وبيان الرمز الذي اتخذت لها :

١ـــ مخطوطة مكتبة دار العلوم ديوبند، أترا براديش ، الهند برقم: ٧٣٠١٨ ، عدد اللوحة:٧٧ ، هي نسخة كاملة وخطه عربي وفي هذه النسخة تعليقات من قبل القارئين، بعض منها جلي والآخر مخدوش، ولكن أخطاء الكتابة فيها كثيرة بالنسة إلى النسخ الأخرى، والمكتوب في آخرها من قبل الناسخ باللغة المزدوجة من العربية والفارسية ،حاصله فيما يلي:

تمت الرسالة الشريفة المكية ــ التي ألفها الشيخ قطب الدين الدمشقي قطب اليمن قدس الله روحه وأفضى إلينا بركته ــ يوم الأحد في ٢٨/ جمادي الأخرى ١٢١٨هـ بطلب الأستاذ جلال الدين سلمه الله تعالى في مديرية "رامفور" أترابراديش، الهند وكاتبه همزة خان غفرالله له ولوالده.

عُين لهذه النسخة رمز''د''.

٢ ــ مخطوطة معهد الثقافة والدراسات الشرقية ، بجامعة طوكيو، اليابان، أخذتها من موقع: http://al-mostafa.info/data/arabic/depot3/gap.php?file=m002281.pdf

وهذه المخطوطة ناقصة لنصف الأخير وعدد صفحاتها ٦٨ وعدد اللوحة ٣٤ وعلى جبهة النسخة مكتوب من قلم الناسخ:

''إن المؤلف هو الشيخ الإمام شمس الإسلام والمسلمين إمام المحققين مرشد الطريق الناطق بالتحقيق شيخ محمد الشافعي قدس الله سره ونور مرقده آمين يا رب العلمين.''

وتحت هذه العبارة في نفس الصفحة كتب شخص آخر:

هذا الكتاب «الرسالة المكية في طريقة السادة الصوفية» تأليف الشيخ الإمام العالم .... عفيف الدين أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي الشافعي المتوفى بمكة سنة ٧٦٨ هـ وهو مؤلف كتاب: روض الرياحين في حكايات الصالحين...

واعتمد أصحاب المكتبة عليه ونسبوا هذه الرسالة إلى الإمام عبد الله اليافعي وهو من الخطأ كما حققه الأستاذ العليمي. وهي نسخة جيدة، قليلة الأخطاء.

وضع لهذه النسخة رمز''طو''.

٣ ــ مخطوطة مكتبة رضا برامفور، أترا براديش، الهند برقم: ٣٠٥٦ ع، وعدد صفحاتها ١٣٩، لون الصفحة أصفر ولكن الكتابة واضحة جلية، وهي نسخة قديمة بالنسبة إلى النسخ الأخرى.

أخذ لهذه النسخة رمز''ر''.

٤ ــ مخطوطة الزاوية المجيبية بفلواري ، فتنا ، بيهار ، الهند، عدد صفحاتها ٢٦٨ وفي هذه النسخة تعليقات من قبل القارئين، بعض منها واضح والآخر مخدوش.

رمز لهذه النسخة بـ''مج''.

٥ ــ مخطوطة مكتبة خدا بخش بفتنا، بهار، الهند وعدد لوحته : ١١ بخط فارسي رشيق.

استخدم لهذه النسخة رمز''خد''.

٦ــ في مكتبة الشاه إحسان الله بالجامعة العارفية تصوير نسختين لمجمع السلوك للشيخ سعد الدين الخيرآبادي، هو شرح الرسالة المكية باللغة الفارسية، الأولى منهما نسخة مكتبة رضا برامفور ، والأخرى نسخة مكتبة الزاوية القلندرية بكاكوري ، لكناؤ ، أترا براديش ، الهند.

فنص الرسالة المكية مع شرحه موجود في هاتين النسختين، فاخترت نسخة منهما وهي نسخة مكتبة الزاوية القلندرية بكاكوري ليسهل الأمر علينا.

والرمز لهذه النسخة ''ك''.

ثانيًا: قمت بتخريج الآيات القرآنية من المصحف الشريف ووضعت الآيات في النص على الرسم العثماني.

ثالثًا: خرّجتُ الأحاديث النبوية من مظانها المعتبرة، فإن لم أجد فيها فمن كتب الصوفية مع تأييدها بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة على ما استطعته ونقلت أقوال العلماء عن الحديث المخرَّج وآراءهم في الحكم عليه وأدرجت التعليقات والتنبيهات على خلاف رأي محدّث لو شعرت بالحاجة إليها.

رابعًا: وثّقت الأعلام وذكرت تـراجمهم بيسـير في أول المواضـع التـي جـاء ذكـرهم في الرسالة، حسبما عثرت على تراجمهم في كتب التراجم والطبقـات، وأعرضـت عـن المشـهورين كالأنبياء عليهم السـلام والصـحابة رضي الله عـنهم، والكتـب التـي اعتمـدت عليهـا في بيـان التراجم عديدة، ولكني عولت في الأغلب على: طبقات الصـوفية لأبي عبـد الـرحمن السـلمي، والرسالة القشيرية، وطبقات الأولياء لابن الملقّـن، ونفحـات الأنـس لعبـد الـرحمن الجـامي-بالفارسية-، والأعلام للزركلي.

خامسًا: أضاف الأستاذ الفاضل ضياء الرحمن العليمي معظم العناوين في المتن كـما أشرت من قبل إلى أن الكتاب كان مبوبا ومفصلا ولكن مؤلف الكتـاب لم يـترجم لأبوابـه وفصـوله إلا بعدة مواضع.

سادسًا: كتب الأستاذ ضياء الرحمن العليمي مقالًا قيمًا موجزًا عـن حيـاة الشـيخ قطـب الدين الدمشقي وعن الرسالة المكية وتاريخها وأهميتها ونسبتها إلى الشيخ قطب الدين الدمشقي.

سابعًا: وضعت فهرسين؛ أحدهما: للكتب التي استخدمت في التخريج والتعليق مع بيان المطبع. والآخر: لأبواب الرسالة وفصولها.

ملحوظات هامة

- كلمة «والله أعلم بالصواب» مكتوبة فقط في نهاية معظـم الفصـول لنسـخة المكتبـة بـدار العلوم، ديوبند، فحذفتها من النص رعاية لأكثر النسخ.
- في جميع النسخ يتردد الباب والفصل باختلاف، فأثبتّ في النص 'الفصـل' دون 'البـاب' إلا إذا كان الباب وتحته فصول فأبقيته على ما كان.
- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكره مرقومة بصيغ مختلفة أو بالإشارة فأثبتتهـا بالصيغة المعروفة (صلى الله عليه وسلم).

واجب الامتنان والشكر

ولا يسعني في الختام إلا أن أحمد الله تعالى على ما وفقني لهذا العمل ، شاكرًا لكل من بدأ هذا العمل وشاركني فيه بعد تفويض العمل إلى هذا العبد المذنب وساعدني في إتمامه وأعانني على إنجاز هذا التحقيق ونشره خاصة الأستاذ ضياء الرحمن العليمي والأستاذ ذيشان أحمد المصباحي الذين عملوا بأنفسهم كثيرًا من العمل وساعدوني في كل المرحلة، مع خالص الامتنان والشكر لفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور إبراهيم صلاح الهدهد رئيس جامعة الأزهر الشريف وعضو مجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الأستاذ الدكتور حسن نجار محمد، أستاذ كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر

الشريف، القاهرة، قد راجعا هذه الرسالة تماما بإمعان النظر وصححا الأخطاء وألقيا المشورة القيمة وكتب كل منهما تقديما ثمينا، فلهما آلاف الشكر، والأستاذ الفاضل حسن سعيد الصفوي راجع الكتاب وعلق عليه بعض التعليقات النافعة، ولا سيما للعارف الرباني الداعية الكبير الشيخ أبي سعيد إحسان الله المحمدي الصفوي الذي هو قدوتي وذخري في حياتي وبعد مماتي، وهو رائد الفكر الصوفي والسلوك الروحي والأسلوب العلمي في العصر الحديث، يسعى للثورة الروحية الإسلامية على منهج الصوفية الصافية، ولو تم نشر هذا الكتاب لكان جزء من ثورته.

وندعو الله العلي القدير بالتوفيق لزملاء «أكاديمية شاه صفي» للقيام بنشر هذا الكتاب وغيره من الكتب الدينية وما التوفيق إلا من واهب العلم والعمل والهادي إلى التحقيق والتنوير والصلاة والسلام على سيد الهادين، سيدنا محمد الأمين، وأتباعه إلى يوم الدين.

****

مخطوطة معهد الثقافة والدراسات الشرقية ، بجامعة طوكيو، اليابان، وضع لهذه النسخة رمز طو

اي كنت شجره لعضد فعلى هذا يجب على القايل والسامع مراعاة
الكلام في المخاطبات فالذي يجب على القايل ان لا يطلق اللفظ المبهم
الموهم الا اذا فهمه السامع والذي يجب على السامع ان لا يبادر
الى تخطية القايل عند سماعه بل يحسن الظن به ويحمل عدم ظهور
الحق على قصور فهمه باب لا بد للمريد من شيخ كامل
يقتدي به لانه رفيق في الطريق ويعلم ان لهذا الشان محكا ومعيارا
وهو القران والحديث واجماع الامة المسلمة فما وافق المعيار
وضح من المحك سالما من الغش فهو صحيح وما خالف ذلك فهو فاسد
باطل قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة
وقال تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وروى الغزالي رحمه الله في
الاحياء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيخ في قومه كالنبي في امته
وقال ليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته
بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى اخلاق
الخلق يوقرون المشايخ بالطبع فضلا عن الطاف الناس
فالشيخ هو الذي سلك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك
فيرشد المريد ويشير عليه بما ينفعه وما يضره فلا يكون الشيخ
وصحبته اقل من الجليس الصالح قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح
كمثل العطار ان لم يحذك من عطره علقك من ريحه ومثل الجليس
السوء كمثل الكير ان لم يحرقك بناره علقك من دخانه ورايحته فصل
اذا وصل المريد الى الشيخ يحتاط ويجتهد في معرفة الشيخ انه

يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصا
دقين [illegible]

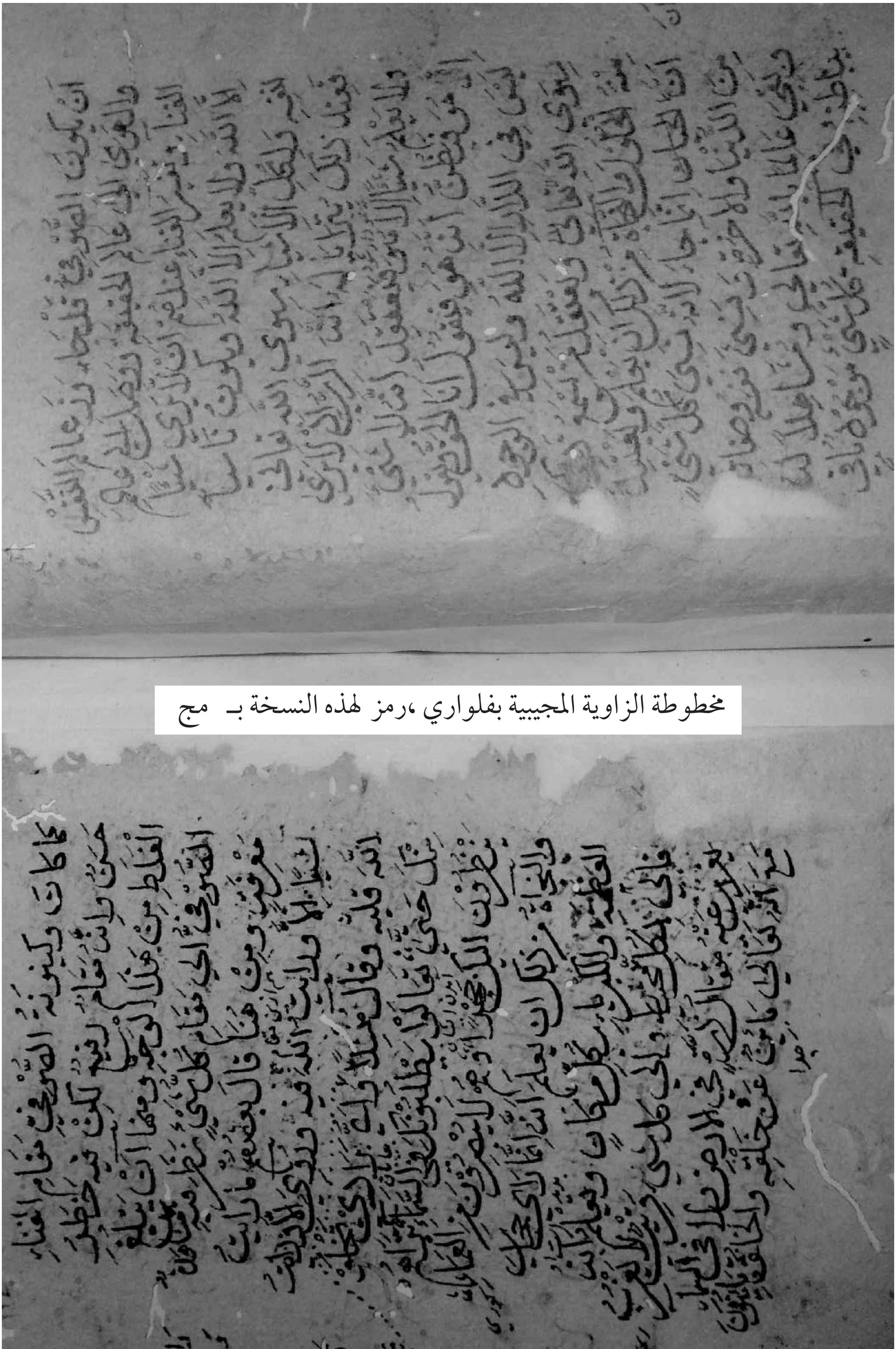
مخطوطة مكتبة خدا بخش بفتنا، بهار، الهند

استخدم لهذه النسخة رمز خد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شانه القوي سلطانه الظاهر احسانه الباهر برهانه
المحتجب بالعظمة والجلال والمتفرد بالكبرياء والكمال لا يصوره
وهم ولا خيال ولا يحصره حد ولا مثال فسبحان من عزت معرفته
لولا تعريفه لا يزال برهان عرفانه في ارضه وسمايه والصلوة التامة
الدايمة على خيرة من خلقه محمد واله واصحابه والتابعين لهم باحسان
وتابعيهم الى يوم الدين اما بعد فقد الفت هذا التاليف في مكة شرفها الله
تعالى ثم استدركته بمدينة دمشق وزدت فيه فوايد حتى اذا طالعه
المريد الصادق ونبهه الله تعالى عن رقدة الغفلة عرف ان الحضرة
لا يصلح للحضرة القدسية والحضرة الربانية تعالى فينتبه فيشتغل بطهارة
الظاهر والباطن ويعلم ان ربه تعالى يطلبه بموافقة الطاعة
عن ويمنعه فيما ذريه المخالفة بلسان الحال يا ابن ادم انا بدك اللازم
طالبهم بذلك انا كافيك عن كل شيء ولا يكفيك عني شيء فيقوم في طلب
النجاة ويقول يا غياث المستغيثين اغثني فيحمله ذلك على سلوك طريق

مخطوطة مكتبة رضا برامفور ، أخذ هذه النسخة رمز ر



مخطوطة الزاوية المجيبية بفلواري ،رمز لهذه النسخة بـ مج



مخطوطة مكتبة دار العلوم ديوبند، عُين لهذه النسخة رمز د

و عوضها چنانکه تحرک و سکون از برای نبیت بود و مانند البقان هم حجاب است و تعلقها هم
حجاب است خواه نیک بود خواه بد از برای خلق نیک بتصنع و تکلف میکنند حجاب است
اما اگر برای اخلاق خوب طبیعة وی گشته است آن حجاب نبود بلکه حجاب نباشد را
والنفس مع هوا و شهوة البطن و فرج و اعضاء دیگر هم حجابهای ظلمانی است و شیطان و غیر آن
مذکور چنانچه خلق و دنیا و خود بینی و تعلق قلب بخلق اینها هم حجاب ظلمانی است تا از این هم
نگذرد و از همه نمیرد تجلیها نور هم نرسد مکاشفه و مشاهده کجا تا بلکه زهی نیک بختان از مولانا
راموتوا قبل ان تموتوا ساختند و غیر او نیز در باختند و جان و دل را در ته پای ربا باختند
لاجرم بسوی مکاشفه و مشاهده شتافتند بپیر دستگیر این فقیر بارها سنو مولا بیت لو راه حرفته
از آن نمودند ورنه که ز در این درگه بر و نگشودند

باب

رفع الحجاب الظلماني أسهل على السالك من رفع الحجاب النوراني
لأن النفس الذاكية تمرّ من الظلمة وتأنس بالنور بر داشتن حجاب بالطبع
ظلمانی آسان تر است بر سالک از بر داشتن حجاب نورانی زیرا که نفس از پاک
و پاکیزه است از اخلاق ذمیمه بگریزد بطبع از ظلمة نفسانی و انس میگیرد بنور و چنین بسیار
مانوس نمی بود یکبارگی دل بر گذاشتن آن میرود ومن هنا والحجب السبعين الفا
عشرة آلاف حجب ظلمانية مستكنة في اللطيفة القالبية ولونها كالـ
فاذا اشتغل بالذكر واشتغل تيقن انها يشاهد تلك الظلمات المطبقة
بعضها فوق بعض فاذا صلح الوجود صفا وابيض مثل المزن الابيض
و بعض از این حجابها هفتاد هزار است ده هزار حجابهای ظلمانی پوشیده شده است در لطیفهٔ
قالبیه و رنگ آن تیره است پس چون مشغول شود سالک بذکر لا اله الا الله الله یا ذکری دیگر
برود آتش ذکر بر دل سالک و بسوزاند دل را و برافروزد و روشن کند دل را و بسوزاند ظلمت
و کثافت و کدورت وجود او را آن هنگام مشاهده کند سالک آن ظلمات را طبقه کرده
شده است بعضی از آن ظلمات بالای بعضی را از آن بحال در نظر می آید پس چون صالح
شود وجود سالک صفا یابد و سپید گردد مانند ابر سپید و مزن بضم میم و سکون زای ابر سپید
ومنها عشرة آلاف كامنة في الطبيعة النفسية ولونها احمر

واللطيفة كون اشارة دقيقة المعنى يلوح ... الفهم لا يسعه العبارة

[illegible]

مخطوطة مجمع السلوك شرح الرسالة المكية باللغة الفارسية ، مكتبة الزاوية القلندرية ، كاكوري ، عُين لهذه النسخة رمز ك

و اما خاطر شیطانی پس بدرستی که آن خاطر شیطانی منقطع نمی شود هرگز ولیکن ممکن است که نابود گردد و فراموش کرده اند
وی را ذکر و در میان افکنند وسوسه و بدیها که در خبر آمده است شیطان مستولی است یعنی بر سینه بنی آدم نشسته پس چون ذکر می‌گوید
بنی آدم خدا را یاد می‌کنند اعراض می‌کند و دور می‌شود و چون غافل می‌شود بنی آدم از ذکر خدا آن هنگام شیطان لقمه می‌کند
و درون خود می‌کند دل وی را پس در حکایتی آمده که دل وی را و سخت بنفس مشغول می‌دارد و درازی آمال و باطلی انداخت
و گفته اند بعضی صوفیان خواطر خطابی است که فرود می‌آید بر ضمایر دلها و گفته شد خاطر که باشد از فرشته پس آن را باشد
که موافق شود آن خاطر را صاحب آن خاطر و باشد که مخالف شود آن خاطر را صاحب. آن خاطر و اما آنکه از حق تعالی است پس اصل نفس
خلاف نمی‌شود بنده مر آن خاطر را و قال بعضهم الخواطر اربعة خاطر من الله تعالى وخاطر من الملك وخاطر
من النفس وخاطر من العدو فالذي من الله تنبيه والذي من الملك حث على الطاعة والذي
من النفس مطالبة للشهوة والذي من العدو تزيين المعصية فبنور التوحيد تقبل
من الله وبنور المعرفة تقبل من الملك وبنور الايمان ينهى النفس وبنور الاسلام يرد على العدو
و گفته بعضی صوفیان خواطر چهار اند یکی خاطر از خدای تعالی است دوم خاطر از فرشته سوم از خاطر نفس است چهارم خاطر
از شیطان که دشمن است پس خاطری که از خدای است بیدار گرداند از غفلت تا دل نرم گردد و وقوف بندد و خاطری
از فرشته بر انگیختن طاعت و وادار کردن بر عبادت است و خاطری که از نفس است در مطالبه شهوت است و خاطری که از شیطان
از آراستن معصیت یعنی معصیت را پیش بنده آراسته می‌گرداند تا بفعل مقرون گرداند پس بنور توحید قبول می‌کند بنده
خطره را از حق سبحانه و تعالی یعنی کسی که در توحید حقیقی رسید خطره حق را معارض و ممانعه قبول می‌کند و بنور معرفت قبول می‌کند
خطره را از فرشته لان ثمرة المعرفة ان يعرف ما له و ما عليه و بنور ایمان باز میدارد نفس را از خطره ها زیرا که ایمان
حقیقی قید است مومن را و کافر را از لذات معصیت و شهوت قال عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر
پس مومن مقید است چون در نور ایمان و کافر مطلق است لعدم الایمان و بنور اسلام رد کرده می‌شود خطره شیطان لان الاسلام
هو الانقياد لامر الله تعالى پس کسی که با او خدای مطیع و منقاد است از خطره شیطان دور و بعید و متباعد است
قال الله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وسئل الجنيد عن الخطرات فقال خطرات اربعة خطرة
من الله وخطرة من الملك وخطرة من النفس وخطرة من الشيطان فالخطرة التي من الله ترشد الى
الاشارة والخطرة التي من الملك ترشد الى الطاعة والخطرة التي من النفس تجر الى الدنيا
وطلب عنها والخطرة التي من الشيطان تجر الى المعاصي و پرسیده شد شیخ جنید رحمه از خطرات پس گفت خطره

خطرات چهار الله

الرسالة المكية

العارف بالله
الشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره
(المتوفى: ٧٨٠هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله العَظِيمِ شَأْنُه، القويِّ سُلطانه، الظاهر إحسانه، البَاهِرِ بُرهانه، المُحتَجِبِ بالعَظَمة والجَلال، والمتفرِّد بالكبرِيَاء والكمال، لا يُصوِّره وَهْمٌ ولا خَيَال(١)، ولا يَحصُرُه حدٌّ ولا مِثال، فسُبحان من عزَّت معرفتُه لو لا تعريفه(٢)، لا يزالُ برهانُ عِرفانِه في أرضِهِ وسَمائِه، والصَّلاةُ التَّامَّةُ الدَّائِمةُ على خِيرَتِه مِن خَلقِه مُحمَّدٍ وآلِه أجمعين، وأَصحابِه والتَّابِعين لَهُم بإحسانٍ وتَابِعِيهم(٣) إلى يَوم الدِّين.

أمَّا بَعدُ؛ فقد أَلَّفتُ هذا التأليفَ في مكةَ ـ شرَّفَهَا اللهُ تَعَالى ـ، ثُمَّ استَدرَكتُه بمَدِينَة دِمَشْقَ، وزِدتُ فِيه فوائدَ، حتَّى إذا طَالعَه المُرِيدُ الصَّادقُ ونبَّهَه اللهُ تعالى عَن رَقْدَةِ الغَفْلَة ـ عرَفَ أنَّ الملوَّثَ لا يَصْلُحُ للحَظِيرة القُدسِيَّة والحَضْرَةِ الرَّبَّانيةِ، فيتنبَّه؛ فيشتغل بطهارة الظَّاهر والباطن، ويَعلَم أنَّ ربَّه تعالى يَطلُبه بموافقة الطَّاعة ويَمنَعُه عَنِ المُخالَفةِ، فيُنادِيه بِلِسانِ الحالِ(٤):يا ابن آدم، أنا بُدُّك اللَّازم، فالزَمْ بُدَّك، أنا كافِيك عَن كلِّ شيءٍ، ولا يَكفِيك عنِّي شيءٌ.

فيقومُ فيَطلُب النَّجاةَ، فيقولُ: يا غياثَ المُسْتَغِيثِين أغِثْني. فيحمله ذلك على سُلُوك طريقِ التَّحقيق والبُلوغِ إلى عالمِ اليقين والوصالِ إلى حضرةِ الإلٰهِ المُنَزَّهِ عَنِ الاتِّصالِ والانفِصَالِ، والقُربِ مِن الله تعالى والأُنْسِ به والجُلُوسِ معه، [كما قال الله تعالى]: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي».(٥)

(١) قال الإمامُ العارفُ الشَّيخُ سَعدُ الدِّين الخَيْرَآبَادِي قدَّس اللهُ سرَّه (م: ٩٢٢هـ) في شرح «الرِّسالة المكِّية» المسمَّى بـ«مَجْمَع السُّلُوكِ والفَوَائِد» : اعلم أنَّ كُلَّ ما يتصوَّره العقلُ إن تساوي طرفاه فهو: شكٌّ، وإن ترجح فالرَّاجح: ظنٌّ، والمَرجُوح: وَهمٌ؛ ثُمَّ المُتَصوَّر إن استَقرَّ في خَزَانة الصُّوَر فهو: خيالٌ. اهـ.

(٢) أي لو لا تعريفه لعَدِمَت معرفتُه. عزَّ الشيءُ يعِزُّ: إذا قلَّ فلا يكاد يُوجَد فهو عَزِيز.

(٣) "تابعيهم" زيدت من د.

(٤) يعني إن الله يُعطيه حالاً فيُدرك بتلك الحال. كما في «مجمع السُّلوك».

(٥) "كما قال الله تعالى" هذه زيادة من المحققين من حاشية ر. وهذا الخبر القدسي صحيح برواية كعب الأحبار عن سيدنا موسى عليه السلام كما أخرجه أحمد في الزهد، باب أخبار موسى عليه السلام (ص: ٦٨)، وابن أبي عاصم في الزهد (ص:٥٧، رقم: ١١١) وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الطهارة، باب الرجل يذكر الله وهو على الخلاء أو وهو يجامع (١/ ١٠٨، رقم: ١٢٢٤) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٤٢) وأوردها البيهقى تماما فى شعب الايمان، باب في محبة الله عز و جل، الفصل الثاني في الذكر (٢/ ١٧١رقم :٦٧٠) من طريق الحسين بن جعفر عن سفيان عن عطاء بن مروان حدثني أبي عن كعب قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أ قريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني. وقيل: إن هذا الخبر مروي عن النبي ﷺ ولكن لم أعثر عليه ومعناه ثابت مرفوعا أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ (٩/ ١٥٣) عن أبي هريرة «أنا مع عبدي حيثما

فصل في معنىٰ السُّلوك والوصال وطرائقهما:

فإن قيل: ما معنى السلوك والوصال؟ فيقال: السلوك عبارة عن تهذيب الأخلاق ليستعد به للوصول. ومعنى الاتصال بالحق؛ الانقطاع عما دون الحق: وأدنى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالى بعينِ القلب وإن كان من بعيد، فإذا رفع الحجاب عن قلبه وتجلى له، يقال: إنه الآن واصل، ثم لايزال يزداد الوصال على قدر دوام المشاهدات إلى أن يحصل الأنس به تعالى والبسط وغير ذلك من المقامات العالية.

وليس المراد بالاتصال اتصال الذات بالذات؛ لأن ذلك إنما يكون بين الجسمين، وهذا التوُّهم في حق الله تعالى كفر، بل بمقدار انقطاعهم عن غير الحق اتصالهم بالحق.

فإن قيل: ما الدليل على كينونة الوصال بين العبد وربه تعالى؟

يقال: حَديث أبي رَزِينٍ[1] ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ـ ﷺ ـ، أنه قال: «يا أَبَا رَزِين، إذا خلَوْتَ فأَكثِر ذِكرَ الله تعالى، وزُرْ فِي الله، فَإِنَّهُ من زار فِي الله شَيَّعَه سَبْعُونَ ألف ملك يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ وَصَلَنا فِيكَ فَصِلْه»[2]. دلَّ هذا الحديث على كينونة الوصال بين العبد وربه تعالى.

فإن قيل: كيف الطريق إلى الله تعالى؟ يقال: الطريق له بداية ونهاية، سُئِل الجنيد[3] ـ رحمه الله ـ عن النهاية، فقال: الرجوع إلى البداية، قال بعضهم: أراد الرجوع إلى الله؛ لأن الله تعالى أوّل كل شيء ومبدأه، ومرجع كل شيء ومنتهاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾(هود: ١٢٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٥)، فمنه المبدء وإليه المنتهى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ (النجم: ٤٢).

وله معنىً آخر؛ وهو أن نهاية المريد وغايته أن يبلغ إلى حال بدايته حيث خلقه الله تعالى وصوَّره في بطن أمه، ونفخ فيه الروح، وأنه في تلك الحالة كان في غاية الفقر و الحاجة إلى الله

ذكرني وتحركت بي شفتاه». وقال الحوت البيروني في أسنى المطالب (ص: ٩٢): لكن المعنى مختلف بين المعية المجالسة. نقول: ليس بمختلف في حق الله تعالى فإنه منزه عن المعية والمجالسة كليهما معا فافهم. أنظر أيضًا في: اللآلي المنثورة للزركشي، والمقاصد الحسنة للسَّخاوي، والدرر المنتثرة للسيوطي، وكشف الخفاء للعجلوني.

(١) لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي، وافد بني المنتفق، له صحبة، عد من أهل الطائف.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس، باب الياء (٥/ ٣٥٣، رقم: ٨٤١٣)، الفوائد الشهيرة بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي، باب المتزاورين في الله عز وجل (٢/ ٧٩١، رقم: ١١٠١) مسند الشاميين للطبراني، عن أنس بن مالك (٣/ ٣٠٠، رقم: ٢٣٢٥)، الأمالي الخميسية للشجري، زيارة الإخوان وفضلها وما يتصل بذلك (١/ ٣٧٢)

(٣) **الجنيد**: (٢٢١ – ٢٩٧ هـ = ٨٣٠ – ٩١٠ م) هو الإمام القدوة أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، من العلماء الأعلام، إمام الدنيا في زمانه، وسيد الطائفة الصوفية لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شبه الغلاة، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد.

تعالى، وفي غاية التوكل على الله تعالى، ولا حافظ له، ولا مُربِّي له في تلك الحالة إلا الله، وأنه كان في تلك الحالة في غاية الضعف، والعجز، والتواضع، والتذلُّل، والخضوع لله تعالى، وأنه كان في غاية الصفاء من الحقد، والحسد، والكبر، والعُجْب، والهوى، وسائر الصفات الذميمة، والذنوب كلها، وكل ذلك كمال العبد، وبتلك الأحوال يبلغ العبد درجة الحرية، فالحرية نهاية العبودية، فهي بداية العبد عند ابتداء خلقته، فافهم فإنه بعيد الغور.

وأما الطريقة فهي لباب الشريعة، لا هي الشريعة، ولا هي غير الشريعة، وبداية الطريقة الأخذ بالأحسن والأحب، والاحتياط في أحكام الشرع، والاجتناب عن الرخص والتسهيلات، ثم في الطريقة منازل ومقامات، ولكل منزلٍ ومقامٍ بداية ونهاية، ولا يصل أحد إلى النهاية إلا بتصحيح البداية.

فصل في أن الوصول إلى النهاية بتصحيح البداية:

قال الجنيد ـ رحمه الله ـ: لا يصل أحد إلى النهاية إلا بتصحيح البداية، وقال بعضهم: إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول.

وقال أبوسليمان الداراني[1] ـ رحمه الله ـ: و إنما حرموا الوصول ـ وهي الحقيقة ـ، لتضييعهم الأصول – وهي الطريقة –.

وقال الجنيد: أصولهم خمس خصال: ١- صيام النهار، ٢- و قيام الليل، ٣- وإخلاص العمل، ٤- والإشراف على الأعمال بطول الرعاية، ٥- والتوكل على الله تعالى في كل حال.

وقال سهل التستري[2] ـ رحمه الله تعالى ـ: أصولنا سبعة أشياء: ١- التَّمَسُّك بكتاب الله تعالى، ٢- والاقتداء برسول الله ـ ﷺ ـ، ٣- وأكل الحلال، ٤- وكف الأذى، ٥- واجتناب الآثام، ٦- والتوبة، ٧- وأداء الحقوق.

فصل في أن علوم الصوفية علوم الأحوال:

علوم الصوفية علوم الأحوال، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يرث الأحوال إلا من صحح الأعمال؛ ولهذا قالوا: لا وارد لمن لا وِرْد له، وقال أبو سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ: كل عمل لا ميراث له في الدنيا لا جزاء عليه في الآخرة.

---

(١) **أبو سليمان الداراني**: (٢١٥ هـ = ٨٣٠ م) أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي زاهد مشهور ومن كبار الصوفية، من أهل داريا (بغوطة، دمشق) رحل إلى بغداد، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفي في بلده.

(٢) **سهل التستري**: (٢٠٠ – ٢٨٣ هـ = ٨١٥ – ٨٩٦ م) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، كان أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في «تفسير القرآن» وكتاب «رقائق المحبين» وغير ذلك.

وتصحيح الأعمال بمعرفة[1] علومها، وهو علم الفقه من الصلاة، والصيام، وسائر الفرائض، والسنن الراتبة.

فأوَّل ما يجب على العبد بعد علم المعرفة والتوحيد: الاجتهادُ في طلب هذا العلم على قدر ما أمكنه على طريق الكتاب، والسنة، و إجماع السلف الصالح.

قال بعضهم: العمل بغير علم سقيم، والعلم بغير عمل عقيم، والعمل بالعلم صراط مستقيم؛ ولهذا فُرِض طلب العلم، قال النبي ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[2] وفي بعض الروايات: «اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة»[3].

والعِلْمُ الَّذي فُرِضَ طَلَبُه هُو الَّذي به يصحّ اعتقاده، وإيمانه، وتوحيده، وعمله، ومعرفته، وما لا يسعه جهله، وكل علم لا يكون طريقه التوحيد فهو باطل. فمن صح له العلم الراجح وصح له توحيد الحق فيجب عليه عبوديته، والواجب عليه قد يكون في ظاهره كأعمال الجوارح، وقد يكون في باطنه كأعمال القلوب.

فصل في أن العلم الراجح هو في كتاب الله تعالى:

هذا العلم الراجح الذي به يصح اعتقاده،[4] ومعارفه، وعمله الصالح ، هو في كتاب الله

(١) زيد حرف الباء من د وليس في غيرها وفي ر "تصح" بدل "تصحيح".

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (١/ ٨١، رقم: ٢٢٤) قال السيوطي في مصباح الزجاجة على شرح ابن ماجه (١/ ٢٠) : سئل الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال: إنه ضعيف، أي سندا، وإن كان صحيحا، أي معنى. وقال تلميذه جمال الدين المزي: هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن، وهو كما قال. فإني رأيت له خمسين طريقا وقد جمعتها في جزء. وقال الزركشي في اللآلي المنثورة (ص:٤٠) : روي من حديث علي وابن مسعود وأنس وابن عمر وابن عباس وجابر وأبي سعيد، وفي كل طرقه مقال، وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس، وطريق مجاهد عن ابن عمر، وقال: فالحديث حسن.

تنبيه: قد ألحق المصنف والآخرون بآخر هذا الحديث «ومسلمة» وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كان معناها صحيحا.

(٣) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٣٠، ترجمة ٧٧٧)، وابن عدى في الكامل (٤/ ١١٨، ترجمة: ٩٦٣) كلاهما فى ترجمة طريف ابن سلمان أبي عاتكة. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/ ١٩٣، رقم: ١٥٤٣) وقال: هذا الحديث شبه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روى من أوجه كلها ضعيفة. وأخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١/ ٢٩، رقم: ٢٠) والخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٤٩٨، ترجمة: طريف بن سلمان) ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات، كتاب العلم (١/ ٢١٥) وقال العجلونى في كشف الخفاء (١/ ١٥٦، رقم: ٣٩٧): ضعيف. وقال ابن حبان: باطل. وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات، ونوزع بقول الحافظ المزى: له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن، وبقول الذهبى فى تلخيص الواهيات: روى من عدة طرق واهية وبعضها صالح.

(٤)"إعتقاده" زيدت من د.

تعالى؛ فإن القرآن هو الإمام في الاعتقاد، والإيمان، والتوحيد، والمعرفة، والأعمال، والأحوال[1].

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾(فاطر: ٣١)، وقال الله تعالى: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾(الأعراف: ٣).

وكذا الأخبار، قال النبي ﷺ: «إني تَرَكتُ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلوا: كتابَ الله وعِترَتي»[2].

ومن لم يبلغ هذه الرتبة فلا بدّ له من شيخ كامل يدلّه على الطريق ويرشده إلى الله تعالى؛ ولذلك قالوا: «من لا شيخ له فالشيطان شيخه»[3]. والشيخ يدلّه على المجاهدة، والرياضة، والزهد، والتقوى.

وكيف ما كان لا بد له من سراج العلم و مشعلته كيلا يتخبط في الطريق فيخرج شاطحا غالطا، فإن بنور العلم ضياء القلب وبذهابه عماه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ (الإسراء:٧٢).

قال أبو علي الرُّوذباري ـ رحمه الله تعالى ـ: كان أستاذي في التصوف: الجنيد، وكان أستاذي في الفقه: أبو العباس بن سريج، وكان أستاذي في النحو واللغة: ثَعْلب، وكان أستاذي في حديث رسول الله ـ ﷺ ـ: إبراهيم الحربي.[4]

---

(١) في ك، وخد "معرفة الأعمال والأحوال" مكان "والمعرفة، والأعمال، والأحوال".

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب مناقب أهل النبي ﷺ (٥/ ٦٦٢، رقم: ٣٧٨٦) بلفظ: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي» ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب (٤/ ١٨٧٣، ٢٤٠٨)، والآخرون في كتبهم بألفاظ مختلفة.

(٣) في د "فالشيخ له إبليس" مكان "فالشيطان شيخه". وهذا الكلام من أقوال المشايخ وتؤيده الآيات البينات، والأحاديث الصحيحة قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِين﴾ (التوبة: ١١٩)، و ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، و قال ﴿وَلِكُلِّ قَوْم هَاد﴾ (الرعد:٧)، وقال ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام:٩٠)، وقال ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥)، وقال ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٩)، وقال ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (فاطر: ١٤)، وقال ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِين، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُون﴾ (الزخرف: ٣٧،٣٦) وقال رسول الله ﷺ في جزء من حديث: «العلماء ورثة الأنبياء»، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال ـ ﷺ ـ أيضًا: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: العلم قبل القول والعمل(١/ ٢٤) وروى مسلم في مقدمة صحيحه، باب في أن الإسناد من الدين (١/ ١٤) عن ابن سيرين أنه قال: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم».

(٤) في جميع النسخ "أبو العبّاس بن شريح" والصحيح "سريج" (المتوفى ٣٠٦ هـ) وكذا في بعض النسخ "ابراهيم ==

ولا بد له من كل ذلك في استكمال النفس.

فصل في أن طلب العلم أفضل الأعمال عند الصوفية:

الصوفية رأوا طلبَ العلم أفضل الأعمال لتوقفها عليه، فإن الجاهل قد يعتقد ما ليس بقربةٍ قربةً، كبدع المبتدعة بأفعالهم، نحو حلق اللحى، والتطوُّق بأطواق الحديد وغير ذلك مما اخترعه الجهلة.

ولا يقبل الله تعالى من العمل إلا ما كان صوابًا خالصًا، والصَّواب: ما كان على وفق الشريعة المطهرة، والخالص: ما أريد به وجه الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: ٥).

وأجمعوا على أن جميع ما فرَضَ اللهُ تعالى على العباد في كتابِه، وأَوْجَبَه رسُولُ الله ـ ﷺ ـ فرض لازم، وحتم واجب، لا يجوزالتخلف عنه، ولا يسع فيه التفريط لأحد من النَاس من صدّيق أو ولي أو عارف، وإن بلغ أقصى المراتب وأعلى الدرجات، وأنه لا مقام للعبد يُسقط عنه آداب الشريعة، فإن من المعلوم بالضرورة أن أقرب الناس إلى الله تعالى أنبياءه و رسله ـ عليهم السلام ـ، ولم يرتفع عنهم التكليف إجماعًا مع بلوغهم الرتبة العالية، فَمَنْ دونهم أولى بذلك، بل كلّما ازدادالقرب كانت المطالبةُ بأداءِ آدابِ الشريعة والمعاتبةُ على تَرْكها أكثر.

فعُلِم بذلك أن صحة العمل بصحة العلم. ولهذا قال سهل التستري ـ رحمه الله تعالى ـ: اجتنب صحبة ثلاثةأصناف من الناس: الجبابرة الغافلون، والقراءالمداهنون، والمتصوفة الجاهلون.

فصل في علوم الشريعة :

علوم الشريعة أصول و فروع، فالأصول أصول الدين مثل التوحيد، والمعرفة، والإيمان، والإيقان.

== الجوفي" وفي الأخرى "الجوني" والصحيح "إبراهيم الحربي" (١٩٨ – ٢٨٥ هـ = ٨١٥ – ٨٩٨ م) كلا الاسمين أثبتناهما من تاريخ الإسلام للذهبي تحت ترجمته لأبي علي الروذباري [المتوفى: ٣٢٢ هـ] (٧/ ٤٦٩).

أبو علي الرُّوْذباري: (٣٢٢ هـ = ٩٣٤ م) محمد بن أحمد بن القاسم، الفقيه المحدث النحوي، من كبار الصوفية ومن أولاد الرؤساء والوزراء. له تصانيف حسان في التصوف. أصله من بغداد.سكن مصر.

أبو العباس بن سُرَيْج: (٢٤٩ – ٣٠٦ هـ = ٨٦٣ – ٩١٨ م) أحمد بن عمر بن سريج البغدادي فقيه الشافعية في عصره، مولده ووفاته في بغداد. له نحو ٤٠٠ مصنف. وكان يلقب بالباز الأشهب. ولي القضاء بشيراز، وقام بنصرة المذهب الشافعي فنشره في أكثر الآفاق.

ثَعْلب: (٢٠٠ – ٢٩١ هـ) أبو العباس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، العلامة المحدث، إمام النحو، صاحب "الفصيح" والتصانيف الأخرى.

إبراهيم الحربي: (١٩٨ – ٢٨٥ هـ = ٨١٥ – ٨٩٨ م) أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي: كان حافظا للحديث عارفًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، قيمًا بالأدب، زاهدًا عن الدنيا، صنَّف كتبًا كثيرةً منها: غريب الحديث، وإكرام الضيف، ومناسك الحج.

والفروع؛ هي الأعمال، والطاعات، والأحوال. والمقامات فروع هذه الأصول وزياداتها.

وأقسام العلوم أربعة:

[القسم][1] الأول: علم الرواية والأخبار والآثار ؛ وهو العلم الذي ينقله الثقات عن الثقات.

والقسم الثاني: علم الدراية ؛ و هو علم الفقه والأحكام، المتداول بين العلماء والفقهاء.

والقسم الثالث: علم النظر والاستدلال على المخالفين بإثبات الحجة على أهل البدع[2] والضلال، نُصْرةً للدين.

والقسم الرابع:ـ وهو أعلاها وأشرفها ـ، علم الحقائق والمنازلات والأحوال، وعلم المعاملة والإخلاص في الطاعات، والتوجّه إلى الله تعالى من جميع الجهات.

فمن غلط في علم الحقائق والأحوال فلا يَسأل عن غلطه إلا عالمًا منهم كاملًا في معناه. فهذه العلوم كلها توجد في أهل الحقائق من الصوفية، ولا يوجد علم الحقائق في غير أهلها؛ لأن علم الحقائق ثمرة العلوم كلها، وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق، فإذا انتهى إليها وقع في بحر لا ساحل له، وهو علم القلوب وعلم المعارف وعلم الأسرار.

فإن اجتمعت هذه الأقسام الأربعة في واحد، فهو الإمام الكامل، وهو القطب، والحجة، والداعي إلى المنهج والمحجة؛ قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[3].

وقال عليٌ ـ رضي الله عنه ـ في كلام لكميل بن زياد[4]: «[5] اللهُمَّ بَلَى، لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لله بِحُجَّةٍ، كَيلَا تَبْطُلَ آياتُه، وتدحض حُجَّتُه[6]، أُولَئِكَ هُم الْأَقَلُّونَ عَدَدًا، الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ الله قَدْرًا»[7].

---

(١) هذه الكلمة زيدت من المحققين لينسجم النص.

(٢) في د "والاستدلال للحجة على أهل البدعة" وفي طو "وإثبات" مكان "بإثبات".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ...» (٩/ ١٠١، رقم: ٧٣١١) ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي.» (٣/ ١٥٢٤، رقم: ١٠٣٧) والآخرون بألفاظ مختلفة.

(٤)**كميل بن زياد:** (١٢ – ٨٢ هـ = ٦٣٣ – ٧٠١ م) هو بن نهيك النخعي تابعي ثقة من أصحاب علي بن أبي طالب. كان شريفًا مطاعًا في قومه. شهد صفين مع علي، وسكن الكوفة، وروى الحديث. قتله الحجاج.

(٥) "أقسم بالله إن الطائفة من العباد قائمون على الحق" زائد في طو و ك، وفي د مكانه "علِّمه".

(٦) يقال: دحضت الحجة أي بطلت.

(٧) أخرجهُ أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٠)، والخطيبُ في الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٢– ١٨٣ رقم: ١٧٧)، والمزي في تهذيب الكمال (٢٤/ ٢٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤/ ١٨) و الذهبي في تذكرة الحفاظ (١/ ١٢) وعلى الرغم من

فصل في أن ليس لأحد أن يزعم أنه يحوي جميع العلوم:

ليس لأحد أن يزعم أنه يحوي جميع العلوم فيخطئ برأيه كلام المخصوصين بذلك و يزندقهم، وهو غير ممارس أحوالهم وغير منازل حقائقهم، وأعمالهم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩) وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾(الأحقاف: ١١).

وذلك لأنَّ اللهَ خصَّ النبيَّ - ﷺ- بعلوم ثلاثة، علم بين الخاصة والعامة، وهو علم الحدود والأمر والنهي.

وعلم خص به بعض الصحابة دون غيرهم، وهو الذي كان يعلمه حذيفة بن اليمان(١) صاحب السرّ - رضي الله عنه -، وروي عن علي - كرَّم اللهُ وجهَه - أنه قال: «علَّمني رسولُ الله - ﷺ - سبعين بابًا من العلم لم يُعلّم ذلك أحدًا غيري»(٢). وعلم خصَّ به رسول الله - ﷺ- لم يشارك فيه أحدٌ من الصحابة، وهوالعلم الذي قال عليه السلام: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ، وَلَا تَقَارَرتُمْ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ، والله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَد»(٣).

ضعفه فقد اهتم ابن القيم بشرح هذا الأثر في كتابه مفتاح دار السعادة (١/ ١٢٣)، وابنُ رجب الحنبلي في رسالته كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة (١/ ٣٢٣).

(١) **حذيفة بن اليمان**: (٣٦ هـ = ٦٥٦ م) حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، أبو عبد الله، واليمان لقب حسل، صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره..

(٢) نقل أبو نصر السراج الطوسي في اللمع، باب ذكر التخصيص في علوم الدين (ص:٣٨) وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦٨) عن ابن عباس، قال: «كنا نتحدث أن النبي ﷺ عهد إلى علي سبعين عهدا، لم يعهد إلى غيره» والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ١٦١، رقم: ٩٥٦) وقد وردت الأحاديث والآثار عن سعة علم سيدنا علي كرم الله وجهه الكريم منها: «أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها» أخرجه الترمذى (٥/ ٦٣٧ ، رقم ٣٧٢٣) و «أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب » أخرجه الحاكم (٣/ ١٣٨ ، رقم ٤٦٣٩) والخطيب في تاريخ بغداد (٨/ ٥٥، ترجمة: جعفر بن محمد أبي محمد الفقيه) وابن عدى في الكامل (٣/ ٤١٢ ترجمة:٨٤٠ سعيد بن عقبة أبي الفتح) وعن هاتين الروايتين قال السخاوي في المقاصد (ص: ١٧٠) «وبالجملة فكلها ضعيفة وألفاظ أكثرها ركيكة وأحسنها حديث ابن عباس بل هو حسن» وقال الزركشي في اللآلي المنثورة (ص: ١٦٥) «والحاصل أن الحديث ينتهي لمجموع طريقي أبي معاوية وشريك إلى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفا فضلا عن أن يكون موضوعا» وقال السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (ص: ٥٧): «وقال الحافظ أبو سعيد العلائي: الصواب أنه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف، فضلا عن أن يكون موضوعا. قلت: وكذا قال شيخ الإسلام ابن حجر في فتوى له». وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (ص: ١٢٣): «رواه جماعة ، وصححه الحاكم، وحسنه الحافظان العلائي وابن حجر» ونقل السيوطي عن سعة علم سيدنا علي رضي الله عنه في الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٤٤٩) «قال ابن أبي جمرة: عن علي رضي الله عنه أنه قال: لو شئت أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا» (٤/ ٥٥٦،

فعلى هذا، يجب على القائل والسامع مراعاة الكلام في المخاطبات؛ فالذي يجب على القائل أن لا يطلق اللفظ المبهم الموهم إلا إذا فهمه السامع، والذي يجب على السامع أن لا يبادر إلى تخطئة القائل عند سماعه، بل يحسن الظن به ويحمل عدم ظهور الحق على قصور فهمه.

باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل :

لا بد للمريد من شيخ كامل يقتدي به؛ لأنه رفيق في الطريق، ويعلم أن لهذا الشأن محكًا ومعيارًا، وهو: القرآن، والأخبار، وإجماع الأمة المسلمة. فما وافق المعيار وخرج من المحك سالمًا من الغش فهو صحيح، وما خالف ذلك فهو فاسد باطل، قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾(المائدة: ٣٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[١].

رقم: ٢٣١٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤، رقم: ٣٨٨٣ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة و عائشة و ابن عباس و أنس، وقال: هذا حديث حسن غريب، ويروى من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال: لوددت أني كنت شجرة تعضد، وقد رواه أصحاب الصحاح بنقص وزيادة، ولفظ الشيخين: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا».

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم، باب ذكر الدليل من أقاويل السلف على أن الاختلاف خطأ وصواب (٢/ ٩٢٥، رقم: ١٧٦٠)، و عبد بن حميد في المنتخب من المسند (ص: ٢٥٠، رقم: ٧٨٣)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٨٥- ٧٨٦)، و البيهقي في المدخل (١/ ١٦٢، رقم: ١٥٢)، والخطيب في الكفاية (ص: ٤٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٢٧٥، رقم:١٣٤٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٦٥، رقم: ٧٠٣) بألفاظ مختلفة، ومعناه واحد. ولكن هذا الحديث غريب لم يروه أحد من أصحاب الكتب المعتمدة وله طرق ضعّفها علماء الجرح والتعديل وأما معناه فهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ فالنبي ﷺ داع إلى الله على بصيرة وأتباعه أيضًا دعاة إلى الله والرعيل الأول لأتباعه هو الصحابة كلهم، ففهم من هذه الآية أن الصحابة كلهم دعاة الطريق إلى الله وهداته فمن اقتدى بهم اهتدى إلى سواء السبيل، وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) فإن حملة لواء الأمة الوسط وقوادهم الأولين، المشهودين بالرسول بدون الواسطة، هم أصحاب النبي ﷺ وهذا القدر من شهادة القرآن لهم يكفي لكونهم هادين لمن يقتدي بهم، وقال سبحنه تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (التوبة: ١٠٠) ودلت هذه الآية على رضاء الله تعالى عن الأنصار والمهاجرين والذين اتبعوهم إلى يوم الدين وعلى سخطه على من يخالف سبيل الرسول والمؤمنين وهم الصحابة أولا بلا ريب.

وهناك أحاديث صحيحة وحسنة تؤيده منها: قال رسول الله ﷺ في بيان الفرقة الناجية «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان (٥/ ٢٦، رقم: ٢٦٤١) و الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨، رقم: ٤٤٤)

ومنها «النجوم أمنة أهل السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان

وروى الغزالي(١) ـ رحمه الله تعالى ـ في الإحياء: أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته»(٢)، و قال ـ رحمه الله تعالى ـ : ليس ذلك بكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته، بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله؛ ولذلك ترى أجلاف الخلق يوقرون المشايخ بالطبع، فضلًاعن ألطاف الناس.(٣)

فَالشَّيخُ هو الَّذي سَلَك طَريقَ الحقِّ وعرَف المخاوفَ والمهالك، فَيُرشِد المريدَ و يشير إليه بما ينفعه ويضرُّه، فلا يكون الشيخ وصحبته أقل من الجليس الصالح، قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مثل الجليس الصالح كمثل العطار، إن لم يجدك من عطره عبق بك رائحته، ومثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرقك ناره عبق بك دخانه و رائحته»(٤).

لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة (٤/ ١٩٦١، رقم: ٢٥٣١)، وأحمد في مسنده عن أبي موسى الأشعري (٣٢/ ٣٣٥- ٣٣٦، رقم: ١٩٥٦٦)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٢٣٥، رقم: ٧٢٤٩)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ٣١٨- ٣١٩)

وأما الإجماع فقد اتفق العلماء على عدالة الصحابة وكونهم الهادين والمهديين ومن يقتدي بهاد ومهدي لا شك في كونه مهتديا.

(١) **الغزالي:** (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م)حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي: شيخ عارف، متكلم أشعري، فقيه شافعي، فيلسوف إسلامي، له نحو مئتي مصنف منها: إحياء علوم الدين.

(٢) أخرجه ابْن حبَان فِي الضُّعَفَاء من حَدِيث ابْن عمر (ترجمة عبد الله بن عمر بن غانم قاضي إفريقية، ١/ ٤٥٩) وَأَبُو مَنْصُور الديلمي (٢/ ٣٧٣، رقم الترجمة:٣٦٦٦) ومعجم ابن عساكر من حَدِيث أبي رَافع بِسَنَد ضَعِيف (٢/ ٧٠٣) وعزاه السيوطي في الجامع الصغير للخليلي في مشيخته وابن النجار في تاريخه ولكن هذا الحديث غير ثابت مرفوعاً عند أهل العلم، كابن حجر وغيره. وقال بعضهم: إنه من أقوال المشايخ، ولكن معناه موافق للكتاب والسنة كما في القرآن الكريم: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، قال تعالى ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (لقمان: ١٥) وفي السنة الصحيحة: "إن العلماء هم ورثة الأنبياء" أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل (١/ ٢٤) وأحمد في مسنده عن أبي الدرداء (٣٦/ ٤٥، رقم: ٢١٧١٥).

وقد فهم بعض الشارحين أن معنى كلمة "الشيخ" هو ضد الشاب، والصحيح أن المراد به العالم الرباني وهو حقا من أولي الأمر يطاع فلا يعصى. قال المناوي في فيض القدير (٤/ ١٨٥): قال ابن عربي : الشيوخ نواب الحق كالرسل في زمانهم فهم ورثوا الشرائع وعليهم حفظ الشريعة لا التشريع وحفظ القلوب ورعاية الآداب، فهم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة، والطبيب لا يعرف الطبيعة إلا بما هي مدبرة للبدن، والعالم بالطبيعة يعرفها مطلقا وإن لم يكن طبيبا.

(٣) إحياء علوم الدين، كتاب العلم، الباب السابع في العقل (١/ ٨٣)

(٤) في طو "الكير" بدل "القين" والحديث رواه الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الأدب باب الجليس الصالح (٨/ ٦١، رقم:١٢٩٣١) عن أبي موسى قال: قال رسول الله – ﷺ –:«مثل الجليس الصالح مثل العطار، إن لم يحبك من عطره يعبق بك من ريحه، ومثل الجليس السوء كمثل القين إن لم يحرق ثيابك يعبق بك من دخانه» وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن، وأخرجه البخارى في صحيحه كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك (٢/ ٧٤١ ، رقم: ١٩٩٥)،

فصل في أن يحتاط المريد في اختيار الشيخ و يجتهد في معرفته :

إذا وصل المريد إلى الشيخ يحتاط ويجتهد في معرفة الشيخ أنه هل يصلح مسيئًا[1] ويجوز الاقتداء به؟ فإنَّ أكثر الطالبين هلكوا في هذا المنزل، بل هلاك عموم الناس كان بالاقتداء بالأئمة المضلة، قال الله تعالى:﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم﴾ (إبراهيم: ٢٢)، والسلطان هوسلطان الحق، قال رسول الله ﷺ: «لا يعجبنكم إسلام رجل حتى تعلموا ما عقدة عقله»[2].

وطريق معرفته أن يعلم المريد أن جميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ متابعتهم فرض لازم وحق صواب، لا سيما نبينا محمد خاتم الأنبياء ـ عليهم السلام ـ. ودينهم في الأصول واحد، أعني معرفةَ الله تعالى ومعرفة صفاته عز وجل، ومعرفة الكتب، والرسل، والملائكة، وأمور الآخرة، لايسع فيها الخلاف والنسخ؛ إذ الحقائق لا يقبل النسخ و إنما النسخ في الأحكام.

ثم يعلم أن اختلاف الأمة في فروع الإسلام، لا بأس به، بل هو رحمة، وكل مجتهد مصيب، يعني لو أخطأ في إصابة الحق يستحق من الثواب كفلا وإن أصاب يستحق كِفْلَين كما في الخبر.[3]

وأما المخطئ في الأصول فضالٌّ، مبتدع، عاص، وطريق نجاته من البدعة متابعة الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة في معرفة ذات الله تعالى وصفاته ـ جل وعلا ـ.

فإن وجد الشيخَ على هذا المذهب يبحث بعد ذلك عن علمه بالطريقة والحقيقة، فإن كان مبتديًا يعرف ذلك من أفواه الناس ومن أحوال الجماعة الذين يقتدون به، يحبونه ولا ينكرون عليه. فإن علم أنه لا ينكرعليه علماء زمانه، ورأى بعض العلماء يقتدون به، وأكياس الناس من

ومسلم في صحيحه، (٤/ ٢٠٢٦ ، رقم: ٢٦٢٨)، والآخرون من أصحاب الصحاح بألفاظ مختلفة ولفظ البخاري: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه، أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بدنك، أو ثوبك، أو تجد منه ريحا خبيثة»

(١) في د " للمشيخة شيئا" مكان "مسيئا".

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، فصل في فضل العقل (٦/ ٣٥٤، رقم: ٤٣٢٠) وقال: إسحاق بن أبي فروة ضعيف، وقد روى عنه الأكابر والله أعلم، والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٨٨ رقم:٩٤٣) والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٠٢ ترجمة ١١٩ إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة)، وابن عدى في الكامل (٢/ ٤١٢ ، ترجمة ٥٣١ حبيب بن أبى حبيب) وفي كتاب العلل لابن أبي حاتم بلفظ: لا تحمدوا إسلام رجل حتى تعرفوا عقدة رأيه. نقول: ولعل هذا هو المراد في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِين﴾ (الحجرات:٦).

(٣)صحيح البخاري (٩/ ١٠٨ رقم: ٧٣٥٢)، و صحيح مسلم ، كتاب الأقضية، (٣/ ١٣٤٢، رقم ١٧١٦): أن رسول الله ﷺقال: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر".

الشيوخ والشباب يبايعونه، ويرجعون إليه في طلب الطريقة والحقيقة، يعلم أنه ماهر في ذلك، والاقتداء به إن قبله الشيخ عين المصلحة، فيقتدي به وينقاد له فيما يأمره من معاملات الطريقة، ويعتقد في قلبه أن لا شيخ له غيره، ولا يوصله إلى الله تعالى إلا هذا. وهذا توحيد المطلب، وأنه ركن عظيم، غلط فيه كثير من المريدين وانقطعوا به من طريق الله حيث تردَّدُوا بين المشايخ، وذاقوا من طريقة كل واحد ذوقة وتشوَّشُوا فيه.

مسألة: معنىٰ توحيد المطلب عند الصوفية :

المراد من توحيد المطلب أن يتحقق الطالب أنه لا يمكنه الوصول إلى مطلوبه إلا من يد شيخ معيّن موصوف بما ذكرنا، فإن من تشعبت به همومه لا يبالي الله تعالى في أي واد أهلكه، فكما أن الحق واحد والقبلة واحدة، ينبغي أن يكون المطلب واحدًا، لئلا يتصرف فيه الشيطان ولا تزعجه النفس.

مسألة: معنىٰ الصدق و الإخلاص :

ينبغي أن يكون المريد صادقًا مخلصًا. أما الصدق: فأن يكون مستقيمًا مع الله ظاهرًا، وباطنًا، وسرًّا، وعلانية، وأن يكون بجميع أطواره طالبًا لله تعالى، يعني ببدنه ونفسه وقلبه وعقله وسره وروحه.

وأما الإخلاص: فأن يكون جميع حركاته وسكناته، وقيامه وقعوده وتقلباته، وأفعاله، وأقواله لله تعالى، فبهذا الطريق يرجى له معرفة الله تعالى وصفاته عز وجل، وذلك التوحيد.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى عز وجل: من طَلَبَني وجدني ومن طلَب غيري لم يجدني»[1]

---

(١) أخرجه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد (المتوفى ٢٧٠هـ) في المحبة لله سبحانه (ص:١١١) وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٩٣) وأبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى٦٠٠هـ) في الترغيب في الدعاء (ص: ٥٣، رقم: ١٩) بأسانيدهم، وقال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين، كتاب المحبة والشوق، بيان معنى الشوق إلى الله (٢/ ٢٧١): (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (لكعب) الأحبار رحمه الله تعالى (أخبرنى عن أخص آية يعنى فى التوارة فقال يقول عز وجل: طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشد شوقا) ولفظ القوت: طال شوق أوليائى إلي وأنا إليهم أشوق، (قال ومكتوب إلى جانبها: من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى، فقال أبو الدرداء: أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا). نقله صاحب القوت وأغفله العراقى، والذى رواه أبو الدرداء مرفوعا هو قوله: يقول الله تعالى: من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدني. ويؤيد معناه ما روى البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما يذكر في الذات والنعوت (٩/ ١٤٥، رقم: ٧٥٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال النبي ﷺ يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)

وفيه رجاء عظيم للطالبين بوجدان الحق سبحانه وتعالى؛ لأنه أضاف الطلب والوجدان إلى ذاته، ولكن الشرط الصدقُ في الطلب مع كمال الإرادة، وإخلاص الطلب عن شائبة طلب الغير، حتى يكون في طلبه صادقًا، مخلصًا، موحدًا، وهذا التوحيد هو القائم بالأزل.

معنىٰ التوحيد عند الصوفية :

والتوحيد عند الصوفية أن لا يذكر شيئًا إلا الله تعالى، ولا يعلم شيئا إلا هو، ولا يفهم شيئًا سواه، ولا يحب شيئًا إلا إيَّاه، فيحبُّ ذاتَه لذاته(1)، وعلى هذا الترتيب هو التوحيد عندهم.

مسألة : معنىٰ الآية ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ . . . ﴾:

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(الإسراء: ٥٧)، الجواب: هذا في وصف المؤمنين دون الأنبياء والأولياء، وقال الله تعالى في وصفهم: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (الأحزاب: ٣٩)، وقال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (المائدة: ٥٤). وقال رسول الله ﷺ: «إني أعوذ بك منك»(2).

وكل ذلك في القرآن أو الأخبار مؤكد لمقالة هؤلاء الأئمة الصوفية، فافهم.

وأما شرائط الشيخ فيذكر في بابه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

فصل فيما يعمل الطالب إذا اشتدت إرادته وشوقه إلى سلوك الطريق:

إذا صدقت إرادة الطالب واشتد شوقه إلى سلوك الطريق يطلب شيخًا ليعلِّمه الذكر، ويأمره بمواظبته حتى ينفذ حرارة نار الذكر في وجوده ـ إن شاء الله تعالى ـ، و يجعله مستعدا لأخذ التلقين ويلبسه خرقة التشبه في التصوف، إلى أن يجعله الله تعالى أهلًا للبس خرقة التصوف.

ثم على المريد أن يداوم على أهم الأذكار، والأهم للمبتدي قول "لا إله إلا الله"، فيداوم على الذكر القوي الخفي بشرط النفي والإثبات، بحيث ينفي بـ"لا إلٰه" جميعَ الخواطر، خيرًا كان أو شرًّا، ويثبت بـ"إلا الله"(3) ما يستحيل فقده ويحضر شيخه بقلبه في كل ذكر عند مد "لا"، ويقول في نفسه: إن روحانية الشيخ حاضرة عندي ممدة لي.

فإذا كوشف بشيء في أثناء الذكر وخلال الخلوة وتجلى له الصور الحسنة أو القبيحة فلا

---

(١) في طو بزيادة "و يريد ذاته لذاته، ويذكر ذاته لذاته، ويشكر ذاته لذاته، ويخاف ذاته لذاته، ويرجو ذاته لذاته".

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ١٤١، رقم: ٧١٠٦) وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الصلوات، ما يقول الرجل في آخر وتره (٢/ ٩٩، رقم: ٦٩٤٣) و أحمد الدينوري الشافعي المعروف: بـ:ابن السني (المتوفى:٣٦٤هـ) في "عمل اليوم والليلة" (ص: ١١٢).

(٣) "في قلبه فيكون قد نفي بـ"لا إله" ما يستحيل أن يكون إلها وأثبت بـ"إلا الله" هذه زيادة في طو.

يلتفت إليه، ولا إلى البروق واللوامع، ولا إلى الألوان المنورة ويعلم أن النور الحقيقي منزه عن أن يكون ملونًا ومشكلًا ومتحيزًا في جهة من الجهات، وكل ما كان من قبيل الخيال فيتبدل في الحال، فيقول كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام: إني ﴿لا أُحِبُّ الآفِلِين﴾ (الأنعام: ٧٦).

وإن ثبت فله حقيقة في عالم المعنى يتجلى عليه(١) في عالم المثال، فينبغي أن لا يأذن نفسه أن يأنس به؛ لأن الله تعالى خلق في هذا الطريق سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة، وجعلها أستارًا لكعبة الأسرار غيرة لها.

وأشار إلى هذا السِّر قول النبي ﷺ: «إن لله سبعين ألف حجاب من نور و ظلمة»(٢).

وهي هذه الأنوار الروحانية والظلم الجسمانية(٣) وهي الحواس الخمسة، والطبائع الأربعة، والأعراض، والأخلاق، والنفس، والهوى، والشهوة، والشيطان وغير ذلك.

فصل في رفع الحجاب الظلماني والنوراني:

رفع الحجاب الظلماني أسهل على السالك من رفع الحجاب النوراني؛ لأن النفس الزاكية تهرب بالطبع من الظلمة وتأنس بالنور. ومن هذه الحجب السبعين ألفًا:

١- عشرة آلاف حجب ظلمانية مُستكِنّة في اللطيفة القالبية ولونها كَدِر. فإذا اشتغل بالذكر واشتعلت نيرانه يشاهد تلك الظلمات اللطيفة المطبقة بعضها فوق بعض، فإذا صلح الوجود

---

(١) في طو "عينه" بدل "عليه".

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٢- ٢٩٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن سهل بن سعد رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة، ما تسع نفسي حس شيء من تلك الحجب إلا زهقت نفسها.وقال: تفرد به موسى بن عبيدة الربذي، وهو عند أهل العلم بالحديث ضعيف، والحجاب المذكور في الأخبار يرجع إلى الخلق لا إلى الخالق، وروى الدارمي في "رد الدارمي على بشر المريسي" باب الحجب التي احتجب الله بها عن خلقه (ص:١٧٢-١٧٣) عن أبي زرارة بن أبي أوفى أن النبي ﷺ سأل جبريل هل رأيت ربك؟ فانتفض جبريل، وقال: يا محمد: إن بيني و بينه سبعين حجابا من نور، لو دَنَوْت من أدناها حجابا لاحترقت، قلت والحديث بهذا السند مرسل. وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد،باب ذكر صورة ربنا عز وجل (١/ ٥١) عن هشيم عن أبي بشر عن مجاهد قال: بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا، حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من نور وحجاب من ظلمة، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٧٠) عن أنس إلا أنه قال: حجابا من نار أو نور، وأورده السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٣)عن العقيلي قال: حدثنا الوليد، حدثنا أبو حاتم، حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل بسند الدارمي عن زرارة بن أبي أوفى أن النبي ﷺ سأل جبريل وذكره بلفظه وقال: هذا مسند صحيح الإسناد. قلت: ومما لا شك فيه أن الله احتجب عن خلقه بحجب، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيم﴾ (الشورى: ٥١).

(٣) في طو "الحجب الظلمانية" بدل "الظلم الجسمانية".

صَفَا وابيَضَّ مثل المُزْن[1] الأبيض.

٢- ومنها: عشرة آلاف كامنة في الطبيعة النفسية، ولونها أزرق، وفيضان النفس على الوجود وتربيته منها، فإذا صفت وزكت أفاضت عليه الخير فينبت منه الخير، وإن أفاضت عليه الشر فكذلك ينبت منه الشر.

٣- ومنها: عشرة آلاف مودعة في اللطيفة القلبية، ولونها أحمر، مثل لون النار الصافية إن لم تكن لقماته حظوظية، وإلا فمعها دخان، ولايكون لها في الصعود سرعة.

٤- ومنها: عشرة آلاف مكنونة في اللطيفة السرية، و لونها أبيض، مثل الزجاجة البيضاء الصافية التي وقعت عليها الشمس.

٥- ومنها: عشرة آلاف مودعة في اللطيفة الروحية، ولونها أصفر في غاية الصفاء.

٦- ومنها: عشرة آلاف مدرجة في اللطيفة الخفية، ولونها مثل لون السَّجَنْجَل[2] المُصَقّل مثل سواد العين في حدقة سويداء الإنسان، وفي هذا المقام يصل اللطيفة الأنانيةالخضرية إلى ينبوع الحياة.

٧- ومنها: عشرة آلاف موجودة في اللطيفة الحقيقية التي قامت بها هذه اللطائف ولونها أخضر، تقرّ به الأعين وتفرح به القلوب، وهو لون حياة القلب ثم بقي بعده لون العقيق.

قال الشيخ نجم الدين الكبرى[3] رحمه الله تعالى: من اتصف به حمله على ما يجب عليه عدمه[4]، شاء صاحبه أم أبى، لا يأبى عليه[5] كما لا يأبى على الروح إذا احترز من النار، [وهذا لا يمتنع العدم على الشخص الموصوف بهذا اللون][6]، وهذا اللون إنما يظهر باليسر بعد العسر ـ و هو عسر المجاهدة.[7]

---

(١) المُزْنُ : السَّحابُ يحمِل الماءَ.

(٢) السَّجَنْجَلُ : المرآة.

(٣)**نجم الدين الكبرى**: (٥٤٠ - ٦١٨ هـ = ٠٠٠ - ١٢٢١ م) الإمام الزَّاهد القدوة المحدِّث الشَّهيد، صانع الأولياء، أبو الجنَّاب أحمد بن عمر بن محمد نجم الدين كبرى الخوارزمي الخَيْوَقي الواسطي، الملقب بـ"الطامة الكبرى"، و "نجم الكبراء"، و"نجم الدين الكبرى". طاف البلاد وسمع بها الحديث. كان ملجأ للغرباء، عظيم الجاه لا يخاف في الله لومة لائم، من آثاره: و«فواتح الجمال» و«منهاج السالكين» و ديوان شعر ، و رسالة «الخائف الهائم عن لومة اللائم».

(٤) في طو "من اتصف به حمله على ما يجب أن يوجد ويمنعه عما يجب عدمه" وكذا في فوائح الجمال.

(٥) في ر "لا تأبى كما لا تأبى" وفي فوائح الجمال " كما لا تأبى على الروح إذا احترزت من النار".

(٦) زيدت من د.

(٧) فوائح الجمال، ص : ١٥٣.

فصل في ظهور أنوار اللطائف من وراء الأستار:

ومن وراء هذه الأستار يظهر أنوار اللطائف السبع فيشاهد في اللطيفة القالبية: الجنّ، وفي اللطفية النفسية يشاهد الجحيم، وفي اللطيفة القلبية يشاهد الجنة، وفي اللطيفة السِّرِّية يشاهد الملائكة، وفي اللطيفة الروحية يشاهد الأولياء، وفي اللطيفة الخفية يشاهد الأنبياء، وفي اللطفية الحقيقية يُشاهِد نبيَّنا ﷺ، ثم يتجلى نور الأنوار، ويهلك في نوره جميع الأنوار، وينتهي السلوك في هذا المقام، ويتبدل السير بالجذبة الجلية، ولا يمكن السلوك في هذا الطريق إلا بالجذبة الخفية، ولا يمكن الوصول إلى الله تعالى إلا بالجذبة الجلية، ولا يتشرف أحد بالجذبة الجلية إلا بمتابعة النبي ﷺ.

والجذبة الجلية مدرجة في قوله تعالى: ﴿يحِبُّهُمْ﴾(المائدة: ٥٤)، والجذبة الخفية مودعة في قوله تعالى: ﴿يحِبُّونَهُ﴾(المائدة: ٥٤)، فإذا أحب الله عبدًا وتقرب إليه بالنوافل بالجذبة الخفية، فيحبه الله تعالى ويجذبه إليه بالجذبة الجلية، ويطلعه على سرِّ محبة الله تعالى إيَّاه، وهذا سرّ ذوقي، من لم يذق لم يدر.

فإذا عمل المريد الصادق ذلك العمل مع الشرائط المذكورة أربعين يومًا مستمرا يفتح له باب المكاشفات، فأول ذلك مشاهدة الأنوار الروحانية والكواكب الروحانية، ثم مشاهدة الملائكة، ثم مشاهدة الصفات يفيض إليه بواسطتها بعض الحقائق، وذلك في البداية إلى أن تعلو درجته عن المثال، فيكافح بصريح الحق في كل شيء، فإذا رد إلى هذا العالم المجاز الذي هو كالظلال نظر إلى الخلق نظر مترحم، لحرمانهم عن جمال الحضرة القدسية، وتعجب من قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور، فيكون معهم حاضرًا بشخصه، غائبًا بقلبه، يتعجب من حضورهم وهم يتعجبون من غيبته.

فهذه ثمرة لباب الذكر، وأول الذكر ذكر اللسان، ثم ذكر القلب ثم استيلاء المذكور، وانمحاء الذكر، وذلك نتائج الأعمال الصالحة والأحوال السنية، وهذا في النهاية بصحة البداية.

باب في أقرب الطريق إلى حصول المقصود :

تصحيح البداية على ما يخصها أستاذ الطريقة أبو القاسم الجنيد ـ رحمه الله ـ أقرب الطرق إلى حصول المقصود، وهو ثماني شرائط: ١- دوام الطهارة، ٢- ودوام الصوم، ٣- ودوام السكوت، ٤- ودوام الخلوة، ٥- ودوام الذكر ـ وهو قول: لاإلٰه إلا الله ـ، ٦- ودوام نفي الخواطر، ٧- ودوام ربط القلب بالشيخ واستفادة علم الواقعات منه حتى يفنى تصرفه في تصرف الشيخ، ٨- ودوام ترك الاعتراض على الله تعالى في كل ما يرد منه عليه ضرًّا كان أو نفعًا، وترك السؤال عنه من جنَّةٍ أو تعوُّذٍ من نار.

وإنما يقوم بذلك من وفَّقه الله تعالى فنظر وتفكَّر فيما هو الأهم له، فيعلم أن الأهم له هو الله تعالى، فيكتسب في قلبه إرادة الله ومحبته ويعرض من الكون ويقبل على المكوِّن ـ و هو الله تعالى ـ، فيرجع من طريق البعد إلى القرب، ومن الكسل والبطالة إلى الجد والاجتهاد، كما قال سهل التستري رحمه الله تعالى: الهجرة فُرِضَت إلى يوم القيامة: من الجهل إلى العلم، ومِن النسيان إلى الذكر، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الإصرار إلى التوبة.

فصل في دوام الوضوء:

الشرط الأول: دوام الوضوء، فلا يمكث على الحدث سويعة ما، وإذا لم يجد الماء تيمم حتى يجد الماء، قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «الوضوء سلاح المؤمن»(٢)، و «الوضوء على الوضوء نور على نور»(٣).

وروى الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء(٤) أن النبي ﷺ قال: «بُنِيَ الدِّينُ عَلى النظافةِ»(٥)،

---

(١) أخرجه الطيالسى في مسنده (٢/ ٣٣٦، رقم: ١٠٨٩)، وأحمد في مسنده عن ثوبان (٣٧/ ١٠٩، رقم: ٢٢٤٣٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٠، رقم: ٤٤٧)، والبيهقى في سننه (١/ ٣٢، رقم: ٣٨٤)، والدارمي في سننه (١/ ٥١٩، رقم ٦٨١، ٦٨٢)، وابن ماجه في سننه (١/ ١٠١، رقم: ٢٧٧) عن علي بن محمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان وقال البوصيرى في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه كتاب الطهارة، باب خير العمل الصلاة (١/ ٢٥٤): هذا الحديث رجاله ثقات، إلا أنه منقطع بين سالم وثوبان، فإنه لم يسمع منه بلا خلاف، لكن له طريق أخرى متصلة أخرجها أبو داود الطيالسي في مسنده وأبو يعلى الموصلي والدارمي في مسنده وابن حبان في صحيحه من طريق حسان ابن عطية أن أبا كبشة حدثه أنه سمع ثوبان.

(٢) لم نجده وأطلق على الوضوء كلمة الرباط في قوله ﷺ «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟» قالوا بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط» صحيح مسلم (١/ ٢١٩، رقم: ٢٥١) وإنما المحافظة على الوضوء هي شأن المؤمن قال ﷺ «سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٣١١، رقم: ١٠٣٧) وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الطهارات، باب في المحافظة على الوضوء وفضله (١/ ١٤، رقم: ٣٥) عن ثوبان رضي الله عنه.

(٣) وهذا الحديث ليس في طو. قال ابن حجر في فتح الباري، كتاب الوضوء باب ماجاء في الوضوء(١/ ٣٠٨): ولو زاد زاد الرابعة وغيرها لا لوم، ولا سيما إذا قصد به القربة للحديث الوارد "الوضوء على الوضوء نور" وقال العراقي في المغني، كتاب أسرار الطهارة، في طهارة الأحداث (١/ ١٣٤، رقم: ٣١٩): لم أجد له أصلا. قال السخاوي في المقاصد (ص: ٧٠٤) وسبقه لذلك المنذري، وأما شيخنا (ابن حجر) فقال: إنه حديث ضعيف، رواه رزين في مسنده، قلت: قد تقدم في معناه حديث: من توضأ على طهر كتب اللهَّ له عشر حسنات.

(٤) كتاب أسرار الطهارة (١/ ٢٥).

(٥) لم نجده في كتب الحديث وقال العراقي في المغني، كتاب العلم، الباب الخامس (١/ ٤٩، رقم: ١٢٤) حديث بني

وقال: «مفتاح الصلاة الطهور»[1]، وقال: «الطهور نصف الإيمان»[2] قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾(التوبة: ١٠٨).

ولا يأكل، ولا يشرب، ولا يتكلم، ولا ينام إلا على طهارة كاملة، ليحصل ببركة طهارة الظاهر طهارةُ الباطن، وسلامةُ الصدر. إذ لا يؤذن بالدخول في الحضرة الصمدية إلا مَن أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ، ومن لم يطهر ظاهره على قانون الشريعة لا يمكنه أن يطهر باطنه بآداب الطريقة؛ لأنَّ الظاهِرَ عنوانُ الباطن، وإذا داوم على الطهارة أو شك أن يتلألأ فيه الأنوار الربانية من طريق العكس، ثم ينعكس منه إلى مرآة الخيال، فيشاهد ذلك بعين قلبه، فيرى في الظلمات مالم يكن يرى قبل ذلك.

فصل في دوام الصوم:

الشرط الثاني: دوام الصوم وتقليل الغذاء عند الإفطار بحيث لا يضرُّه الجوع، ولا يثقله الشبع، ويجتنب كلا الطرفين المذمومين: الإفراط والتفريط.

قال الله تعالى: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾(الأعراف: ٣١) وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(المائدة: ٨٧).

والتقليل إذا كان مقرونًا بنية الصوم كان أحسن، فإن الصوم قَدِ اخْتُصَّ من الله تعالى بفضيلة امتاز بها عن سائر أركان الإسلام والعبادات.

قال رسول الله ﷺ حكاية عن الله تعالى: «الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به»[3]

الدين على النظافة لم أجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة «تنظفوا فإن الإسلام نظيف» وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود «النظافة تدعو إلى الإيمان».

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الطهارة، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور عن علي رضي الله عنه (١/ ٩، رقم: ٣) وقال هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب وأحسن. وأبو داود في سننه (١/ ٢٢) وابن ماجه في سننه (١/ ١٠١) وأحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه (٢/ ٢٩٢، رقم: ١٤٦٦٢).

(٢) في طو " شطر" بدل "نصف" وكلا اللفظين مرويان. أخرجه الترمذي في سننه ، أبواب الدعوات (٥/ ٤٢٠، رقم: ٣٥١٩) عن رجل من بني سليم، وقال: هذا حديث حسن. و ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الإيمان والرؤيا (٦/ ١٧١، رقم: ٣٠٤٣٣) عن علي رضي الله، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (١/ ٢٠٣، رقم: ٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري ولفظه «الطهور شطر الإيمان».

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصيام (١/ ٥٢٥، رقم: ١٦٣٨) عن أبي هريرة والآخرون من أصحاب الصحاح والمتون بألفاظ مختلفة و روى البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم (٣/ ٢٤، رقم: ١٨٩٤)

و«لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك»[1]

وقال النبي ﷺ: «الصوم جُنَّة»[2]

ولابد للمجاهد مع النفس والشيطان من جُنَّة لئلا تصيبه[3] سهام إبليس، فإنه ما ملئ وعاء شرًّا من بطن آدم بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه.

وقال عيسى عليه السلام للحواريين: أجيعوا بطونكم [وأعطشوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم] لعلَّكم ترون ربكم بقلوبكم.[4]

قال الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في الإحياء: اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأحوال الأخلاق الوسط، إذ خير الأمور أوساطها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.[5]

وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يؤمي إلى أن الإفراط فيه مطلوب، وهيهات! ولكن مِن أسرارِ حكمةِ الله تعالى في الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد، جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطَّبعُ بغاية الإمكان، والعَالِمِ يُدرِك أن المقصودَ: الوسط؛ لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع، فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبعُ باعثًا، والشَّرعُ مانعًا، فيتقاومان وحصل الاعتدال، فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد، فيعلم أنه لا منتهى إلى الغاية، فإنْ أسْرَفَ مُسرِفٌ في مضادة الطبع كان في الشرع ما يدلُّ على إتيانه، فالأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة يمنع من العبادة،[6] وألمُ الجوع أيضًا يشغل القلب ويمنع منه: فالمقصود أن يأكل أكلًا لا يبقى للآكل فيه أثر، ليكون متشبهًا بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام و ألم الجوع.

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصيام (٣/ ٢٤، رقم: ١٨٩٤) ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٢/ ٨٠٧، رقم:١١٥١).

(٢) في مج، و ر بزيادة "من النار" والحديث أخرجه مسلم، في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٢/ ٨٠٦، رقم:١١٥١) بلفظ: «الصيام جنة» و الترمذي في سننه، أبواب الصيام، باب فضل الصوم (٣/ ١٣٦، رقم: ٧٦٤) بلفظ: «الصوم جنة من النار».

(٣) في غير طو "لا يصيبه".

(٤) "وأعطشوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم" زيدت من د، و ر ولكن فيه "وأظمأوا" بدل "وأعطشوا"، وبتمامها مع تغيير يسير في قوت القلوب لأبي طالب المكي، الفصل ٢٧ (١/ ١٧٠)، وفي الإحياء للغزالي كتاب كسر الشهوتين (٣/ ٩٦).

(٥) كتاب كسر الشهوتين، بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه (٣/ ٩٦).

(٦) في طو "لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع، فإن مقصود الأكل: بقاء الحياة وقوة العبادة".

فصل في دوام السكوت :

الشرط الثالث: دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى مما لا يعنيه قولًا وفعلًا وفكرًا.

قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت»[1]، وقال عليه السلام: «وهل يُكِبُّ النَّاسَ على مَنَاخِرِهم في النار إلا حصائد ألسنتهم».[2]

وقال علي رضي الله تعالى عنه:الخير كله مجموع في أربعة: ١-الصمت، ٢-والنطق، ٣-والنظر، ٤- والحركة؛ فكل نطق لا يكون في ذكر الله تعالى فهو لغو، وكل صَمْتٍ لا يكون في فكر[3] فهو سهوٌ، وكل نظر لا يكون في عبرةٍ فهو غفلةٌ، وكلُّ حركةٍ لا يكون في تعبُّدِ الله تعالى فهي فَتْرةٌ.

فرحم اللهُ عبدًا جعل نطقَه ذِكرًا، وصَمْتَه فِكرًا، ونظرَه عِبرةً، وحركته تعبُّدًا، ويسلم الناس من لسانه، ويده، وينجو بالسكوت عن الكذب والنفاق، قال الله تعالى:﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [4] (الفتح: ١١).

ولما أراد الله تعالى أن يتكلم عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ طفلًا صغيرًا، أمَر أُمَّه مريم بالسُّكوتِ، فقال الله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾(مريم: ٢٦)، فنطق عيسى ـ عليه السلام ـ وهو طفلٌ. فلا يبعد أنك إذا سكت عن فضولِ الكلام، سمعتَ كلامَ القلب الذي هو طفل الطريق مع الله تعالى.

وفي الجملة: إذا نطق اللسان سكت القلب واستمع، وإذا سكت اللسان نطق القلب.

فصل في دوام الخلوة :

الشرط الرابع: دوام الخلوة، وهو حبس الحواس الظاهرة، لفتح حواس القلب حتى يشاهد في اليقظة ما يشاهد غيره في النوم، وسد طرق الحوا س شرط لفتح حواس القلب.

ألا ترى أنك لا تشاهد شيئا في اليقظة، فإذا نمت رأيت أشياء كثيرة، كذلك إذا سددت عليك في اليقظة. طرق الحواس انفتحت عليك حواس أُخر من الغيب[1]؛ ولهذا السِّر كان رسولُ

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الرقاق (٨/ ١٠٠، رقم: ٦٤٧٦) ومسلم، في صحيحه، كتاب الإيمان، (٢/ ٨٠٧، رقم: ٤٧) والآخرون أيضًا.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الإيمان (٤/ ٣٠٨، رقم: ٢٦١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، كتاب الفتن (٢/ ١٣١٤، رقم: ٣٩٧٣).

(٣) في ك "فكر الله تعالى".

(٤) في خد "إذا طلبت صلاح قلبك فاستعف عليه لحفظ لسانك وألزم الصمت فإنه سقر للجاهل وزين للعاقل" بدل من من "ينجو.... حتى الآية.

رسولُ الله ﷺ حُبِّب إليه الخلاء، فكان يتحنث في غار حراء، وهو تعبد الليالي ذوات العدد،[٢] فكان يرى النور قبل المبعث بخمس عشرة سنة[٣] وكان يتحنَّث في غار حراء أسبوعًا أو أسبوعين. وروى جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ «أن النبي ﷺ جاور في غارحراء شهرًا».[٤]

فلا يخرج من خلوته، لإزالة قبضٍ، ولا لِسَآمةٍ، وملالةٍ، ولا لداعيةٍ من دواعي الهوى، بل يكون خروجه عن ضرورة في الدين كالوضوء، وصلاة الجمعة، والجماعة.

وبيت الخلوة صغير بقدر ما يصلي فيه ويتربع في وقت الذكر، مُظلِم لا يتداخله شعاع الشمس وضوء النهار.

فصل في صفات المتخلي:

ينبغي أن يكون المتخلي شُجاعًا، مِقْدامًا، لايبالي ببذل مُهْجَته[٥]، قويًّا، ولا يكون جَبَانًا، خَوَّارًا، ضعيفًا، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا بمن توجَّه إليه، ثابتًا غيرَ طائش، ساكنًا قلبه، مطمئنةً نفسه، طيِّبًا روحه، طاهرا طبعه عن رِقِّ الشهوات، مزَيَّنًا قلبه بالتقوى، وعقله بالإيمان، عامرًا جوارحه بالطاعة، مشروحًا صدره بنور الإسلام، وأنفاسه بأنوار الصدق والإخلاص، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(الزمر:١٨).

ويكون متصفا بهذه الأخلاق، وهي: الأدب، والتواضع، والذُّلُّ، والانكسار، والمسكنة، والخضوع، والخشوع؛ يروِّض نفسه إلى أن تعتاد هذه الأخلاق، فإن الخيرَ عادةٌ.

ويكون مُعْرِضًا عن حبِّ الدنيا، وحبِّ الجاه، والمال، ويرتاض رياضة من قِلَّة الأكل، وطول الصمت، وكثرة الصوم والصلاة، والصدقة، والصبر، والشكر، والتوكل، واليقين، والسخاوة، والقناعة، والأمانة، والسكون، والتأنِّي.

---

(١) في ر "من القلب".

(٢) أخرجه البخاري: في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (١/ ٧، رقم: ٣) بلفظ: حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل (٤/ ١٨٢٧، رقم: ٢٣٥٣) عن ابن عباس قال: «أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة، يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين، ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشرا» وفيه مقال، وأحمد في مسنده عن ابن عباس (٥/ ٤٤، رقم: ٢٨٤٦) وقال محققه شعيب الأرناؤوط : إسناده على شرط مسلم، إلا أنه اختلف في وصله وإرساله. وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٩٥) عن عروة أن رسول الله، ﷺ، قال: يا خديجة إني أرى ضوءًا وأسمع صوتًا، قلت: قد ثبت بما سلف من الأخبار أن النبي ﷺ كان يرى النور والضوء ويسمع الصوت قبل البعثة ولكن المدة المذكورة لم أجدها.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١/ ١٤٤، رقم: ١٦١) بلفظ: جاورت بحراء شهراً.

(٥)المُهْجَةُ : : الرُّوح ، النَّفْس، دمُ القلب.

وأن يكون ثيابه وغذاؤه من وجه حلال، لا يريبه الشيطان بالوسوسة.

وأن يقدِّم قبل دخول الخلوة رياضةً وعزلةً عن الخلق، من قِلَّة الكلام وقلة الطعام وقلة المنام، وقلة الاختلاط مع الأنام، وقلة شرب الماء. ولا يكثر من أكل اللحم،[1] بل في كل أسبوع مرة أو مرتين، ويأكل كل مرة بوزن خمسين دِرْهمًا، وهي أوقية واحدة، فإن هذا المقدار أجازه الشيوخ، لئلا يضعف[2] المبتدئ. ويصغِّر اللقمة، ويمضغ مضغًا قويًّا مع حضور القلب في دوام الذكر، ليندفع ظلمة شهوة الطعام بنور الذكر، ويأكل الغذاء الخفيف الموافق للطبع، البطيئ الهضم المشبع.[3]

وأما أدب الأكل في أوان العزلة والخلوة، فهو أن يأخذ اللقمة فيُسمِّي اللهَ تعالى عليها، فإذا جعلها في فمه يكثر مضغها جدًّا، فإذا ابتلعها يحمد الله تعالى الذي سوَّغها في حلقه، حتى إذا استقر في المعدة يأخذ لقمةً أخرى ويفعل بها مثل الأول هكذا، إلى أن ينتهي إلى القدر الذي فيه غذاؤه، وكذلك في شرب الماء يمصُّ مصًّا، ويقطع نفسه مرارًا.

قال بعضهم: إنَّا جرَّبنا العطش فوجدناه من الشهوات الكاذبة، فمن تعوَّد نفسه بقِلَّةِ شرب الماء عند العطش يدفع الله تعالى شهوة الماء عنه، حتى يمضي عليه شهور كثيرة، لا يشرب فيها ماء ولا يشتهيه، ولا يؤثر في مزاجه وبدنه، ويقنع الطبيعة بما يستعمل من الرطوبات التي في الغذاء.

فصل في أن الخلوة مستحبة عندفساد الزمان:

قال الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله في رياض الصالحين:[4]

باب استحباب العزلة عند فساد الزمان، أو الخوف من فتنة، أو وقوع في حرام، أو شبهات ونحوها.

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِين﴾(الذاريات: ٥٠)، وعن سعد بن أبي وقاص

---

(١) في نسخة "د" بزيادة العبارة الآتية (كما قال رسول الله ﷺ: «إذا أكلت اللحم وجدت في نفسي تميزا»، أي رغبة إلى الجماع) قلت: أخرج هذا الحديث ابن الجوزي في غريب الحديث بلفظ "تمشيرا" بدلا عن "تميزا" وقال الزبيدي في تاج العروس عن ابن الأعرابي قال الصاغاني: وفي الحديث الذي لا طرق له إني إذا أكلت اللحم وجدت في نفسي تمشيرا. وقد نقله الجزري في النهاية في غريب الأثر والحديث، والخطابي في غريب الحديث، وغيرهما عن بعض الصحابة.

(٢) في مج "ليضعف" بدل "لئلا يضعف". كلاهما صحيحان كما أشار إليه الشارح العلام الشيخ سعد الدين قدس سره.

(٣) في مج، و د، و ر " لا البطيئ الهضم المشبع " مع "لا" النافية.

(٤) (١/ ١٩٩).

النواوي: (٦٣١ - ٦٧٦ هـ = ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م) محيي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية). وله كتب قيمة معروفة في فنون عديدة منها: المنهاج في شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين.

رضي الله تعالى عنه، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ » رواه مسلم(١)، والمراد بالغني غني النفس.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَال: قَالَ رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبيلِ الله» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ : «ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ». وفي رواية : «يَتَّقِي الله ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» متفقٌ عَلَيْهِ.(٢)

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ ، وَمَواقعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدينِهِ مِنَ الفِتَنِ» رواه البخاري(٣)، وشعف الجبال: أعلاها.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت:« أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١-٥]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ لَه خَدِيجَةُ: كَلَّا ، أَبْشِرْ فَوَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَ تَصْدُقُ الْحَدِيْثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»(٤).

قال أهلُ الله: فإذا كان رسول الله ﷺ مع تحقُّقه بهذه الصفات الحميدة وعصمة الله تعالى له عن هذه الآفات لم يأمن على نفسه، فكيف يصح لأحدٍ أن يطمع في الدخول إلى الله تعالى والأخذ عنه، وعمل الخلوة والأربعينات، مع ملابسة الأخلاق الذميمة. بل ينبغي لمن أحبَّ أن يكون

---

(١) في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٧، رقم: ٢٩٦٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه (٤/ ١٥، رقم: ٢٧٨٦) بلفظ: يتقي الله وفي كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء (٨/ ١٠٣، رقم: ٦٤٩٤) بلفظ: يعبد ربه. ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط (٣/ ١٥٠٣، رقم: ١٨٨٨).

(٣) في صحيحه، في أربعة مواضع، منها: كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن (١/ ١٣، رقم: ١٩)

(٤) أخرجه البخاري: في صحيحه (١/ ٧، رقم: ٣) ومسلم في صحيحه، (١/ ١٣٩، رقم: ١٦٠) واللفظ للبخاري.

عند الله تعالى كريمًا، ومن غوائل الشيطان سليمًا، أن لا يخلو عن الاتصاف بهذه الأوصاف السنية التي ذكرتها خديجة التي شهد لها رسول الله ﷺ بالكمال.

وقال النواوي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: وأما الخلاء فممدود وهو الخلوة، وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين، وقال أبو سليمان الخطابي(١) رحمه الله تعالى: حبِّبت العزلةُ إليه ﷺ؛ لأن فراغ القلب بها، وهي معينة على التفكُّر وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتخشَّع قلبه.(٢)

ثم إن النبي ﷺ جاور في غار حراء على ما روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه(٣)، فاتصل به جبريل عليه السلام وما كان يعرفه، فأمره بالقراءة فحسب، دون الإبلاغ و الإنذار إلى أن بالغ في الرياضة وزاد في مدة الخلوة، فاستعلى أمره، وعظم شأنه، واستأهل للتبليغ والإنذار، وترقَّى إلى ذروة الكمال. وذلك بعد أن تخلى ورغب عن مخالطة الأغيار، واستبشع(٤) ملاذ الدنيا ونعيمها، وحبب إليه الخلاء، ففارق الأهل والبلد وقنع بما سد رمقه وسكن جوعه(٥)، وداوم على التوجه إلى حضرة الربوبية إلى أن أغناه الله تعالى عن طعام الخلق وشرابهم، فقال: «أبيتُ عند ربي يطعمني ويسقيني».(٦) فأيَّده الله تعالى بروح منه، وأكرمه بإنزال الوحي عليه.

فهذه هي السنة الإلهية في هداية خواص عباده من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وتربية طالبيه بمتابعتهم.

وفي «العوارف»: عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إلا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ، وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ، وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ كَالثَّعْلَبِ الَّذِي يَرُوغُ» ، قَالُوا: وَمَتَى ذَالِكَ يَا رَسُولَ الله ﷺ ؟ قَالَ:«إِذَا لَمْ

---

(١)**أبو سليمان الخطابي**: (٣١٩ – ٣٨٨ هـ/ ٩٣١ – ٩٨٨م)أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، كان فقيها محدثا أديبا تلقى الحديث في العراق على يد أبي علي الصفار وأبي جعفر الرزاز وغيرهما. حدث عنه: أبو عبد الله الحاكم والإمام أبو حامد الإسفراييني وأبو ذر الهروي وغيرهم. له تصانيف منها: غريب الحديث، و معالم السنن شرح سنن أبي داود.

(٢) في شرح الحديث السابق، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم: (٢/ ١٩٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم (١/ ١٤٣، رقم: ١٦١) بلفظ: جاورت بحراء شهراً.

(٤) في طو، و خد "استشنع". اسْتَبْشَعَ الشيءَ: استقبحه؛ عَدَّهُ كريهًا.

(٥) في طو "سكن" وفي الباقية "يسكن" وكذا في د، و ك "جوعه" وفي غيرهما "جوعته".

(٦) رواه البزار في مسنده (١٥/ ٣٥١، رقم: ٩٠٠٨) عن أبي هريرة، و إسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٤٦٣، رقم: ١٠٣٥) عن عائشة بلفظه، وقد أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح باختلاف يسير في اللفظ ولفظ البخاري: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقين» (كتاب الصوم، باب التنكيل لمن أكثر الوصال، ٣/ ٣٨، رقم: ١٩٦٦).

تُنَلِ الْمَعِيشَةُ إِلا بِمَعَاصِي الله فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ حَلَّتِ الْعُزُوبَةُ.» قَالُوا: وَكَيْفَ يَا رَسُولَ الله ﷺ، وَقَدْ أَمَرْتَنَا بِالتَّزَوُّجِ؟ قَالَ: «لأَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الزَّمَانُ كَانَ هَلاكُ الرَّجُلِ عَلَى يَدَيْ أَبَوَيْهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ فَعَلَى يَدَيْ زَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ وَلا وَلَدٌ فَعَلَى يَدَيْ قَرَابَتِهِ.» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَالِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُعَيِّرُونَهُ بِضِيقِ الْمَعِيشَةِ فَيَتَكَلَّفُ مَا لا يُطِيقُ حَتَّى يُورِدَهُ مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ.»(١)

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ خَفِيفُ الْحَاذِ» قِيلَ: وَمَا خَفِيفُ الْحَاذِ؟ قَالَ: الَّذِي لا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا مَالَ لَهُ»(٢)، قوله: خفيف الحاذ يعني خفيف الحساب.

وقال الجنيد: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة.

فصل في بيان معنى الحديث: المؤمن الذي إلخ

قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤمنُ الَّذِي يُخالطُ النَّاس ويَصبرُ عَلى أَذاهُم، خَيرٌ مِن الْمُؤمنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ ولا يَصبرُ عَلى أَذَاهُم»(٣)، هذا الخبر كما أخبر به رسول الله ﷺ، ولكن بعض الناس ما فهموا معناه، فإن معنى الخبر ـ والله أعلم ـ أن المؤمن الذي ارتاض نفسه بتهذيب الأخلاق وتزكية النفس وتسكين الطبع، ثم بعث الله تعالى إليه جبال الصبر وبحار الرضا، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤] فحصل له الحلم، والثبات، وكظم الغيظ،

---

(١) أخرجه الخطابي في العزلة، باب ما جاء في العزلة (ص:١٠) بلفظه، وأخرج جزءا منه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ١١٨)، وابن حبان في الثقات (٨/ ٢١١) والبيهقى فى الزهد الكبير، فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى (١/ ١٨٣، رقم ٤٣٩)، والحارث فى بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٧٧٣، رقم ٧٧٤)، والديلمى في الفردوس (٥/ ٤٤٧، رقم ٨٦٩٧)، والحديث ضعيف.

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٢/ ٥٥٠، رقم: ٩٨٦٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٧/ ١٤٩، ترجمة: إبراهيم بن النضر) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨/ ٢١١) وأخرجه أيضًا الديلمى في الفردوس (٢/ ١٧٠، رقم:٢٨٥٢)، والحديث ضعيف بل باطل عند البعض بهذا اللفظ، وقال السخاوي في المقاصد (ص: ٣٢٩): قال الخليلي ضعفه الحفاظ فيه وخطؤوه انتهى، فإن صح فهو محمول على جواز الترهب أيام الفتن وقد أخرج الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب الكفاف والصبر عليه (٤/ ٥٧٥، رقم: ٢٣٤٧) «إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ» وقال: هذا حديث حسن. وقال الحاكم في المستدرك، كتاب الأطعمة (٤/ ١٣٧) هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه.

(٣)أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ١٤٠، رقم: ٣٨٨) و أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٩/ ٦٤، رقم: ٥٠٢٢) والترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٤/ ٦٦٢، رقم: ٢٥٠٧) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٥٣، رقم: ٢٠١٧٤)، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/ ١٣٣٨رقم: ٤٠٣٢)، وفي شعب الإيمان (١٢/ ٢٠١، رقم: ٩٢٧٧).

واحتمال الأذى، والوقار، والتؤدة، والاقتصاد في الأمور، والصبر، والعفة، وسخاء النفس ومسامحتها، والقناعة، والورع، والمساعدة، وترك الطمع، وزال عنه الحرص، والغضب، والكبر، و العجب، ورعونة الطبع، والهوى، فعند ذلك يمكنه الصبر على أذاهم.

فأما من لم يبلغ هذا المبلغ وبقي في صفات نفسه وآثار طبيعته، وهي السبعية والضراوة و الذئابة، فإن النبي ﷺ لا يقول لمن هذه صفته أنه يخالط الناس ويؤذيهم، ويغتابهم، ويمزقهم بضراوته وخباثته.

فاجتهد أيها المريد ! في ترك الهوى حتى يمكنك الجمع بين الظاهروالباطن،(١) كما قال سري السقطي(٢) رحمه الله تعالى: الكامل من لا يطفئ نور علمه(٣) نور ورعه.

اعلم أن الشيوخ المسلّكين في تربية السالكين لهم طرائق مختلفة، وقد يكون ذلك بواسطة صنع الخلوة، وهذا طريق الأكثرين من بعد الصحابة رضي الله عليهم أجمعين.

فصل في أن فتوحات الصحابة كانت من مجالسة النبي ﷺ من غير صنع خلوة:

أما الصحابة فكانت فتوحاتهم من غير صنع خلوة، بل من حضور مجالسة النبي ﷺ، وكان يحصل لهم من المعارف وغرائب العلوم بمجالسة واحدة مع النبي ﷺ، ما لم يحصل لغيرهم بالخلوات الكثيرة، وذلك أن الإرادة ـ كما قيل: ـ ترك العادة، وكانت عاداتهم رسوم الجاهلية، فلما دعاهم النبي ﷺ إلى دين الإسلام انتزعوا من عاداتهم ورسومهم إلى المتابعة، وحكّموا النبي ﷺ فيما بينهم على أنفسهم(٤)، مسلمين لقضائه من غير حرج، فكتب الله تعالى في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، مع مباشرة الأسباب واكتساب المباحات والغزوات، ومع مخالطة الأهل والأولاد وغيرهم، وكانت همتهم مقصورة على المتابعة، ونظرهم ملاحظة على الرسول ﷺ، آخذين ما أتاهم الرسول، منتهين عما نهاهم عنه، وعنده ﷺ كل الفضائل والمكرمات.

فلما رأى ذلك منهم قابلهم بشمس قلبه ـ عليه السلام ـ، فأفاض على قلوبهم بألحاظ بصره إليهم ما يسطع من سطوات غلبات أنوار نبوته من معدن الرسالة.

---

(١) في طو بزيادة "ولا تقتصر على أحد الجانبين ليكون كاملا".

(٢)**سري السقطي**: أبو الحسن سري بن المغلس السقطي، أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة، كان أوحد زمانه في الـورع وأول من تكلم في بغداد في التوحيد وحقائق الأحوال، ، وكان تلميذ معروف الكرخي وخال الجنيد وأستاذه. تـوفي في رمضان سنة ٢٥٣؛ وقيل: ٢٥١؛ وقيل: سنة ٢٥٧.

(٣) في طو "معرفته" مكان "علمه".

(٤) في طو بزيادة "وأموالهم".

وروي الشيخ شهاب الدين السهروردي[1] رحمه الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «مَا صَبَّ اللهُ فِي صَدْرِي إلا وصَبَبْتُهُ فِي صَدْرِ أَبِي بَكْرٍ».[2] واستضاءت مصابيح قلوبهم بما أفاض عليهم، فتنورت مشكاة وجودهم متلألأة، فاضمحلت ظلمات صفات بشريتهم، فصاروا زهادا، عبادا، علماء، حكماء، عارفين، موحِّدين، راسخين في العلم. فاستضاء من أنوار بحار معارفهم من يتبعهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين. قال رسول الله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ»[3].

فنظره عليه السلام كساهم هذه السعادة العظمى، فأي خلوة توازي مجالسته؟ وأي عقل يجيز ترك مجالسته عليه السلام واختيارالخلوة.

وإنما فائدة الخلوة أن يجد المتخلي شيئا مما وجده الصحابة في حضرته عليه السلام، ولكن من لم يدرك مجالسته المباركة ولم يتشرف بها رجع إلى أصل فعله وهي الخلوة، لتعرض نسيمات نفحات ألطاف ربه في أيام دهره؛ قال رسول الله ﷺ:«إِنَّ لله فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا»[4] بأداء الأوامر على أكمل الوجوه وأحسنها.

---

(١)**شهاب الدين السهروردي:** (٥٣٩ - ٦٣٢ هـ = ١١٤٥ - ١٢٣٤ م)أبو حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله بن عموية، القرشي التيمي البكري السهروردي: فقيه شافعي، مفسر، واعظ، من كبار الصوفية. مولده في " سهرورد " ووفاته ببغداد. كان شيخ الشيوخ ببغداد. له كتب، منها "عوارف المعارف" و "نغبة البيان في تفسير القرآن" و "جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب" رسالة، و "السير والطير" رسالة.

(٢) عده المحدثون من الموضوعات لأنهم لم يجدوا له أصلا، وظاهر معناه أيضًا ليس بصحيح إلا أنه يمكن تصحيح معناه من جهة أن الله شرح صدر أبي بكر للإيمان والتصديق الأوَّلِيّ. وله شواهد كثيرة في الصحيحين وغيرهما وقد كان الصحابة يعرفون حقا بأن قد شرح له صدر سيدنا أبي بكر الصديق- رضي الله عنه- كما في قضية جمع القرآن و قتال مانعي الزكاة ففي الصحيحين من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق (البخاري، كتاب الزكاة، ٢/ ١١٨، رقم: ١٤٥٧، مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ١/ ٥١، رقم: ٢٠). وصح عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم (شعب الإيمان للبيهقي، ١/ ٤٣، رقم:٣٥)

(٣) سبق تخريجه في "باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٤) أخرجه الطبراني فى الكبير (١٩/ ٢٣٣، رقم: ٥١٩) وابن عبد البر في التمهيد، (٥/ ٣٣٩) وابن ابي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٢/ ٤٤، رقم: ٢٧) والحكيم في نوادر الأصول الأصل/ ١٢٤ في طلب الخير والتعرض لنفحات رحمة الله (٢/ ٢٩٣)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢/ ٣٧٠، رقم: ١٠٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/)(١٦٢) حكم عليه السيوطي بالضعف في الجامع الصغير وزيادته برقم: ١٩١٧ قلت: وإنما الحديث في الحث على اغتنام الأيام الفاضلة والساعات المباركة، وهو وإن كان ضعيفاً، إلا أن أدلة الشرع متوافرة على ذلك من الحث على استباق الخيرات وتحين الفرص، كالدعاء يوم عرفة، وليلة القدر، وفي الثلث الأخير من الليل، وساعة يوم الجمعة، والدعاء حال السفر وفي مواضع السجود. كل هذا يدل على معنى ما دل عليه الحديث.

وذلك لا يتيسر لمن تفرق قلبه وتشعبت همومه. فيحتاج إلى العزلة والخلوة، لتزول تفرقته، وليجتمع قلبه، وتصير همومه همًّا واحدًا.

فمن اختار العزلة والخلوة لأجل ذلك، فلا يلام على صنع الخلوة، فإنها تفرغ القلب من الخلق، ويجتمع الهم بأمر الخالق وتقوي العزم على الثبات وتقل الأفكار في عاجل حظوظ النفس، إذ الخلوة سدّ باب الحواس، وحاسة العين باب القلب، منها تدخل آفاته وعندها توجد شهواته ولذاته. والعاقل الكيِّس الدرَّاك لا ينكر الخلوة لأن أصلها صحيح بتعبد النبي ﷺ في غار حراء.

فصل في عدة الخلوة و دلائلها:

مشايخ الطريقة قيَّدوا الخلوة بشهر أو بأربعين يوما، وهم في ذلك على المتابعة. فمن مال إلى الأربعين يتمسك بحديث سوَّار بن مُصْعَب،[1] عن ثابت، عن مِقْسَم[2]، عن ابْن عبَّاسٍ، عن النبي ﷺ أنه قال:«مَن أَخْلَصَ لله أَرْبَعينَ صَبَاحًا ظَهَرتْ يَنَابِيْعُ الحِكمَةِ من قَلْبِه على لِسَانِه»[3]. ومن قال بشهرٍ استدلَّ بحديث عائشة وجابر ـ رضي الله عنهما ـ، قال جابر: جاوَر النبي ﷺ بحراء شهرا[4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْم، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ

---

(١) **سوَّار بن مُصْعَب**: (وفاته بين ١٧١و ١٨٠هـ)أبو عبد الله سوار بن مصعب الهمداني الكوفي الأعمى المؤذن. روى عن عطية العوفي وجماعة. وعنه أبو الجهم وغير واحد.

(٢)**مِقْسَم**: (١٠١هـ)أبو القاسم أو أبو العباس، مقسم بن بجرة مولى ابن عباس أو مولى عبد الله بن الحارث الهاشمي، وقال ابن سعد: أجمعوا على أنه توفي سنة إحدى ومائة.

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢٨٥ رقم: ٤٦٦) وله شاهد من حديث أبي أيوب الأنصاري عن مكحول مرسلا وموصلا ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، ما ذكر عن نبينا ﷺ في الزهد (٧/ ٨٠، رقم: ٣٤٣٤٤) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٩) والديلمي في الفردوس (٣/ ٥٦٤، رقم: ٥٧٦٧) و ابن المبارك في الزهد، باب فضل ذكر الله عز و جل (ص: ٣٥٩، رقم: ١٠١٤) وهناد في الزهد، باب التفرغ للعبادة (٢/ ٣٥٧، رقم: ٦٧٨) قال المناوي في التيسير (٢/ ٣٩١): ضعيف بل قيل بوضعه، قال الزبيدي في اتحاف السادة (٦/ ٦) وقال المناوي أيضًا في فيض القدير (٦/ ٤٣) "وفي شرح الأحكام لابن عبد الحق هذا الحديث وإن لم يكن صحيح الإسناد فقد صححه الذوق الذي خص به أهل العطاء والإمداد وفهم ذلك مستغلق إلا على اهل العلم الفتحي الذي طريقه الفيض الرباني بواسطة الإخلاص المحمدي".

(٤)سبق تخريجه في "فصل في دوام الخلوة".

لِثْلِهَا. وقد يترك الأكل ويقول لخديجة: أبيتُ عند ربي يُطعمني ويسقيني، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ»،[١] الحديث.

فإن قيل: الخلوة بحراء كانت قبل الرسالة أو بعدها؟.

قلت: قول عائشة رضي الله عنها:«أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا»، يدلّ على أنه كان نبيا يوحى الله إليه، وقولها: «ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ»، يدل على أن الخلوة كانت حكما مرتبا على الوحي؛ لأن كلمة "ثم" للترتيب، فكانت[٢] خلوته عليه السلام أمرًا من أمور الدين.

وجواب آخر، وذلك أن النبي ﷺ كان محفوظا من الله تعالى قبل البعث، فما كان يجري عليه إلا المرضي به من الأقوال، والأفعال. ولهذا عاتبه الله حين رفع الإزار على عاتقه لنقل الحجارة للبيت، كاشفا عورته كما هو فعل العرب[٣]، فصرع من ساعته شاخصا بصره إلى السماء، فستر عورته ولم ير بعد ذلك اليوم عورته.

فلو كان التخلي منه عليه السلام أمرًا مخالفًا للدين، لنهي عنه، فلم ينه، بل صارت خلوته ذريعة إلى مجيئ الحق إليه، وظهور الملك لديه، ونزول الوحي والقرآن عليه. علمنا أنها أمر من أمور الدين، كانت مباركة على نبينا عليه السلام، فتكون الخلوة مباركة علينا من بعده إن شاء الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١)، وقال الله تعالى:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

وإنما لم يشتغل بها الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ لاشتغالهم بأحكام ظاهر الشرع من الفقه والجهاد. ولما استقر الشرع وأعزَّ اللهُ تعالى الدِّينَ، فقد اشتغل بها التابعون وتابعو التابعين.

---

(١) في مج "حتى جاءه" كما في البخاري وفي الباقية "فأجاه". والحديث سبق تخريجه في "فصل في أن الخلوة مستحبة عندفساد الزمان".

وفيه زيادة "وقد يترك الأكل ويقول لخديجة: أبيتُ عند ربي يُطعمني ويسقيني" ولعله إضافة من الشيخ شرحا، ومع ذلك حديث "أبيتُ عند ربي يُطعمني ويسقيني" رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٢/ ٤٦٣، رقم: ١٠٣٥) عن عائشة تقول: نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصيام، فقيل له: فإنك تواصل، قال: إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم (٢/ ٧٧٤، رقم: ١١٠٣) والترمذي وعبد الرزاق والطبراني وغيرهم باختلاف يسير في اللفظ.

(٢) في غير د "كان".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه. (١/ ٨٢، رقم:٣٦٤) و مسلم في صحيحه(١/ ٢٦٨، رقم:٣٤٠).

فصل في فوائد الخلوة:

فوائد الخلوة كثيرة، منها: دوام الطهارة، ودوام الذكر بالقلب واللسان، وكثرة التلاوة، ودوام الصوم، ودوام حفظ اللسان، وسائر الحواس عما لايعنيه، ودوام الصلاة بالجماعة في أول الوقت، فإن من لم يكن مترصدا للجماعة بالخلوة، فربما يفوته الجماعة، ودوام صلاة الجمعة، فإن معنى الخلوة أن يجعل نفسه بالكلية لله تعالى، على مواظبة حدود الشرع. هكذا كان مشايخنا ـ رحمهم الله تعالى ـ، حتى كانوا يأمرون بغسل الجمعة في أيام البرد.!

ومن فوائد الخلوة: ألا يأكل إلا عند الفاقة، وألا ينام إلا عند الغلبة، وأن لا يقول إلا عند الضرورة، وأن يتأدب مع الله تعالى بحسن الأدب، وإخلاص العبودية، والصدق في الطلب، والخشوع والخضوع والذلة والافتقار إليه تعالى، والاستغناء به، والتوكل عليه، وزوال البَطر(١) والأطماع الفاسدة في الخلق، وترك الرياء والسمعة. فالخلوة على هذا الطريق قد فعلها أكثر أهل الدين والعلم بالله تعالى، فمن أنكرها فهو إما جاهل وإما متعنِّت.

فصل في أن الولاية يحتاج ظهورها إلى العزلة والخلوة :

النبوة كانت كامنة في النبي ﷺ، قال النبي ﷺ:«كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.»(٢)، وفي رواية: «بين الماء والطين»(٣)، فاحتاج ظهورها في عالم الشهادة إلى العزلة والخلوة، والانقطاع إلى الخالق عن الخلق.

(١) البَطَر: التكبر والطغيان في النِّعمة.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٦/ ٩، رقم: ٣٦٠٩) عن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٥، رقم:٤٢٠٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٩٢، رقم: ١٢٥٧١،١٢٦٤٦) و (٢٠/ ٣٥٣، رقم: ٨٣٣، ٨٣٤) عن ابن عباس، و أحمد في مسنده عن ميسرة الفجر (٣٤/ ٢٠٢، رقم:٢٠٥٩٦)

(٣) قال الإمام عبد الحي اللكنوي في الآثار المرفوعة (ص: ٤٥): اشتهر على ألسنة القصاص من حديث «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» وفي رواية «وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين» فإنه صرح السخاوي في "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة" والسيوطي في "الدرر المشتهرة في الأخبار المشتهرة" وغيرهما بأنه موضوع بهذا اللفظ، نعم ثبت عند الحاكم في مستدركه وصححه وأبي نعيم في حلية الأولياء والبخاري في تاريخه وأحمد في مسنده عن ميسرة الضبي، قلت: يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. وعند البيهقي وأحمد من حديث العرباض ابن سارية مرفوعًا: إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. وعند الترمذي عن أبي هريرة أنهم قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد.

وكذلك الولاية في الأولياء كامنة، يحتاج ظهورها إلى العزلة والخلوة؛ قال رسول الله ﷺ: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة».[1] فيحتاج إلى كثرة الذكر، والتلاوة، ودوام الوضوء، والصوم، والصلاة، وترك الشهوات، واللذات، ودوام المراقبة، والحضور مع الله تعالى، والمناجاة معه ـ عزّ وجلّ، وذلك يتعذر على أكثر الخلق بدون صنع الخلوة.

فصل في القلب العمي وفي طريق النجاة من عماه:

القلب العمي الذي ذكره الله تعالى بقوله:﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(الحج: ٤٦)، هو القلب الذي لا يشاهد عظمة الله تعالى.

وسبب عماه: استيلاء وساوس الشيطان عليه وهواجس النفوس، وإعراضه عن ذكر الله تعالى؛ قال الله تعالى:﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(الزخرف: ٣٦).

والنجاة من ذلك بتصفية القلب، وتزكية النفس بدوام الذكر، حتى يجلو قلبه شيئا فشيئا إلى أن يتحرق[2] حجابه بمشيئة الله تعالى، ويصل بسره إلى مطلوبه، فتحصل الجمعية، وتزول التفرقة ويحصل المعرفة بالله.

وهذه الجمعية إنما يحصل عند عدم مضادها وهي التفرقة، وسلطان الجمعية هي العزلة، ثم الخلوة وهي العزلة في العزلة؛ قال عليه السلام: «تفقهوا واعتزلوا»[3]، إنما أشار إلى جمعية القلب، فإذا قوي القلب بالذكر وتمكن حاله، واستعلى شأنه، و صارت خلوته وجلوته سواء، فعند ذلك لا يضره مخالطة الناس، قال عليه السلام:«خالطوا الناس بأبدانكم و زايلوهم بقلوبكم»[4].

وهذا سر قوله عليه السلام: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم» ـ الحديث ـ، وقد ذكرناه مشروحًا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة (٤/ ٢٠٣١، رقم: ٢٦٣٨)

(٢) في طو، و مج "يتخرق" وفي خد "ينخرق".

(٣) قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٥٧، رقم: ١٠٠٣): قال النجم: ليس بحديث وإنما نقله في الإحياء عن النخعي، ورواه أبو نعيم الأصبهاني عن الربيع بن خيثم، ورواه أحمد في الزهد عن مطرف أنه قال: تفقهوا وتعبدوا ثم اعتزلوا. (ص: ٢٤٠).

(٤) أخرجه هناد بن سري الكوفي في الزهد، باب مخالطة الناس (٢/ ٥٨٨) مرسلا عن عبدالله بن باباه قال: قال رسول الله: خالطوا الناس وصافحوهم وزايلوهم ودينكم لا تكلمونه. ووكيع في الزهد (١/ ٨٥٣، رقم: ٥٣١) موقوفا عن عبد الله بن باباه، قال: قال عبد الله: خالطوا الناس وزايلوهم بما يشتهون، ودينك لا تكلمنه. وأخرج البخاري أيضًا في صحيحه، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس (٨/ ٣٠) قال ابن مسعود: خَالِطِ النَّاسَ وَدِينَكَ لاَ تَكْلِمَنَّهُ وَالدُّعَابَةِ مَعَ الأَهْلِ. والدارمي في سننه (١/ ٣٤٦، رقم: ٣٢٠) قول علي وهو أقرب من لفظ المتن: "خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب".

فاجتهد، حتى يفتح الله عين قلبك، فتشاهد عظمة الله تعالى بصفاء سرك وانجلاء قلبك، فإن مَن لم يفتح عليه بشيء من ذلك ولم يبلغ مبلغ الرجال فهو أعمى، وإن كانت عيناه مفتوحتين. قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾(الإسراء: ٧٢)، فافهم ولا تعرض، فإن الخلوة أصلها صحيح بتعبد النبي ﷺ.

فمن لم يصل فهمه إلى أسرار الخلوة من حصول الجمعية وتواتر الواردات الربانية و لم يخلق لذلك فليحفظ لسانه من الوقيعة في أصحاب الخلوات، والحقد عليهم. فالذي اشتغل بحفظ سمعه، وبصره، وجوارحه، وظاهره، وباطنه، من المعاصي والذنوب، وبطنه من دخول الشبهة ليسلم دينه خوفًا من الله تعالى أن يعذبه عليه، فالمانع من ذلك من لا يؤمن عليه من دخول ضرر في دينه أو دنياه، فأيما امرء كتب[1] الله تعالى الإيمان في قلبه، ووفقه لما يحب ويرضى، فإنه لا يشوش على من يسعى في حفظ دينه، فربما يكون بعض المريدين لا يتيسر له حفظ القلب والدين إلا بواسطة صنع الخلوة والعزلة فمن كلّفه بغيرطاقته فقد ظلمه، قال الله تعالى:﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾(البقرة: ٢٨٦).

وكل مسلم يعلم أن العزلة والخلوة أمرجائز في الشرع، وليس بحرام، فالاعتراض لماذا؟ وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام:﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِين﴾(الصافات: ٩٩)، فالذهاب إلى الله تعالى هو الخلوة، وذلك بترك الإخوان ومفارقة الأوطان، وقوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام[2]:﴿فَلَمَّااعْتَزَلَهُمْ﴾(مريم: ٤٩) هو الخلوة، وفي قصة مريم عليهاالسلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً﴾(آل عمران: ٣٧)، فالمحراب هو الخلوة، وقوله تعالى:﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾(الأعراف: ١٤٢)، هي الخلوة، وكذا داود وسليمان عليهما السلام كان لهما خلوة وعزلة عن الناس، وهو قوله تعالى:[3] ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَاب﴾(ص: ٢٤)، وفي حق سليمان عليه السلام قال:﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾الآية (سبأ: ١٤)، وذلك لأنه متى حان موته[4] إلى أن خر ظهر أنه كان ميتا، فلولا أنه كانت عادته الخلوة و العزلة لطلبوه، فلما تركوه على حاله، دلَّ ذلك على أنه كانت الخلوة والعزلة عادة له ـ عليه السلام ـ.

(١) في طو "فأما من كتب" بدل "فأيما امرء" وكذا امرء.

(٢) "في قصة إبراهيم عليه السلام" زيد من د.

(٣) في خد "لقوله تعالى".

(٤) في طو "من حين موته" و في د "متى جاء موته" بدل " متى حان موته".

فصل في أن اختيار الأربعينات بالاستراحة فيما بين الخلوتين أولى بالاعتبار:

طائفةٌ من المشايخ اختاروا الخلوة والأربعينات على الدوام، إلى أن يتم الأمر ويأمر الله تعالى بدعوة الخلق إلى الصراط المستقيم وإلى متابعة النبي ﷺ.

وبعضهم اختاروا الأربعينات والاستراحة فيما بين الخلوتين أسبوعًا وأسبوعين، وهذا أولى، لأنه موافق لمجاهدة النبي ﷺ فهو أولى بالاعتبار، فإنه عليه السلام كان يتحنث في جبل حراء أسبوعًا وأسبوعين و جاور بحراء شهرًا، رواه جابر. فكان يتخلى ويتحنث مدة، ويخالط أخرى؛ ولأن النبي ﷺ قال في حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ:«إن لنفسك عليك حقا، فقُم ونَم»[1] وذلك لأن جميع العبادات إنما يتيسر بواسطة النفس، فإنها كالمركب.

فَمَن داوم الخلوة وداوم التضييق عليها، عِيْلَ صبرها[2]، وكملت ملالتها، وسآمتها، فتظهر الشماسة والجموح، ويعينها الشيطان على ذلك بوساوسه، فربما يؤدي الأمر إلى إزعاج السالك عن الخلوة وقلعه، ولو ابتلي بذلك لنفر النفس عن الخلوة، ولا يمكنه المراجعة إلى الخلوة، اللهم إلا أن يدركه العناية الأزلية، فإن جلس أيامًا وارتاض مدة، ثم استراح أسبوعًا وأسبوعين، اشتدت رغبته وتجددت إرادته، وازدادت دواعي طلبه، فإذا عاد إلى الخلوة والرياضة تدارك آفة الفترة بسرعة وتكون خلوته وجلسته بعد ذلك على شوق وطمأنينة، ورغبة صادقة، ولا تنازعه النفس، فتقل الخواطر المذمومة. وإذا قَلّت الخواطر ومنازعة النفس، وزال نزاع القلب تيسر له من السلوك وفتوح السالكين، بأسرع الأحوال ما لا يتيسر لغيره بمدة مديدة.

فصل في دوام ذكر الله تعالى:

الشرط الخامس: دوام ذكر الله تعالى باللسان مع حضور القلب، بالقوة الشديدة من غير رفع الصوت به، بحيث يدخل أثر الذكر في العروق والشرايين.

وأفضل الذكر "لا إله إلا الله،" كما في الخبر. وأمر الله تعالى النبيَّ ﷺ بعلم هذه الكلمات، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾(محمد: ١٩) فإذا واظب الذاكر على ذكر اللسان مدة، مع حضور تام، وتعظيم وافر، يؤدي ذكر اللسان إلى ذكر القلب، ويطمئن القلب بالذكر، قال الله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب﴾ (الرعد: ٢٨)، ويستأنس بالله تعالى، ويذكره عز وجل، ويستوحش عن الخلق ومخالطتهم المانعة عن الخلوة، حتى إذا استغرق الذاكر في الذكر القلبي أمره شيخه بترك ذكر

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٧، رقم:٦٩٠٠).

(٢) عِيلَ صبرُه : نَفِدَ.

اللسان، وشغله بالتوجه إلى الله تعالى، كيلا يقف موقف المنقطعين، فإنه وقوف في الصفات وانقطاع عن الذات.

قال البيهقي[1]: سئل أبو يزيد البسطامي[2] ـ رحمه الله ـ عن حقيقة المعرفة فقال: الحيرة بذكر الله تعالى، وعن حقيقة الجهل فقال: الغفلة عن ذكر الله تعالى.[3]

قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى: فقد ينتهي السيار بعد مدة مديدة من الذكر باللسان على حد يسأم القلب عن ذكر اللسان، ويكون ذكر اللسان تشويشا له، فيمتنع اللسان عن الذكر، بدوام حضوره بالقلب، فلا يجري الذكر على لسانه ولو سنين. وهو مؤمن موقن متقن. إلا في الصلاة المفروضة، عملا بفتوى القلب، فإن القلب لا يفتي بترك المفروضات قط، ولا يفتي بما فيه شك قط[4].

كما في الخبر: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك»[5]، وحينئذ يتبدل الذكر الإنسي بالذكر القدسي، ويشغله الذكر الحقيقي بالمذكور، ويلهيه عن صورة الذكر، فيعرف حينئذ حقيقة قول السادة: إن ذكر اللسان لَقْلَقة[6]، وذكر القلب وَسْوَسة.

فصل في الذكر و في أن صلاح القلب بواسطة الذكر:

جعل الله تعالى صلاح القلب بواسطة الذكر؛ لأن القلب مطلوبه ومحبوبه هو الله تعالى، والذكر صفات الرب تعالى، فلا جرم بذكره يتغذى ويتقوى، وبذكره يتطهر ويتنور، وبذكره

---

(١) **البيهقي**: (٣٨٤ – ٤٥٨ هـ = ٩٩٤ – ١٠٦٦ م) الإمام المحدث أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي الشافعي، ولد في خسروجرد من قرى بيهق، بنيسابور، ونشأ في بيهق وقضى من أكثر عمره في نيسافور ومات فيها، صنف زهاء ألف جزء، منها السنن الكبرى، والسنن الصغرى، والمعارف، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، والآداب، والترغيب والترهيب، والمبسوط، والجامع المصنف في شعب الإيمان.

(٢) **أبو يزيد البسطامي**: (١٨٨ – ٢٦١ هـ = ٨٠٤ – ٨٧٥ م) سيد السادة الصوفية، العارف الكبير، طَيْفُور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال: بايزيد: يلقب بـ "سلطان العارفين"، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية.

(٣) في ك، وخد "الخيرة" بدل "الحيرة" وفي شعب الإيمان للبيهقي "الحياة" (٢/ ١٨٧، رقم: ٧١٣).

(٤) فوائح الجمال ، ص: ٢١٤، ٢١٥

(٥) في ر، وخد "وإن أفتاك المفتون". هذا الحديث تلخيص ما أخرجه أحمد في مسنده عن وابصة بن معبد (٢٩/ ٥٢٨، رقم: ١٨٠٠١) بلفظ: "يا وابصة استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب، واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك" والبخاري في التاريخ (١/ ١٤٤)، والبيهقي في الدلائل (٦/ ٢٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٤) و(٦/ ٢٥٥) والدارمي في سننه (٣/ ١٦٤٩، رقم: ٢٥٧٥)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٦٠، رقم: ١٥٨٦، ١٥٨٧) ، والطحاوي في شرح المشكل (٥/ ٣٨٧، رقم: ٢١٣٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٤٨، رقم: ٤٠٣).

(٦) اللَّقْلَقَة : حُبْسَةٌ في اللسان، وإعجاله في النطق فلا ينطق ولا يتثبَّت.

يصفو ويدنو، وكل قلب أحبه الله وارتضاه، وقرَّبه وأدناه، وأراد أن يوصله إلى مقام النبوة. إن كان في زمانها. أو مقام الولاية، فهو تعالى يُسَلِّطُ الذكر على ذلك القلب، لينوِّره ويطهره بشدة ضيائه وقوة تصرفه، فكلمة «لا إلٰه إلا الله» التوحيدُ(١).

وقد ذكر الله تعالى هذه الكلمة في القرآن صريحا في موضعين، الأول: قوله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾(الصافات: ٣٥)، والثاني: قوله تعالى:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾(محمد: ١٩)، معناه اعلم أن الله هو الذي يستحق الألوهية دون غيره. وإذا علمت أن التوحيد إنما يصح بكلمة «لا إلٰه إلا الله»(٢)، علمت أن هذا الاسم من أعظم الأسماء.

فائدة: [أفضل الأذكار:]

وإن هذا الذكر أفضل الأذكار، وقال عليه السلام: «أفضل الذكر ، لا إله إلا الله»(٣)، وقال سهل التستري رحمه الله تعالى: ليس لقول لا إلٰه إلاالله ثواب إلا النظر إلى وجه الله تعالى عزَّ وجلَّ، و الجنة ثواب الأعمال.

اعلم أن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر ينتفي عنه ظلمة الكفر، ويثبت في قلبه نور التوحيد، وإذا قالها المؤمن وإن قالها في كل يوم ألف مرة، فبكل مرة ينفي عنه شيئا لم ينفه المرة الأولى. فمقام العلم بالله تعالى لا ينتهي إلى الأبد، لهذا لما قال الله تعالى للنبي ﷺ:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾(محمد: ١٩)، لم يقل: علمت؛ لأن العلم بالله تعالى لا نهاية له إلى الأبد، ولما قال للخليل عليه السلام:﴿أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(البقرة: ١٣١)؛ لأن الإسلام مبناه على الظاهر.

وقال بعضهم: قائل لا إلٰه إلا الله يحتاج إلى أربعة أشياء: "تصديق"، "وتعظيم"، "وحلاوة"، "وحرمة". فمن لم يكن له تصديق فهو منافق، ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع، ومن لم يكن له حلاوة فهو مرائي، ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق.

وخرج سهل التستري ـ رحمه الله تعالى ـ يومَ الجمعة من المسجد ونظر إلى الناس، فقال: أهل «لا إلٰه إلا الله» كثير والمخلصون منهم قليل، ولم تكمل هذه الخصال(١) إلا للمصطفى ﷺ، ولذلك قيل له: «فاعلم أنه لا إلٰه إلا الله»، لعظم محله، ودعا الآخرين(٢) إلى قوله دون علمه.

---

(١) في طو "للتوحيد".

(٢) في طو "لا يصح إلا بهذه الكلمة".

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، عن جابر بن عبد الله (٢/ ١٢٤٩، رقم: ٣٨٠٠) ، والترمذي في سننه، (٥/ ٤٦٢، رقم: ٣٣٨٣) ، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٢٦، رقم: ٨٤٦) ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١/ ٤٨٠، رقم: ٨٣١) بلفظ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله" وإسناده حسن.

فصل في فرضية ذِكْر الله تعالىٰ علىٰ الطالبين:

ذِكر الله تعالى فرض على الطالبين المحبين، قال الله تعالى:﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾(النساء: ١٠٣) [٣].

قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: آت بالذكر بالليل والنهار وفي البر والبحر، والسفر، والحضر، والغنى، والفقر، والمرض، والصحة، والسر، والعلانية.

قال بعضهم: لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ينتهي إليه، وعذر أهلها في سائر الأحوال إلا الذكر، فإنه تعالى لم يجعل له حدا معلوما ينتهي إليه، و لم يعذر أحدا في تركه إلا من كان مغلوبا في عقله.[٤] ولو عذر أحدا في ترك الذكر لعذر زكريا عليه السلام قال الله تعالى: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾(آل عمران: ٤١). ثم قال الله تعالى ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ (آل عمران: ٤١)، وكذلك لو عذر أحدا في ترك الذكر لعذر الغزاة؛ قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ (الأنفال: ٤٥).

فصل في أن جميع الطاعات تزول يوم القيامة سوىٰ ذكر الله:

جميع الطاعات تزول يوم القيامة، كالصلاة والصيام وغيرهما، لارتفاع التكاليف في الآخرة، أما طاعة التهليل والتحميد والتمجيد، فلا تزول عنهم، وكيف تزول والقرآن دلَّ على أنهم مواظبون على الحمد، والمواظبة على الحمد هي المواظبة على الذكر والتوحيد.

أما أنهم مواظبون على الحمد، فلقوله تعالى:﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾(فاطر: ٣٤)،

---

(١) في ك بزيادة "الأربعة".

(٢) في د "للآخرين".

(٣) في ر بزيادة هذه العبارة :"ولا ينام ما لم يغلبهم النوم؛ ولذلك وصفوا بأنهم ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾(الذاريات: ١٧)، وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول، فلينم حتى يعقل ما يقول. كان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يكره النوم قاعدا، وفي الخبر: «لا تكابدوا الليل»، وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصلي بالليل. وإذا غلبها النوم تعلق بحبل، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ".

(٤) هذا مختصر ما أخرجه الطبري في تفسيره (٩/ ١٦٤، رقم: ١٠٣٨٠) عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: "واذكروا الله كثيرًا"، يقول: لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال عذرٍ، غيرَ الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، فقال: "فاذكروا الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبكم"، بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسرِّ والعلانية، وعلى كل حال. والحديث ضعيف. **قلت**: عزا المصنف ـــ عليه الرحمة والرضوان ـــ القول الثاني إلى البعض والبعض هو ابن عباس رضي الله عنه أيضًا كما أخرجناه عن الطبري.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾(الزمر: ٧٤)، وقال الله تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(يونس: ١٠)، ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ (القصص: ٧٠).

فثبت أنهم مواظبون على الحمد، والمواظب على الحمد مواظب على الذكر، فعلمنا أن جميع العبادات[١] زائلة عن أهل الجنة إلا طاعة الذكر المتضمن للتوحيد.

اعلم أن الطاعات كالصلاة والصوم والزكاة والحج وغير ذلك قد يشوبها الرياء، والصدقة تشوبها[٢] الشبهات، وأما كلمة لا إلٰه إلا الله فليس فيها شائبة، فإن المؤمن لا يذكرها إلا عن صميم فؤاده، فالإخلاص فيها موجود، فلهذا وجب له الإخلاص، فلو قالها بغير إخلاص لم يكن مؤمنا، ولا خلاصا من عذاب الآخرة.

فصل في فضيلة الذكر:

رُوِي عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: يفتح الله تعالى أبواب الجنة، وينادي مناد من تحت العرش، أيتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن أنت؟ فتنادي الجنة وكل مافيها من النعم: نحن لأهل لا إلٰه إلا الله، ونشتاق إلى أهل لا إلٰه إلا الله، ولا نطلب إلا أهل لا إلٰه إلا الله، ولا يدخل علينا إلا أهل لا إلٰه إلا الله، ونحن محرّمون على من لم يقل لا إلٰه إلا الله، ولن نؤمن[٣] إلا بلا إلٰه إلا الله، وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب: لا يدخلني إلا من أنكر لا إلٰه إلا الله، ولا أطلب إلا من كذب بلا إلٰه إلا الله، وأنا حرام على من قال: لا إلٰه إلا الله، ولا أمتلئ إلا بمن جحد لا إلٰه إلاالله، وليس غيظي وزفيري إلا على من أنكر لا إلٰه إلا الله، ثم قال: فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول[٤]: أنا لأهل لا إله إلا الله، وناصر لمن قال: لا إله إلا الله، ومتفضل على من قال: لاإله إلا الله، ومحب لمن قال: لا إله إلا الله، والجنة مباحة لمن قال: لا إله إلا الله، والنار محرمة على من قال: لا إله إلا الله، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله، والمغفرة والرحمة غيرمحجوبة عن أهل لا إله إلا الله[٥].

وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس على أهل لا إلٰه إلا الله

---

(١) في ك، وخد "الطاعات".

(٢) في جميع النسخ "يشوبها".

(٣) في خد، وك "لا يؤمن" وفي مج "لن يؤمن" وفي طو "لم يؤمن".

(٤) في خد، وطو، وك "فيقول".

(٥) لم أطلع على هذا الأثر في كتب الأحاديث ولكنه في كتب الصوفية متداول مثل نزهة المجالس ومنتخب النفائس (١/ ٢٢).

وحشة في الموت، ولا عند النشور، وكأني أنظر إلى أهل لا إلٰه إلا الله عند الصيحة فينفضون شعورهم من التراب و يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنَّا الحزن»[1].

فصل في بيان الحكمة في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾:

قال بعضهم: الحكمة في قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَت وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَت﴾(التكوير: ٢)، أن يوم القيامة يتجلّى نور كلمة لا إلٰه إلا الله فيضمحل في ذلك النور نور الشمس والقمر؛ لأن ذلك أنوار مجازية ونور لا إله إلا الله نور حقيقي، ذاتي، واجب الوجود لذاته تعالى، والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة، فلا جرم يبطل كل نور في مقابلة هذا النور العظيم بل يبطل كل وجود بمقابلة هذا الوجود، كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾(القصص: ٨٨).

وروي في الآثار أن العبد إذا قال: لا إلٰه إلا الله، أعطاه الله تعالى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة[2]، والسبب أنه لما قال هذه الكلمة، فكأنَّه قد ردَّ على كل كافر وكافرة، فلا جرم يستحق الثواب بعددهم، وقال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: معنى لا إلٰه إلا الله، لا نافع، ولاضارَّ، و لا مُعِزَّ، ولا مُذِلَّ، ولا مُعْطِي، ولا مَانِعَ إلا الله[3].

وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾(الحج: ٤٥)، فقال: البئر المعطلة قلب الكافر، معطل من قول لا إلٰه إلا الله، والقصر المشيد قلب المؤمن، معمور بشهادة لا إلٰه إلا الله.

فصل في شواهد الذكر:

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(البقرة: ١٥٢)، قال ثابت البناني[4]: إني أعلم متى يذكرني ربي، ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرتُه ذكرني.

وقال الله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾(الأحزاب: ٤١)، وقال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾(المزمل: ٨).

---

(١) باختلاف في اللفظ أخرجه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٠٢) والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٨٢، ترجمة: محمد بن أبي علي الموصلي) وخيثمة في حديثه (١٩٧ – ١٩٨) والطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ١٨١، رقم: ٩٤٧٨). وابن عدي في الكامل (٤/ ٢٧١)، والبيهقي في الشعب (١/ ٢٠٢، رقم: ٩٩)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٢٩٧)، والسخاوي في المقاصد (ص:٥٦١): سنده ضعيف.

(٢) لم أجده في كتب الأحاديث التي بحثتها فيها حتى الآن.

(٣) لم أطلع على هذا الأثر في كتب الأحاديث ولكنه في كتب الصوفية متداول مثل نزهة المجالس ومنتخب النفائس (١/ ١٨).

(٤) **ثابت البناني**: (٤١ – ١٢٧ هـ) أبو محمد ثابت بن أسلم البناني، روى عن ابن عمر وابن الزبير وخلق، وعنه الحمادان وأمم، وكان رأسًا في العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة، يقال: لم يكن في وقته أعبد منه.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ أَيُّ العِبَادِ أَفْضَلُ دَرَجَةً عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله وَمِنَ الغَازِي فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «لَوْ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ فِي الكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَنْكَسِرَ وَيَخْتَضِبَ دَمًا لَكَانَ الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا أَفْضَلَ دَرَجَةً مِنْهُ».(1)

وقال رسول الله ﷺ: « لَذِكْرُ الله بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ الله وَمِنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ سَحًّا»(2).

قال عليه السلام: «سِيرُوا، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ ، قيل: ومَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله ﷺ؟ قال: الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ الله ، وَضَعَ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَوَرَدُوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا»(3).

اعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الذكر أفضل الأعمال، ولهذا أعظم أمر الذكر، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(العنكبوت: ٤٥)، قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: له وجهان: أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إيَّاه. والآخر: أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه(4) وقال عليه السلام:«يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي ما ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ»(5)، وسُئِل رَسُولُ الله: ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ الله»(6)، والذكر عمدة السائرين إلى الله تعالى، وعمدة طالبيه، فلا يصل أحد إلى الله إلا بذكر الله، لأنه منه بدأ

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات (٥/ ٤٥٩، رقم: ٣٣٧٦)، وابن حنبل في مسنده (٣/ ٧٥ رقم: ١١٧٣٨)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥٣٠ رقم: ١٤٠١) والبغوي في شرح السنة (١٢٤٦) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث دراج.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣/ ٧٦) والديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٤٥٤، رقم: ٥٤٠٢)

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات (٥/ ٥٧٧، رقم: ٣٥٩٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون. قالوا: وما المفردون يا رسولَ الله؟ قال المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا. والحكيم الترمذي في نوادر الأصول الأصل/ ٢٦٧ في فضل العلم بالله (٤/ ١٠٦): "هم المستهترون بذكر الله حط الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا" وقد رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦، رقم: ٢٦٧٦) من حديث أبي هريرة مقتصرا على الجزء الأول من الحديث وقال فيه: "وما المفردون؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات" والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥١، رقم: ٥٠٤) المستهترون بذكر الله عز وجل يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافا.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره بسندين تحت الآية المذكورة (٢٠/ ٤٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٥٣)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأدب (٢/ ١٢٤٦، رقم: ٣٧٩٢).

(٦) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٧٢، رقم: ٢٠٨)، والبزار في كشف الأستار (٤/ ٣، رقم: ٣٠٥٩)، وابن وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٠٠، رقم: ٨١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ١٠٧ رقم: ٢١٢).

وإليه يعود، لقوله تعالى:﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(فاطر: ١٠) والذكر يوصل الذاكر إلى المذكور بل يجعل الذاكر مذكورا، لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(البقرة: ١٥٢).

اعلم أن جميع العبادات المراد منها الذكر، قال الله تعالى:﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾(طه: ١٤) والمراد من الذكر، معرفة المذكور ومحبته، والفناء فيه، والبقاء به، والتوحيد.

فصل في كيفية الذكر:

قال الله تعالى:﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾(البقرة: ٢٠٠)، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾(الأعراف: ٢٠٥)، وقال عليه السلام:«أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله، تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة»[1].

[شروط الذكر وآدابه]

اعلم أن من شرائط الذكر أن يكون الذاكر على طهارة كاملة، من الوضوء والغسل، وطهارة البدن، وطهارة الثياب، وطهارة الموضع، وأن يقعد متربعا متوجها إلى القبلة، واضعا يديه على فخذيه، أو يأخذ براحة كفه اليسرى ظهر كفه اليمنى، وباطن إبهامه اليسرى ظاهر إبهامه اليمنى، كما فعل رسول الله ﷺ، أورده الحليمي[2] رحمه الله تعالى في كتابه، ويكرر «لا إلٰه إلا الله» بقلب حاضر مع الله تعالى، خافضا صوته، غامضا عينيه، ويخرج «لا إله» من صميم فؤاده بقوة شديدة، مع كل تعلق[3] في قلبه، نافيا جميع خواطره، ضرًا كان أو نفعًا، و يدخل «إلا الله» بالقوة الشديدة في قلبه، مثبتا تَوَجُّهَ قلبِه إلى الله تعالى، ليكون جوامع معنى ذكره أن ليس في الوجود سوى الله، مداوما على الذكر، مواظبا عليه، مراقبا بقلبه.

---

(١) قال العراقي في المغني، (١/ ٢٩٦، رقم: ٩٢٤): (أخرجه) أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس (من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة) وفيه من لا يعرف، **ونقول**: معناه صحيح من حديث عبد الله بن بسر قال: أعرابيان، فقال أحدهما: من خير الرجال يا محمد؟ قال النبي ﷺ: "من طال عمره، وحسن عمله"، وقال الآخر: إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فباب نتمسك به جامع؟ قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل. (مسند أحمد، ٢٩/ ٢٢٦، رقم: ١٧٦٨٠).

(٢)**الحليمي**: (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ - ١٠١٢ م)رئيس المحدِّثين والمتكلمين بما وراء النهر، القاضي العلامة أبو عبد الله، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، أخذ عن: الأستاذ أبي بكر القفَّال، والإمام أبي بكر الأُودَنِيّ. وحدث عن: خلف بن محمد الخيام، وأبي بكر محمد بن أحمد بن خَنْب، وبكر بن محمد المروزي الدخمسيني وجماعة. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له «المنهاج» في شعب الايمان، قال الإسنوي: جمع فيه أحكامًا كثيرةً ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره.

(٣) في طو "مع قطع كل تعلق".

ومن آداب الذكر[1] أن يكون جميع أوقاته مستغرقا للذكر، بحيث لا يخلو لسانه وقلبه من الذكر ومعناه، حتى يتجوهر القلب بجوهر الذكر ويرتفع الحجب المانعة من مشاهدة المذكور وبفناء الذاكر في المذكور.

فصل في فرضية ذكر الله تعالى على المسلمين:

ذكر الله تعالى فرض دائم على المسلمين، قال الله تعالى:﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾(الزمر: ٢٢)، وفيه إشارة إلى أن يذكر العبد بقوة شديدة، لأنه ذكر القلوب بصفة القسوة، والقسوة صفة الحجر، قال الله تعالى:﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(البقرة: ٧٤)، والحجر إذا كان قاسيا لا ينكسر إلا بضرب شديد بِمِعْوَلٍ قوي، وقال الله تعالى:﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(الزخرف: ٣٦)، وقال رسول الله ﷺ:«الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس و تولى وإذا غفل التقم قلبه فحدّثه ومنّاه»[2].

فصل في احتياج المريد إلى تلقين الذكر عن الشيخ:

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴾(الأحزاب: ٧٠)، يعني قولوا: لا إله إلا الله، وقال رسول الله ﷺ:«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[3].

[شروط الذكر وآدابه]

اعلم أن للذكر شرائط وآدابا لا بد من رعايتها، ليكون مفيدًا مثمرًا. فمن شرطه أن يواظب على أفضل الأذكار وهو قول «لا إله إلا الله».

ومن شرطه أيضًا أن يأخذ هذا الذكر بالتلقين من أهل الذكر، كما أخذ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من رسول الله ﷺ، فيما روى شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت حاضر يصدِّقه، إنا

---

(١) في ر "ومن أركان الذكر".

(٢) أخرجه الأئمة الأعلام بألفاظ مختلفة كابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، كلام ابن عباس رضي الله عنه (٧/ ١٣٥، رقم: ٣٤٧٧٤) «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس» وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٧٨، رقم: ٤٣٠١) «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس» ورواه البخاري في صحيحه موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما بدون سند (٦/ ١٨١) «إذا ولد خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه.

(٣) أخرج أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٠٤، رقم: ١٦٠٢٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٦٨، رقم: ٤٢١٩)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥١٧، رقم: ٦٥٦٢)، وابن خزيمة (١/ ٨٢، رقم: ١٥٩) وغيرهم.

لعند رسول الله ﷺ إذ قال:«هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب، قلنا: يا رسولَ الله ﷺ! لا ، فأمر بغلق الباب، فقال: ارفعوا أيديكم فقولوا: لا إلٰه إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: الحمد لله، اللَّهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، و وعدتني عليها الجنة، إنَّك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أَبْشِروا فإن الله قد غفرلكم».[1]

وقد لقَّن الصحابة التابعين من المشايخ شيخًا بعد شيخ إلى زماننا هذا، كل من كان أهل الذكر منهم[2]، كما كانت الصحابة رضي الله عنهم، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾(الفتح: ٢٦) وهي كلمة «لا إلٰه إلا الله» وكانوا أحق بها، لأنهم أخذوها من رسول الله ﷺ بالتلقين، وأهلها لنفوذ الكلمة في باطنهم بتأثير الأنوار.

فالمريد إذا استعد بخدمة شيخ عارف بحقيقة الأمر، سالك لطريق الحق، واقف على دقائق التربية، يلقنه الذكر، ويعوّده التخلي، والمواظبة على الذكر، ليزيد بذلك طلبه وشوقه، فيستأنس في الخلوة ويستوحش عن الخلق فيجلسه في الخلوة.

فصل في أن عليا ـ رضي الله عنه ـ تلقىٰ الذكر من النبي ﷺ:

ثبت عند أئمة الطريق من الصوفية وسادات السلوك أن علي بن أبي طالب ـ كرَّمَ اللهُ تعالى وَجْهَهُ ـ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى أَقْرَبِ الطُّرُقِ إِلَى الله تَعَالَى وَأَسْهَلِهَا عَلَى عِبَادِهِ، وَأَفْضَلِهَا عِنْدَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: يَا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بِمُدَاوَمَةِ ذِكْرِ الله تَعَالَى فِي الْخَلْوَةِ ، فقال علي: هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، فقال رسول الله ﷺ: يا علي، لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى يبقى من يقول: الله الله، فَقَالَ عَلِيٌّ: كَيْفَ أَذْكُرُ يَا رَسُولَ الله ﷺ؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: غَمِّضْ عَيْنَيْكَ وَاسْمَعْ مِنِّي ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا إلٰه إلا الله» ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَعَلِيٌّ يَسْمَعُ ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: «لا إلٰه إلا الله» ثَلاثَ مَرَّاتٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْمَعُ[3].

ثم لقَّن عليٌّ رضي الله عنه الحسنَ البصريَّ،[4] وهو لقَّن حبيب العجمي، وهو لقَّن داود

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن ربيعة بن عباد الديلي (٢٨/ ٣٤٨ رقم:١٧١٢١) و البزار في مسنده (٧/ ١٥٦رقم: ٢٧١٧) والحاكم في المستدرك (١/ ٦٧٩، رقم: ١٨٤٤).

(٢) في د "وكل من كان أهلا لتلقين الذكر منهم لقن الناس".

(٣) في د بدون " فقال علي: هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون، فقال رسول الله ﷺ: يا علي، لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى يبقى من يقول: الله الله"، وكذا أخرجه ابن عقيلة في الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة، التاسع: الحديث المسلسل بتلقين كلمة لا إله إلا الله (ص: ٨٦) بسنده وأيده بأحاديث صحيحة ورواه الصوفية بأسانيدهم.

(٤)**الحسن البصري**: (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م)إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، أبو سعيد، الحسن بن يسار البصري من كبار التابعين، ولد بالمدينة، وشب في كنف إمام الهدى أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله

الطائيَّ، وهو لقن معروف الكرخيَّ، وهو لقَّن سري السقطي، وهو لقن الجنيدَ، ومن الجنيد إلى أبي على الرُّوْذباري، ومنه إلى أبي علي الكاتب، ومنه إلى أبي عثمان المغربي، ومنه إلى أبي القاسم الكركاني، ومنه إلى أبي بكر النسَّاج، ومنه إلى أحمد الغزالي، ومنه إلى أبي النجيب السُّهروردي،(1)

وجهه، وبايع على يديه ولبس خرقته، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء، وأقربهم هديا من الصحابة، توفي بالبصرة.

حبيب العجمي: (١١٩ هـ = ٧٣٧ م) أبو محمدٍ حبيبُ بن محمد العجميُّ البصريُّ، أحد أعلام التصوف المشهورين الموصوفين بالزهد، والورع، والكرامات، واستجابة الدعاء، وكان له دنيا، فوقعت موعظة الحسن في قلبه، فتصدق بأربعين ألفا، وقنع باليسير، وعبد الله حتى أتاه اليقين. قيل توفي في حدود الأربعين والمائة. روى عن الحسن وابن سيرين وغيرهما. وعنه حماد بن سلمة، وأبو عوانة، وجعفر بن سليمان، وداود الطائي، ومعتمر بن سليمان، وآخرون.

(١) **داود الطائي**: (١٦٥ هـ = ٧٨١ م) أبو سليمان داود بن نصير الطائي من أئمة المتصوفين، أصله من خراسان، ومولده بالكوفة. رحل إلى بغداد، وأخذ عن الإمام أبي حنيفة وغيره، وعاد إلى الكوفة، فاعتزل الناس، ولزم العبادة إلى أن مات فيها. قال أحد معاصريه: لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئا من خبره.

معروف الكرخي: (٢٠٠ هـ= ٨١٥ م) أبو محفوظ معروف بن فيروز، أحد السادات، مستجاب الدعوة، أستاذ سرى السقطي.

أبو علي الكاتب: (٣٤٣هـ =٩٥٤م) الْحسن بن أَحْمد والمعروف بـ "ابن الكاتب"، كان من كبار مَشَايِخ المصريين، وأوحد مَشَايِخ وقته، صحب أَبَا بكر الْمصْرِيّ وَأَبا عَليّ الرُّوذَبَارِي وَغَيرهمَا من الْمَشَايِخ.

أبو عثمان المغربي: (حوالي٢٤٢هـ-٣٧٣هـ) أَبُو عُثْمَان سعيد بن سَلام المغربي القيرواني، كان من كبار المشايخ، له أحوال وكرامات، وكان في الرياضة كبير الشأن، لم يُرَ مثلَه فِي علوّ الْحَال وصون الْوَقْت وَصِحَّة الحكم بالفراسة وَقُوَّة الهيبة. صحب أَبَا عَليّ بن الْكَاتِب وحبيبًا المغربي وَأَبا عَمْرو الزجاجي، وَلَقي أَبَا يَعْقُوب النهرجوري وَأَبا الْحسن بن الصَّائِغ الدينَوَرِي وَغَيرهم من الْمَشَايِخ. ورد نيسابور وَمَات بهَا سنة ٣٧٣ هـ.

أبو القاسم الگرگاني: (٣٥٠-٤٥٠هـ=٠٠٠-١٠٥٨م) اسمه عبد الله بن علي الطوسي الخراساني، كان من أقران الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، وما كان نِدّه ونظيره في زمانه. وهو خليفة الشيخ أبي عثمان المغربي وكان الشيخ أبو بكر النساج مريده.

أبو بكر النسَّاج: أبو بكر بن عبد الله النّساج الطّوسي، مريد الشيخ أبي القاسم الگرگانی استفاد من صحبة الشيخ أبي بكر الدينوري وهو كان مرشد الشيخ أحمد الغزالي.

أحمد الغزالي: (٥٢٠ هـ = ١١٢٦ م)أبو الفتوح مجد الدين أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الطوسي الغزالي ، أخ الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. درس بالنظامية نيابة عن أخيه لما ترك التدريس زهادة فيه. وشهرته بالغزالي - كأخيه -، له الذخيرة في علم البصيرة في التصوف، ولباب الإحياء اختصر فيه إحياء علوم الدين لأخيه، و التجريد في كلمة التوحيد و بوارق الإلماع في الرد على من يحرم السماع.

أبو النجيب السهروردي: (٤٩٠ - ٥٦٣ هـ = ١٠٩٧ - ١١٦٨ م) عبدالقاهر بن عبد الله بن محمد البكري الصديقي، أبو النجيب السهروردي، فقيه شافعي واعظ، من أئمة المتصوفين، ولد بسهرورد، وسكن بغداد فبنيت له فيها رباطات للصوفية من أصحابه، وولي المدرسة النظامية. وتوفي ببغداد، وله "آداب المريدين" و "شرح الأسماء الحسنى" و"غريب المصابيح".

ومنه إلى عمار بن ياسر، ومنه إلى نجم الدين الكبرى، ومنه إلى مجد الدين البغدادي، ومنه إلى علي لالا، ومنه إلى أحمد الكورباني، ومنه إلى عبد الرحمن الكسرقي، ومنه إلى برهان الدين السمرقندي، ومنه إلى الفقير مؤلِّف هذا التأليف.[1]

فصل في تنبيه المريد على دوام الذكر بعد توبة النصوح:

ليتنبّه هذا المريد في هذا الطريق على دوام الذكر بعد توبة النصوح، وليلازم الصدق، والإخلاص، والورع، والصَّمت إلا عن ذكر الله تعالى، فيكون في حركاته وسكناته، وقيامه وقعوده ذاكرًا لله تعالى، مع سكون الجوارح، ممتثلًا لأوامر شيخه العارف بهذا الطريق كالميِّت بين يدي الغسال، كما كان الصحابة مع النبي ﷺ.

قال عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ أَن يَّنظر إلى ميِّت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر »[2]
وقال عليه السلام: «طَلْحَةُ مِمَّنْ قَد قَضَى نَحْبَهُ »[3]

---

(١) **عمار بن ياسر**: (٥٨٢هـ=١١٨٦م)أبو ياسر عمار بن ياسر بن مطر بن سحاب،المعروف بـ"عمار ياسر البدليسي" وكان لقبه ضياءالدين، وهومن المشايخ الكاملين والكبار العارفين، وهو شيخ نجم الدين الكبرى وخليفة أبي نجيب ضياء الدين السهروردي، ومن آثاره العلمية: بهجة الطائفة العارفة بالله، صوم القلب، واختلفت في سنة وفاته قيل ٥٨٢هـ وقيل بين ٥٩٠ و٦٠٤هـ.

مجد الدين البغدادي: (٦١٦ ه = ١٢١٩ م)مجد الدين شرف بن المؤيّد بن أبي الفتح البغدادي، من تلاميذ الشيخ الأجل نجم الدين الكبرى. ولقد اشتهر أمر الشيخ مجد الدين بين الناس ونفع الله به خلقا كثيرين وكتب عدة مؤلفات منها: "رسالة سفر" و "رسالة السلوك" و "تحفة البررة فى المسائل العشرة" وهى كتب فى التربية الصوفية.

علي لالا: (٦٤٢هـ=١٢٤٤م) هو العارف الشيخ رضي الدين علي بن سعيد بن عبدالجليل لالا، الغزنوي المعروف بـ"علي لالا"، وإنه مات في الثّالث من ربيع الاول، سنة ٦٤٣هـ و قبره في حوالي أصفهان يعرف «گنبد لالا» وقيل: مات بغزنة في (٦٤٢ أو ٦٤٣) و دفن عند قبر السلطان محمود الغزنوي.

أحمد الگورپاني : (٦٦٩ هـ = ١٢٧٠ م)جمال الدين أحمد الگورپاني الإسفرائني من تلاميذ الشيخ رضي الدين علي لالا، وهو أحد من المشايخ الكبار في زمانه.

عبد الرحمن الكسرقي: (٦٣٩ ـ ٧١٧ ه) نور الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الكسرقي الأسفرايني، من أعلام التصوف في القرن الثامن الهجري وشيخ الشيخ علاء الدولة السمناني وتلميذ وخليفة الشيخ أحمد الگورپاني وله كتب منها: "كاشف الأسرار".

برهان الدين السمرقندي: تلقن الشيخ قطب الدين الدمشقي منه الذكر، ولم أجد ترجمته فيما لدي من المراجع.

(٢) نقله العلماء الصوفية في مؤلفاتهم ولم نجده في متون الحديث، وأخرج الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٤، رقم: ٤٤٠٤): "من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر" وقال "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه"، والطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ١٤٩ رقم: ٩٣٨٤) وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب(٥/ ٦٤٤ رقم: ٣٧٤٠) وابن ماجه في سننه، المقدمة، (١/ ٤٦ رقم: ١٢٧) والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٢٤، رقم: ٥٦١١) وقال "صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه".

وقال عليه السلام: «مُوْتُوْا قَبْلَ أَنْ تَمُوْتُوْا»[1]، فإذا كان بوصف الميت كان ذاكرًا لله بالله لا بنفسه وإنَّما يصل الذاكر إلى الله تعالى بذكر الله تعالى القديم، لا بذكر نفسه الحادث.

فصل في قصد المريد إلى الشيخ العارف[2]:

أول ما يلزم المريد بعد الانتباه من غفلته أن يقصد إلى شيخ من أهل زمانه، عارف مؤتمن على دينه، معروف بالنصح والأمانة، واقف على دقائق الطريق، فيسلم نفسه لخدمته، ويجتنب مخالفته، ويكون الصدق حاله. ثم الشيخ يعرّفه كيفية الرجوع إلى الله تعالى، ويدله على الطريق، ويُسَهِّل عليه سلوكها، ويعلمه شرائع الإسلام مما له وعليه. فإن الشيخ هو الذي يقرر الدين والشريعة في قلوب المريدين.

وأولى الأشياء به تصفية المطعم، والمشرب، والملبس؛ لأن بذلك يجد الزيادة في حاله، قال النبي ﷺ:«طلب الحلال فريضة بعد الفريضة»[3]. وقال بعضهم: طلب الحلال فريضة على الكل وترك الحلال فريضة على هذه الطائفة إلا على حد الضرورة، ثم قضاء ما ضيع من الفرائض، ثم رد المظالم على أهلها، لقول النبي ﷺ: «رَدُّ دَانِقٍ مِنْ حَرَامٍ يَعْدِلُ عِنْدَ الله سَبْعِينَ حَجَّةً»[4] وما كان من ضرب، وجرح، وقطع فالقصاص، وما كان من غيبة، أو نميمة، أو شتيمة فالاستحلال والاستغفار لصاحبها، ثم معرفة النفس وتأديبها بالرياضة.

وللنفس صفتان: ١- انهماك في الشهوات، ٢- وامتناع عن الطاعات، فيروّضها بالمجاهدة، وهو فطم النفس عن مألوفاتها، وحملها على خلاف أهويتها ومنعها من الشهوات، ويأخذها بالمكابدات، وتجرُّع المرارات بكثرة الأوراد، واستدامة الصوم، والنوافل من الصلاة، مع الندم على المخالفات، ونقلها عن قبيح العادات.

---

(١) قال الحافظ بن حجر: غير ثابت (الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع، ص: ٩٨)، وقال القاري: هو من كلام الصوفية والمعنى: موتوا اختيارًا بترك الشهوات قبل أن تموتوا اضطرارا بالموت الحقيقي. (كشف الخفاء ٢/ ٣٥٠، رقم: ٢٦٦٩).

(٢) هذا الفصل مأخوذ من آداب المريدين للشيخ أبي نجيب الدين السهروردي بتغيير يسير في بعض المواضع، ص:٢٨.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٧٤ رقم: ٩٩٩٣) والقضاعي في مسند الشهاب (١/ ١٠٥ رقم: ١٢٢) والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ١٧٦، ٨٣٦٧) وقال السخاوي في المقاصد (ص: ٥٠٥): قال البيهقي تفرد به عباد وهو ضعيف قال أبو أحمد الفرا سمعت يحيى بن يحيى يسأل عن حديث عباد في الكسب فإذا انتهى إلى رسول الله قال إن كان قاله. ثم ذكر السخاوي المتابعات والشواهد وقال: وبعضها يؤكد بعضا لا سيما وشواهدها كثيرة.

(٤) قال القاوقجي في اللؤلؤ المرصوع (ص: ٨٨ رقم: ٢٢٣): حديث رد دانق - ويروى آبق- على أهله خير من عبادة سبعين سنة لم يثبت أصل مبناه لكن صحيح معناه. وذكر شواهده العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤٩٠، رقم: ١٣٧٨).

ويجتهد أن يتعوض عن النوم سهرًا، وعن الشبع جوعًا، وعن الرفاهية بؤسًا، فيكون حينئذ من جملة التوابين.(١)

وقال عليه السلام:«اَلشَّابُّ التَّائِبُ حَبِيْبُ اللهِ تَعَالى»(٢)، ويكون من الذين يُبدِّل الله سيئآتهم حسنات.

فصل في تلقين الذكر :

اعلم أن الذكر بالتقليد شيء، وبالتحقيق شيء آخر؛ فما دخل في مسامع المستمعين من طريق أفواه العامة، مثل ترديد الوالدين وغيرهما من المعلمين فهو الذكر التقليدي، وهذا ينفع الذاكر في دفع الأعداء(٣)، ولكن ليس له قوة الحماية للذاكر وتبليغه إلى مقام الولاية، والقرب من الله تعالى، مثل النشاب(٤) الذي يشترى من السوق، فإنه يصلح لدفع العدو، ولكن لا يحمي الحماية كما يحمي النشاب الذي أخذه من يد السلطان، ليكون في حمايته.

كذلك الذكر إذا تلقنه من تلقين صاحب الولاية في التصرف الذي أخذ الذكر من صاحب تصرف آخر مسلسلًا إلى رسول الله ﷺ، فهذا الذكر يتصرف في باطن المريد المستعد إذا غرس في أرض قلبه بالتلقين، وربي بماء الأعمال الصالحة بدهقنة المتابعة، ونظر شمس الولاية فإنها تؤتي أكلها من المكاشفات والمشاهدات كل حين بإذن ربها، ويمكن بأن يثمر له ثمرة معرفة الولاية والوصول إلى ذروة المحبة إذا ربَّاه بماء الإرادة والصدق والإخلاص إن شاء الله تعالى وحده.

ولتلقين أهل الذكر في هذا المعني شأنٌ عجيبٌ؛(٥) ولهذا شبَّه النبي ﷺ النخل بالرجل المسلم في حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال:«إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي، فوقع الناس في شجرة البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدثنا يا رسول الله ﷺ قال: هي النخلة»(٦)، وذلك أن النخلة لا تثمر البتة

---

(١) في طو بزيادة "المختصين بمحبة الله ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

(٢) لم نجده بهذا اللفظ، وقال العراقي: روى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف: إن الله يحب الشاب التائب. وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وأبي يعلي بسند ضعيف من حديث علي: إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب. نقول: ويؤيده ما رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة (٢/ ١٤١٩ رقم:٤٢٥٠) عن أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه، قال رسول الله ﷺ: «التائب من الذنب، كمن لا ذنب له».

(٣) في غير طو "هذا الذكر في دفع الأعداء".

(٤) النِّشَّابُ: النَّبْلُ. واحدتُه : نُشَّابَة . والجمع : نَشاشيبُ .

(٥) في طو "سر عجيب"، وفي خد بزيادة "من عرف كتم، فهم من فهم وجهل من جهل.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٢، رقم: ٦١) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٥ رقم: ٢٨١١).

ما لم توبر، كذلك المريد الصادق ما لم يتلقن الذكر من شيخ كامل لا تثمر شجرة وجوده من الثمار المودعة فيها بجود موجدها(١).

فصل في شرائط تلقين الذكر:

شرط التلقين أن يصوم المريد ثلاثة أيام بأمر الشيخ، إذا أراد أن يتلقن الذكر، ويكون فيها دائم الوضوء، ودائم الذكر، وقليل الطعام، وقليل الكلام، وقليل المنام، وقليل الاختلاط مع الأنام، ثم يغتسل بإذن الشيخ وينوي نية غسل الخروج من الغفلة إلى الحضور والمراقبة مع الله تعالى كما أن من جاء إلى النبي ﷺ يُسْلِم، أمره النبي ﷺ أوَّلًا أن يغتسل بنية غسل الإسلام، ثم لقَّنه رسولُ الله ﷺ كلمةَ التوحيد.

كذلك المريد يغتسل عند تلقين الذكر من الشيخ بنية الخروج من الغفلة والدخول في السلامة، قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(الشعراء: ٨٩)، آخِذًا من هذه السنة. ويقول في غسله هذا: اللهم إني طهَّرت البدن الذي تصل يدي إليه بتوفيقك، فطهِّر أنت قلبي الذي حكمه بيد قدرتك وأنت مقلِّبه بماء نور معرفتك.

فإذا فرغ من الغسل يختلف(٢) إلى الشيخ ويجلس بين يديه ويوصيه الشيخ بما يقتضيه حاله ويجثو على ركبته ويسكت ويحضر قلبه مع قلب الشيخ ويُراقِب سِرَّه حتى يقول الشيخ مرة: لا إلٰه إلا الله، مادًّا صوته وهو يأخذ بقلبه متفهمًا معانيها، بحيث ينفي بـ«لا إله» الخواطر كلها، ويثبت بـ«إلا الله» الحضرة الإلهية، أي لا مطلوبَ لي، ولا مقصودَ، ولا معبودَ، ولا محبوبَ إلا الله تعالى، ثم يقول المريد رافعًا صوته، مادًّا نفسه، حاضرًا قلبه عند النفي والإثبات، ثم يقول الشيخ مرةً ثانيةً، ثم يقول المريد، ثم يقول الشيخ مرةً ثالثةً، ثم يقول المريد، ثم يرفع الشيخ يديه، ويدعو له، ويقول: اللهم خُذْ منه وتقبل منه، وافتح عليه أبوابَ كلِّ خيرٍ كما فتحته على أنبيائك وأوليائك.

فصل في أن للذكر سلطانًا عظيمًا وإن كان بمجرد اللسان:

قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى: إن للذكر وإن كان بمجرد اللسان سلطانًا عظيمًا، ولكنه لا يظهر عند الوجود، لقوة احتجابه عن سلطان الذكر فإذا عرى السيار عن الوجود بالنوم، أو بالغَيبة(٣) عند ضعف الوجود، ظهر سلطان الذكر، وهو نور يقع عليه من فوق

---

(١) في د "بوجود موجودها"، وفي طو "لوجود موجودها".

(٢) في خد "ينطلق".

(٣) في طو "بالغفلة".

أو من وراء أو من قُدَّام، فيتزلزل وينتقض ويقول عند ذلك ضرورة المخافة: لا إله إلا الله، ويجد شدة شديدة وقوة عظيمة حتى إنه يسجد وينيب حينئذ إلى الله تعالى عزَّ وجلَّ ويسلم ويؤمن، وهذا يظهر بقدر خدمته للذكر ومواظبته عليه(١).

فذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان، وذكر الحضور في القلب(٢) ذكر القلب، وذكر الغَيبة عن الحضور في المذكور ذكر السر، فإذا رجعت عن الحضور إلى فهم الذكر نزلت درجة، فإذا ذهلت عن المذكور والحضور واحتضرت بمجرد لقلقة اللسان نزلت درجة أخرى(٣).

فصل في أن خلاصة الذكر الاستغراق بالمذكور:

خلاصة الذكر: الاستغراق بالمذكور، وذلك بأن لا يلتفت القلب إلى الذكر ولا إلى القلب بل يستغرق بالمذكور جُملةً، وإذا التفت في أثناءِ الذكر إلى الذكر، فذلك حجابٌ شاغلٌ، وهذه الحالة يُعَبِّر عنها العارفون بالفناء، وذلك بأن يفنى عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه ولا من الأشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه، بل يغيب عن جميع ذلك، ذاهبا إلى ربه أولًا ثم آخرًا، ثم ذاهبًا فيه أخرى، فإن خطر له في أثناء ذلك أنه هل فنى عن نفسه بالكلية، فذلك شوب وكدورة، بل الكمال في أن يفنى عن نفسه ويفنى عن الفناء أيضًا، والفناء عن الفناء غاية الفناء.

فصل في أن قائل لا إله إلا الله يحتاج إلى أوصاف لا يفيد بدونها:

قائل «لا إلٰه إلا الله» يحتاج إلى أوصاف لا يفيد بدونها:

الأول: أن يعلم أنه أي شي يقول؟ وما الذي ينفي ويثبت؟ أما النفي فإنه ينفي الآلهة التي تدعي الربوبية من النفس والهوى والشهوة والشيطان، قال الله تعالى:﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاثية: ٢٣).

وأما الإثبات فإنه يثبت الله تعالى فيقوم نافيًا مثبتًا.

الثاني: أن يكون هذا الذكر مع تعظيم الله تعالى في قلبه، وقلبه مملوء من عظمته احترامًا، وهو أن الله تعالى مطلوبه ومحبوبه.

الثالث: أن يكون صدق الإرادة والمحبة في قلبه للوصال إلى ربه تعالى بمشاهدة القلب، لأنه لو كانت إرادته ضعيفة كان متمنيًا لم تبلغ إرادته إلى صدق المحبة، كالمجرِّب يريد امتحان

---

(١) فوائح الجمال، ص: ١٦٠-١٦١

(٢) في طو "والقلب" بدل "في القلب".

(٣) فوائح الجمال، ص: ١٦٠

هذا الذكر أنه هل يفيد شيئًا مما يقوله مشايخ الصوفية من المكاشفات والمشاهدات والوصال وغيرها أم لا؟ فلا يفيد له شيئًا قط.

الرابع: أن يذكر[١] هذه الكلمة بحسن الأدب والحرمة، لأنه لو لم يكن له أدب وحرمة كان فظًّا غليظًا، جلفًا، غاويًا، غير صالح لصحبة السادات والكبراء، فلا يفتح له المَلِك تعالى بابَ القُرب والمشاهدة، والجلوس إليه، ومن ارتقى إلى أعلى عليين بحسن خلقه، ولم يكن معه حسن الأدب، ينزله سوء أدبه إلى أسفل السافلين.

الخامس: المُرَاقَبَةُ مَعَ اللهِ تَعَالَى بِجَمِيعِ الهمم، قال النبي ﷺ:«إن لله تعالى في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»[٢]، والنبي ﷺ أمر بالتعرض لنفحات رحمة الله تعالى عليه، وهي المراقبة، و نفحات رحمة الله هي التي يسميها الصوفية لمحةً، ولمعةً، و وجدًا، ووجودًا ؛ و علامة حصول هذه الأوصاف الخمسة المذكورة وجدان الحلاوة في سِرِّه موهبة من الله تعالى.

[بعض شرائط الذكر]

ومن شرائط الذكر أن يكون الذاكر على طهارة كاملة ولا يصبر على الحدث سويعة ما، وكلما أحدث يجدِّد الوضوء للحال، وإن اغتسل بدلًا عن الوضوء كان أفضل، وقد ثبت بإجماع الأمة أن الغسل أفضل من الوضوء.

ومن شرائطه أن يواظب على أداء الفرائض والسنن الراتبة ولا يخل بشيء منها ولاينقص، وبعد ذلك يشتغل بذكر لا إلٰه إلا الله، فيقوم مقام كل الأذكار والتسبيحات والنوافل؛ لأنَّ كلَّ الصَّيد في جَوْف الفَرَى.

ويجتنب المعاصي كلها، ويجانب مجالس الناس ومكالماتهم لا سيما في حالة الخلوة والذكر وبداية الطريقة والحقيقة.

فإذا عمل المريد الصادق ذلك العمل مع الشرائط المذكورة أربعين يومًا مستمرًا، يفتح له باب المكاشفات والمشاهدات من عوالم الروحانيات لا محالة؛ قال رسول الله ﷺ:«من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[٣].

فصل في مراتب الذكر :

قد هدى الله تعالى الذاكرين بقوله تعالى:﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾(البقرة: ١٩٨) إلى مراتب ذكره،

---

(١) في طو "أن يكون" .

(٢) سبق تخريجه في "فصل في أن فتوحات الصحابة كانت من مجالسة النبي ﷺ من غير صنع خلوة".

(٣)سبق تخريجه في " فصل في عدة الخلوة و دلائلها".

فأولًا يهديهم إلى ذكر اللسان، ثم إلى ذكر النفس، ثم إلى ذكر القلب، ثم إلى ذكر السر، ثم إلى ذكر الروح، ثم إلى ذكر الخفي.

أما ذكر اللسان، فكأنه بذلك يُذَكِّرُ الْقَلْبَ ما نسي من ذكر الله تعالى. وأما ذكر النفس، فهو ذكر مسموع أيضًا بالحروف والصوت تسمعه النفس كذكر اللسان، وأما ذكر القلب، فذكره ضد النسيان وهو ملاحظة القلب. وأما ذكر السر، فهو المراقبة لمكاشفة الأسرار الإلهية. وأما ذكر الروح، فهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات الصمدية. وأما ذكر الخفي، فهو معاينة أنوار جمال الذات ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر:٥٥).

فصل في أطوار الإنسان و ذكرها في القرآن المجيد:

هذه الأطوار-أعني بها عوالم الإنسان- كلها مذكورة في كتاب الله تعالى، وهي سبعة؛

١- بدن، ٢- ونفس، ٣- وقلب، ٤- وسر، ٥- وروح، ٦- وأخفى، ٧- وعقل؛

كما قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾(نوح:١٣،١٤) [(١)].

أما البدن: فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية. (المؤمنون:١٢)، والبدن هو هذا الجسم الكثيف.

وأما النفس: فقال تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ارْجِعِي﴾ الفجر: ٢٨)، والنفس جسم لطيف كلطافة الهواء في أجزاء البدن كالزبد في اللبن والدهن في الجوز واللوز.

وأما القلب: فقال تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ (المجادلة:٢٢)، والقلب داخل النفس وهو ألطف وأضوء منها.

وأما السر: فقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(طه: ٧)، والسر نور روحاني آلة للنفس، فإن النفس تعجز عن العمل، ولا تفيد فائدة ما لم يكن السر الذي هو همة مع النفس.

وأما الروح: فقال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا﴾ (الإسراء:٨٥)، والروح نور روحاني آلة للنفس أيضًا، فإن الحياة في البدن إنما تبقى بشرط وجود الروح في النفس، أجرى الله تعالى العادة بذلك.

وأما الروح الخفي: فإنهم يسمونه خفيًا، والصواب أخفى؛ لموافقة القرآن في قوله تعالى:﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(طه: ٧)، وإنما سمي أخفى لأنه أبلغ من الروح، و السر، والقلب، في الاستتار والاختفاء عن الخواطر والفهوم. وهو نور ألطف من السر والروح، وهو أقرب إلى عالم

(١) من "وهذه سبعة" إلى هذه الآية زيدت من د و في النسخ الباقية غير موجودة.

الحقيقة، وهو كالحاجب للنفس في الحضرة الصمدية إذا ذهل النفس والقلب والعقل والسر والروح عن الحضرة، يلتفت إليهم الأخفى شزرًا، بلمحة لطيفة، فيتنبه الكل لله تعالى عقيب ذلك، وذلك التنبيه من الله تعالى بوسيلة الروح الأخفى، وهذا الذهول عن الحضرة الصمدية لعامة الأولياء، أو لعامة المؤمنين، وأما الأنبياء وكبار الأولياء فإن أسرارهم قلَّ ما يلتفت عن الأعلى إلى الأسفل، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾(الأحزاب: ٣٩).

مسألة:

اعلم أنَّ ثَمَّةَ روحًا آخر ألطف من هذه الأرواح كلها، وهي لطيفة داعية لهذه الأطوار إلى الله تعالى، وقالوا: هذا الروح لا يكون لكل واحد بل هو للخواص، قال الله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾(غافر: ١٥)، وهذا الروح ملازم عالم القدرة، مشاهد عالم الحقيقة، لا يلتفت إلى خلقه قط.

مسألة:

ومن قال هذه الأطوار من النفس إلى آخرها كلها شيء واحد، لا يُلتفت إلى قوله لما مر من فوائد كل واحد منها(١)، فإن ذلك يؤدي إلى تعطيل كل واحد عن خاصيته، فإن الله تعالى خص كل واحد منها بالذكر، فلا بد في التخصيص من فائدة.

واعلم أنهم يذكرون اسم القلب ويريدون به النفس، ويذكرون ويريدون به الروح، ويذكرون ويريدون به العقل، لكن الأصل في القلب هو الذي ذكرنا، وما عداه مجاز. وقد يطلق القلب ويراد به النفس باعتبار أن النفس داخل البدن، فيقال: إنها قلب البدن.

وأما العقل فذاته نور روحاني ومقامه في القلب في جانب السر(٢)، غير أن السر ميال إلى الأعلى، والعقل ميال إلى الدنيا والآخرة، وقد ورد في أخبار داود ـ عليه السلام ـ أنه سأل ابنه سليمان ـ عليه السلام ـ: أين موضع العقل منك؟ قال: القلب، لأنه قالب الروح، والروح قالب الحياة.

ويروى في الخبر أن الله تعالى فيما ناجى به أيّوب ـ عليه السلام ـ قال: يا أيوب من جعل العقول في أجواف الرجال؟

مسألة: في أن الحيلة في صرف الشيطان عن المريد ودفع مكايده هو ذكر الله تعالى:

اعلم أنه لا حيلة في صرف الشيطان عن المريد، ودفع مكايده معه أفضل من ذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(العنكبوت: ٤٥)، أي أكبر في نفي الكبر

---

(١) في مج بزيادة "لما يستفيد من فوائد كل واحد منها."

(٢) في د "في جانب الأيسر".

والخيلاء، ومحو الأوصاف الذميمة كلها، لا سيما ذكر الله بكلمة «لا إله إلا الله»، فإن لها تأثيرًا عظيمًا في إزالة الأوصاف الذميمة، وقال كثير من مشايخ الصوفية: «ولذكر الله أكبر» أي ذكر الله خير لكم وأكبر لكم من ذكركم الله تعالى. وهذا قريب أيضًا فإن ذكر الله تعالى لنا بالقبول ونظر الرحمة والجود والفضل ينفي عنا الأوصاف الذميمة، فكان أكبر من الصلاة في تطهيرنا.

مسألة:

اعلم أن ارتكاب العبودية والانقياد لها والفرح والسرور بها، شرطٌ أعلى[1] في تنوير القلب والنفس؛ ولذلك قال عليه السلام: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلاقِ الله»[2].

فصل في الوصال:

ونعني بالوصال الرؤية والمشاهدة، وطريق الوصال إلى الله تعالى متابعة الصراط المستقيم بدوام ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وقال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(الزخرف: ٤٣).فطلب الحق سبحانه وتعالى بالمراقبة والخلوة، ودوام الذكر فرضٌ دائمٌ على الطالبين الله تعالى المحبين إياه تعالى، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾(الأنعام: ٩١) يعني قل: الله أطلبه، وأريده وأحبه لا غير، وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾(الحج: ٧٨) وهو أمر بالمجاهدة في عوالم الحقيقة؛ ولهذا قال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾(الحج: ٧٨) أي جذبكم إليه واصطفاكم لديه، وهذا يدل على أنه لا بد من المجاهدة في الله للمبتدي والمنتهي؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾(الحجر: ٩٩)، معنى ذلك أن قدر العارف بقدر معرفته، وقدر معرفته بقدر

---

(١) في طو بزيادة "وأهم".

(٢) لم نجده، ويؤيده ما قال رسول الله ﷺ: إن لله عز و جل مائة و سبعة وعشر خُلقا لا يوافي عبد بخلق منها إلا أدخله الجنة. رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٢٠، رقم: ١٠٩٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٦٥، رقم: ٨١٩١)، والبزار في مسنده (٢/ ٩١، رقم: ٤٤٦)، والطيالسي في مسنده (١/ ٨٢) بألفاظ مختلفة، واللفظ للبيهقي. ومما يؤيده ما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها عن أخلاق النبى ﷺ: كان خلقه القرآن. (مسند أحمد ٤٢/ ١٨٣رقم: ٢٥٣٠٢)، وجاء بزيادة: يغضب لغضبه ويرضى لرضاه. (المعجم الأوسط للطبراني ١/ ٣٠رقم:٧٢)، علق عليه العارف بالله الشيخ شهاب الدين السهروردى فى عوارف المعارف: فيه رمز غامض وإيماء إلى الأخلاق الربانية، فاحتشمت [عائشة] الحضرةَ الإلهيةَ أن تقول : كان متخلقا بأخلاق اللّٰه تعالى، فعبرت عن المعنى بقولها: كان خلقه القرآن ، استحياء من سُبُحات الجلال ، وسترًا للحال بلطيف المقال ، وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها. (شرح الزرقانى على المواهب اللدنية: ٦ / ١٠) نقول: قد وجدنا الأكابر من المحدثين والمفسرين ذكروا الحث على التخلق بأخلاق الله تعالى وهذا يدل على أنه كان معروفا عند السلف.

سيره في الله تعالى، فلا ينتهي وإن سار سرمدًا، فلا يحل لمن فتح له باب السير في العوالم الأعلى أن يقف حتى يموت، وقال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(العنكبوت: ٦٩) يعني الذين جاهدوا في طلبنا.

مسألة:

المنتهي الواصل في شرف الوصال مسرور بمحبوبه، والمبتدي الطالب للوصال في شرف طلب الوصال، ومن سواهما لا قدر له.

وهذا لمن حمل القالبَ على المجاهدة، والنَّفْسَ على الرياضة، والقلبَ على المراقبة، والسرَّ على السير، والروحَ على طلب المحبوب، إلى أن يصل إلى سر الروح وهو الخفي، وأن يصل(١) إلى عالم الحقيقة، فإن الخفي في عالمها، فإذا اطلع السر على الحقيقة اطلع النفس والقلب والعقل عليها بواسطة السر، كان السر سراج النفس والقلب والعقل، به يبصرون الحقيقة، وهذا في مبادي الحال.

فإذا تمكن المريد من الحقيقة، وترفع(٢) في المراقي تقدمت النفس على السر والروح والخفي، وصارت أقوى وألطف من السر والروح والخفي، فتكون النفس والقلب والعقل في باطن البدن، ويكون شعاعها في أعلى عليين في عالم الجبروت، لا يصل إليه الملائكة المقربون.

قال ﷺ:«مَنْ كَانَ لله كَانَ اللهُ لَهُ»(٣)، يعني من كان في طلب الحق مع إخلاص الأعمال كلها، كان الله تعالى كافيه في أموره. قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾(الزمر: ٣٦).

وقال موسى: يا رب متى تكون لي؟ قال: إذا لم تكن لنفسك، قال: متى لا أكون لنفسي؟ قال: إذا نسيتها كلها.

قال أبو يعقوب السُّوسي(٤): لا يصح المحبة حتى تخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ولم يكن له هم بالمحبة، فإذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة.

---

(١) في ك، و ر، وخد "وصل"، وفي طو "فإذا وصل".

(٢) في طو، وخد، وك "ترافع".

(٣) في خد، ود "معه" مكان "له"، والحديث لم نجده في كتب الحديث، ومعناه صحيح كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)، وقال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ (محمد: ٧).

(٤)**أبو يعقوب السُّوسي**: يوسف بن حمدان السوسي، تلميذ الشيخ عبد الواحد بن زيد وشيخ أبي يعقوب النهرجوري، ومعاصر الإمام الجنيد وله تصانيف، وتوفى في أبلّة قرب البصرة.

فصل في أن طالب الحق ينبغي له أن يكون محبًا للوصال في جميع الأحوال:

ينبغي لطالب الحق تعالى أن يكون طالبًا له تعالى، محبًا للوصال، مشتاقًا إلى لقائه في جميع الأحوال، في السراء والضراء، كما في الخبر: «أَوَّلُ من يُدْعَى إلى الجنَّةِ يومَ القيامة، الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ».(١) فإن طلبه في كل حال يدل على صدق محبته له تعالى، قال النبي ﷺ: «إذا أحب الله عبدًا ابتلاه فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه»(٢)، وقال ﷺ: «اعْبُدُوا اللهَ بِالرِّضاءِ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَفِي الصَّبْرِ عَلى مَا تَكْرَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ»(٣)، وقال ﷺ لطائفة: «ما(٤) أنتم؟ قالوا: مؤمنون، فقال عليه السلام: ما علامة إيمانكم؟ قالوا: نصبر على البلاء، ونشكر على الرخاء ونرضى بمواقع القضاء. فقال: أنتم مؤمنون ورب الكعبة»(٥)، وفي رواية: «إنهم علماء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء»(٦). وقال بعض الكبار: ذكر الله تعالى على الصفاء ينسي العبد مرارة البلاء.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٦٨١ ، رقم ١٨٥١) وقال : صحيح على شرط مسلم .والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٩ ، رقم: ١٢٣٤٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٦/ ٢١٦، رقم :٤٠٦٣). قال الهيثمى (١٠/ ٩٥): رواه الطبرانى فى الثلاثة بأسانيد، وفى أحدها قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثورى وغيرهما، وضعفه يحيى القطان وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس(١/ ٢٥١ رقم:٩٧١) عن علي رضي الله عنه.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ ولكن أخرج الحاكم في المستدرك (3/ ٦٢٣، رقم: ٦٣٠٣) بلفظ: فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبرعلى ما تكرهه خيرا كثيرا، واعلم أن مع الصبر النصر، واعلم أن مع الكرب الفرج، واعلم أن مع العسر اليسر. وأبو نعيم في الحلية (1/ 31٦) والبيهقي في شعب الإيمان (12/ 35٦، رقم: ٩٥٢٨).

(٤) في د "من".

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ١٦٣) عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ على عمر ومعه أناس من أصحابه، فقال: «أمؤمنون أنتم؟» فسكتوا – ثلاث مرات – فقال عمر في آخرهم: نعم، نؤمن على ما أتيتنا به، ونحمد الله في الرخاء، ونصبر على البلاء، ونؤمن بالقضاء، فقال رسول الله ﷺ: «مؤمنون ورب الكعبة» ورواه ابن بشران في الأمالي (١/ ٢١٣) والحديث حسن.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٩٢) دخل قوم على النبي ﷺ فقال: «من القوم؟» فقالوا: مؤمنون، فقال: «إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟» قالوا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، فقال النبي ﷺ: «فقهاء علماء كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء» ثم قال النبي ﷺ: «إذا كان الأمر كما تقولون فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه تصيرون» وروى ابن عساكر في التاريخ (٤١/ ٢٠١) وأبو سعد النيسابوري في الأربعين (ص:٤٢) عن سويد بن الحارث، قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قوم أبايعه فلما دخلنا عليه، وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا ، فقال رسول الله ﷺ: "ما أنتم ؟" فقلنا: مؤمنون ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: "لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم"؟ قال سويد: فقلت: خمس عشرة خصلة، خمسة منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمسة منها

اعلم أن الله تعالى يُري عباده البينات والآيات، حتى يتبين لهم أنه الحق بذاته، الغني بصفاته، وما سواه قائم بقدرته، فيغلب عليهم مشاهدته، ويفنى(1) عنهم ما سوى الله تعالى، فلا يشاهدون إلا الحق جل ذكره، وذلك قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾(فصلت: ٥٣)، وهذه هي معرفة العارفين الصديقين الذين هم(2) أصحاب المشاهدة والمكاشفة.

قال بعضهم: رأيتُ اللهَ قَبْلَ كلِّ شيء، وهوعرفان الإيقان، ورؤية الإحسان ببصيرة السر.

وقال الحسين(3) ـ رحمة الله عليه ـ: البلاء من عند الله، العافية من الله تعالى.

وقال سهل التستري رحمه الله تعالى: لولا البلاء من الله تعالى لم يكن للعبد طريق إلى الله تعالى.

وقال أبوسعيد الخراز(4): البلاء من الله تعالى إلى المحبين تحفة وهدية وتحريك ما في ضمائرهم من المواصلة.

وقال ذو النون(5) رحمه الله: أصبر الناس أكتمهم البلاء.

أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمسة منها تخلقنا بها في الجاهلية ونحن عليها إلا أن تكره منها شيئا، فقال رسول الله ﷺ: "فما الخمسة الخصال التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها؟ " قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه والبعث بعد الموت، قال: "فالخمسة الخصال التي أمرتكم رسلي أن تعملوا بها؟ " قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول جميعا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونحج البيت من استطاع إليه سبيلا ونصوم شهر رمضان فنحن على ذلك، قال: "فما الخمسة الخصال التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ " قال: قلت: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء والرضا بمواقع القضاء، وترك الشماتة بالمصائب إذا حلت بالأعداء، قال: فتبسم رسول الله ﷺ، فقال: "أدباء حلماء عقلاء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، من خصال ما أشرفها وأزينها وأعظم ثوابها، ثم قال رسول الله ﷺ: "أوصيكم بخمس خصال لتكمل عشرين خصلة" قلنا: أوصنا يا رسول الله. قال: "إن كنتم كما تقولون فلا تجمعون ما لا تأكلون، ولا تبنون ما لا تسكنون، ولا تنافسون في شيء عنه غدًا تزولون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون، واتقوا الله الذي أنتم إليه ترجعون وعليه تعرضون". والحديث صحيح.

(1) في ك "يفني"، وفي الأخرى "فنى".

(2) "الذين هم" زيد من د.

(3) **الحسين بن منصور الحلاج**(٣٠٩ هـ = ٩٢٢ م) من أعلام التصوف من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس، نشأ في مدينة واسط قرب بغداد في العراق، وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره واعتكف بالحرم فترة طويلة، وأظهر للناس تجلدًا وتصبرًا على مكاره النفوس، حكم عليه بالإعدام في عصر المقتدر بالله الخليفة العباسي.

(4) **أبو سعيد الخراز**: (٢٨٦ هـ = ٨٩٩ م)أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز من مشايخ الصوفية، بغدادي، نسبته إلى خرز الجلود. قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء. له تصانيف في علوم القوم، منها: كتاب الصدق، أو الطريق إلى الله.

(5) **ذوالنون**: (١٧٩ – ٢٤٥ هـ = ٧٩٦ – ٨٥٩ م)أبو الفياض، أو أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري، من كبار الصوفية المشهورين ومن المحدثين الفقهاء، روى الحديث عن مالك بن أنس والليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة، ودرس على علماء مدنيين وسافر إلى سورية والحجاز. ذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأنه أول من وضع تعريفات للوجد والسماع والمقامات والأحوال. وتوفي بالجيزة بمصر.

وقال رويم(١) رحمه الله تعالى: حُرِّكُوْا بِالْبَلاءِ فَتَحَرَّكُوْا وَلَوْسَكَنُوْا اتَّصَلُوا.

وقال أبو يعقوب النهرجوري(٢): العَالِمِ يستغيث من البلاء، ويسأل صرفه، والعارف يستعذب بالبلاء ولا يسأل كشفه.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: البلاء سراج العارفين، ويقظة المريدين وهلاك الغافلين.

وقال ابن عطاء(٣) رحمه الله تعالى: يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء، فمن سكن في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

وقال علي بن بندار(٤): دارٌ أُسِّست على البلوى بلا بلوى محال.

فصل في مواظبة الذكر وكيفيته وعلامته:

يجب على طالب الحق سبحانه وتعالى أن يواظب على ذكر الله تعالى، فالشيخ يُلَقِّنه الذِّكر، فيذكر بقوة شديدة بحيث يدخل أثر الذكر في باطنه، فيسري في العروق والشرايين وتحترق ظلمة الوجود وكثافته وكدورته بنار الذكر، فإن الذكر له نار ونور، فنوره يُسَكِّن القلب، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)وبناره تحترق كثافة الوجود، فيزول منه الخشونة الأصلية، واليبوسة الجبلية، فيخرج من آثار الصفات البشرية، فيخفف عن الأثقال الترابية، فيعلو قلبه عن أرض الملكوت إلى سماء الربوبية.

واعلم أن أعظم تأثير الذكر في الخلوة الخالية عن الناس، وعن كل ما يشغله عن الله تعالى، في بيت خال ضيق، ما يصلي فيه،(٥) ويتربع في الذكر. ويكون البيت خاليًا، كيلا يشغله عن الذكر ما يرى ويسمع من الناس. ويكون ضيقًا ليكون همه أجمع ويبالغ في الذكر. وعن أبي سعيد

---

(١) **رويم**: (٣٣٠ هـ = ٩٤١)أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم: صوفي شهير، من أجلة مشايخ بغداد، كان عالما بالقرآن ومعانيه، فقيها من أهل السنة والجماعة، صحب الجنيد وغيره.

(٢) **أبو يعقوب النهرجوري**: (٣٣٠ هـ = ٩٤١ م)إسحاق بن محمد النهرجوري، أبو يعقوب من علماء الصوفية، نسبته إلى نهر جور (قرية بالقرب من الأهواز)، رحل إلى الحجاز، وأقام مجاورا بحرم مكة سنين كثيرة ومات بها.

(٣) **ابن عطاء**: (٠٠٠-٣٠٩هـ) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي، من ظراف مشايخ الصوفية وعلمائهم، وقال عنه أبو سعيد الخراز: «التصوف خُلق وليس إنابة، وما رأيت من أهله إلا الجنيد، وابن عطاء» صحب إبراهيم المارستاني، والجنيد.

(٤) **علي بن بندار**: (٠٠٠-٣٥٩هـ=٠٠٠-٩٦٩م)أبو الحسن عليّ بن بنْدَار بن الحسين الصَّيْرَفِي، من جلة مشايخ نيسابور ورزق من رؤْية المشايخ وصحبتهم ما لم يرزق غيره، ومن أقواله: التصوف إسقاط رؤية الخلق ظاهرًا وَبَاطنًا. توفي سنة ٣٥٩ هـ، وقيل توفي يوم الأحد ٢١ رجب سنة ٣٥٧ هـ.

(٥) في طو "بقدر ما يصلي فيه".

الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:« أَكْثِرُوا ذِكْرَ لا إِلَه إلا الله حَتَّى يَقُولُوا: إنه مَجْنُونٌ»[1].

ومن علامة الذكر لله تعالى بالصدق والإخلاص: الرقةُ والوجلُ، قال الله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾(الأنفال: ٢)؛ وذلك لأن ذكرهم ذكر العبودية والعبادة لا ذكر العادة، وذكر اليقظة لا ذكر الغفلة، وذكر الجمعية لا ذكر التفرقة، وذكر الأنس لا ذكر الوحشة. وهذه الأوصاف إنما تحصل للذاكر من ذكر الله تعالى له بوصف العطف واللطف؛ لأنه تعالى ذكرهم بين الملائكة في الملأ الأعلى بوصف المباهاة لهم، كما في الخبر الإلهي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُم»[2]. فمن ذكره الله تعالى حصل له من ذلك ذكرُ القلب وذكرُ السر. وذكر السر يؤدي إلى الاستغراق في المذكور وإلى الغيبة والذهاب في الله تعالى، فيحصل له من ذلك التَّولية على الخلق والتَّصَرُّفُ فيهم، وحرمة ومنزلة ووقار وخلع على قالبه بالأعمال الصالحة وعلى قلبه بالأحوال السنية.

فسبحانه ما أرحمه بعباده وما ألطف دعوته لهم إليه. فأمر الله تعالى بالذكر، ليعلم فوائد الذكر بواسطة الخلوة[3]، فبواسطة الذكر التربيةُ[4] والتصفيةُ والتنويرُ والتطهيرُ، وبواسطة الذكر معرفةُ المحمودات والمذمومات، وبواسطة الذكر حصولُ الاتصال بالمحمودات والتعري عن المذمومات، وبواسطة الذكرمعرفةُ العدو والشيطان[5]، وبواسطة الذكر حياةُ القلب وصفاؤه ونوره، وبواسطة الذكر قربُه واستيلاؤه على النفس، وبواسطة الذكر معرفةُ النفس وقهرها وكسرها، وإدخالها في حكم الشرع، وبواسطة الذكر حصول العلم والحكمة والمعرفة والأحوال الصافية إلى القلب.

قال الجنيد رحمه الله تعالى: إن إبليس لم ينل مشاهدته من طاعته، وآدم عليه السلام لم يفقد مشاهدته في معصيته.[6]

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري (١٨/ ١٩٥، رقم: ١١٦٥٣) و ابن حبان في صحيحه (٣/ ٩٩، رقم:٨١٧) ، والحاكم في مستدركه (١/ ٤٩٩، رقم: ١٨٣٩) والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٦٤، رقم:٥٢٣) بلفظ: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، (٩/ ١٤٥، رقم:٧٥٠٥)، ومسلم في صحيحه، (٤/ ٢٠٦١رقم: ٢٦٧٥).

(٣) في د بدون "بواسطة الخلوة".

(٤) في د "التزكية".

(٥) في غير د "العدو الشيطان".

(٦) قول الجنيد قدس الله سره ليس بموجود في طو، وخد، وك.

مسألة:

إن الله تعالى كما نوَّر السماوات والأرض بأنوار الملائكة، ونوَّر الشمس والقمر، كذلك نوَّر القلوب والأرواح بأنوار أسمائه وصفاته، وإنما ذلك بذكر أسمائه، فنور اسم «الله» و«لا إله إلا الله» أضوأ وأنور وأصفى من أنوار جميع الأسامي، فيتصف[1] نور القلب بأنوار الذكر، فيستقر نور الذكر مع نور القلب في القلب، فيحصل للقلب صفة ذاتية لا تنفك عنه، فذلك عبارة عن سِرِّ قولِهم: وقعت الكلمة في الغيب ووقعت في السر.

فبداية الذكر تفيد العلم، قال عليه الصلاة السلام: «من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم»[2].

ونهاية الذكر تفيد الحكمة، قال النبي ﷺ: «من أخلص لله أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[3].

وقيل: المذكور واحد والذكر مختلف، وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم، وقال الشبلي[4] رحمه الله تعالى: أ لستم ذاكرين الله تعالى؟ أ ليس الله يقول: أنا جليس من ذكرني؟ ما الذي استفدتم من مجالسة الحق؟

سُئِل بعضهم: هل في الجنة ذكر؟ فقال: الذكر طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة فلا معنى للذكر.

فصل في دوام نفي الخواطر:

الشرط السادس: دوام نفي الخواطر؛ وهو أشدُّ شيء على أرباب المجاهدات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُون ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾

---

(١) في د "فيصف"، وفي ك، وخد، ومج "يتضمن".

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٥) وقال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه و سلم فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل. وروى ابن المقرئ في معجمه (١/ ١٢١ رقم: ٣١٥) و أبو نعيم في الحلية (٦/ ١٦٣)عن عبد الواحد ابن زيد قال: كان يقال: من عمل بما علم فتح الله له ما لا يعلم. قلت: الحديث ضعيف ومعناه صحيح، بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وقال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ﴾ (الأنفال:٢٩)

(٣) في طو "جرت"مكان "ظهرت" و تخريج الحديث قد سبق.

(٤)**الشبلي**: (٢٤٧ – ٣٣٤ هـ = ٨٦١ – ٩٤٦ م)شيخ الطائفة الزاهدين أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي من أصحاب الجنيد. وكان أوحد الوقت حالًا وقالًا، لم يكن له مثال في حال صحوه ولا في حال غيبته. وكان فقيها عارفا، مالكي المذهب. وسمع الحديث.

(الأعراف: ٢٠١)، وقال الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾ (البقرة: ٢٦٨)، وقال الله تعالى:﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُم﴾(محمد: ٢٥) ، وقال الله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ (يوسف: ١٨)، وقال الله تعالى عن يوسف عليه السلام:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: ٥٣)، وقال الله تعالى:﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾(القيامة: ٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم﴾(إبراهيم: ٢٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ (الأنعام: ١٢١)، وقال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾(الأنعام: ١١٢) ، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾. (الزخرف: ٣٦)

وقال ﷺ:«إن للشيطان لَمّةً بابن آدم وللمَلَك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشرِّ وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق».[١]

وفي الخبر أيضًا: «الشيطان جاثمٌ على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس وتولى وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومنّاه»[٢].

فصل في الخواطر وأنواعها ومعرفتها:

من علوم الصوفية معرفة الخواطر حتى يوافق ما كان منها للحق ويخالف خلافه. والخاطر واردٌ يرد على القلب في صورة الخطاب، والوارد أعم من الخاطر كالحزن والسرور والقبض والبسط. وأكثر الصوفية على أن الخواطر أربعة:

١- خاطر من الحق تعالى، ٢- وخاطر من المَلَك، ٣- وخاطر من النفس، ٤- وخاطر من الشيطان.

١-فالخاطر الحقاني: علم يقذفه الله تعالى من الغيب في قلوب أهل القرب والحضور بغير واسطة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(سبأ: ٤٨).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة (٥/ 219، رقم: 2988) والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، سورة البقرة. (٦/ ٣٠٥، رقم: 11051).

(٢) أخرجه أبو نعيم مرفوعا عن أنس في الحلية (٦/ ٢٦٨) والبيهقي في شعب الإيمان، (٢/ ١٦٩، رقم:٦٦٦). وروى البخاري في صحيحه تعليقًا وموقوفًا على ابن عباس: «إذا ولد خنسه الشيطان، فإذا ذكر الله عز وجل ذهب، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه»، (٦/ ١٨١) والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل/ ٢٥٩، في دفع الوسوسة (٤/ ٣١).

٢- والخاطر الملكي: هو الذي يحث على الطاعات ويرغب في الخيرات ويحذر من المعاصي والمكاره، ويلوم على ارتكاب المخالفات والتكاسل والتقاعد عن الموافقات.

٣- والخاطر النفساني هو الذي يتقاضى الحظوظ العاجلة ويظهر الدعاوى الباطلة.

٤- والخاطر الشيطاني: هو الذي يدعو إلى المعاصي والمناهي والمكاره.

والفرق بين خاطر الحق تعالى والملك، أن خاطر الحق سبحانه إذا خطر لا يعارضه شيء، فإذا ظهر سلطانه فكل جزء من أجزاء الوجود ينقاد ويستسلم له، وسائر الخواطر تضمحل وتتلاشى.

سُئِل بعضُ الكبار: ما برهان الحق؟ فقال: واردٌ يرد على القلب يضجر النفوسَ عن تكذيبها، ومع وجود الخاطر الملكي معارضة خاطر النفس وخاطر الشيطان.

والفرق بين خاطر النفس وخاطر الشيطان[١]، أن خاطر النفس لا ينقطع بنور الذكر، ويتقاضى على مطلوبه ليصل إلى مراده إلا إذا أدركه التوفيق الأزلي فيقطع[٢] عنها عرق المطالبة.

وأما خاطر الشيطان فإنه ينقطع بنور الذكر، ولكن يمكن أن يعود وينسيه الذكر ويغويه، كما في الخبر: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس وتولى، وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه».[٣]

وقال بعضهم: الخواطر خطاب يرد على الضمائر، وقيل: كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه، فأما خاطر للحق تعالى فلا يحصُلُ خلاف من العبد له.

وقال بعضهم: الخواطر أربعة، ١- خاطر من الله تعالى، ٢- وخاطرمن الملك، ٣- وخاطر من النفس، ٤- وخاطر من العدو. فالذي من الله تعالى: تنبيهٌ، والذي من الملك: حثٌ على الطاعة، والذي من النفس: مطالبةٌ للشهوة ، والذي من العدو: تزيين المعصية. فبنور التوحيد يُقبَلُ من الله تعالى، وبنور المعرفة يقبل من الملك، وبنور الايمان ينهى النفس، وبنور الإسلام يرد على العدو.

وسئل الجنيد رحمه الله عن الخطرات فقال: الخطرات أربعة، ١- خطرة من الله تعالى، ٢- وخطرة من الملك، ٣- وخطرة من النفس، ٤- وخطرة من الشيطان.

فالخطرة التي من الله تعالى ترشد إلى الإشارة، و الخطرة التي من الملك ترشد إلى الطاعة،

---

(١) "والفرق بين خاطر النفس و خاطر الشيطان" زيدت من طو.

(٢) في د، ومج "ويقلع".

(٣) سبق تخريجه آنفا.

والخطرة التي من النفس تجرّ إلى الدنيا وطلب عِزِّها، والخطرة التي من الشيطان تجر إلى المعاصي والشهوة.

والمشهور عند مشايخ الصوفية أن الخواطر أربعة وكلها من الله تعالى، غير أن بعضها يجوز أن يكون بغير واسطة، وبعضها بواسطة فما كان بغير الواسطة وهو خير فهو الخاطر الربَّاني ــ ولا يضاف إلى الله تعالى إلا الخير أدبًا ــ، وما كان بواسطة وهو خير أيضًا فهو الخاطر الملكي، وإن كان شرا فإن كان بإلحاح وتصميم على شيءٍ معيّنٍ فيه حظُ النفس، فهو الخاطر النفساني، وإلا فهو الشيطاني.

وقال بعضهم: أصل الخواطر الأربعة من الله تعالى؛ وذلك أن الحق سبحانه وتعالى إذا أراد أن يخلع على عبده خلعة قرب حضرته، أوَّلًا ينزل عليه وفود الأملاك الذين هم جنود الأرواح والقلوب تأييدًا ونصرةً للروح والقلب حتى يتقوى ويطير بجناح الهمة في فضاء القرب، ويستعد لنزول الخاطر الحقاني وإذا أراد تبعيد عبد بشرط الابتلاء يرسل جنود الشيطان إليه، إمدادًا للنفس حتى يتقوى بهمته الدنية ويرجع إلى مركزه السفلي و مَحتِدِه[1] الطَّبيعي، ويتولد منه الخواطر النفسانية.

[وتمييز الخواطر]

وتمييز الخواطر كما ينبغي، لا يتيسر إلا عند تجلية مرآة القلب من صداء الطبع بمصقلة الزهد والتقوى والذكر، حتى ينكشف فيها صور حقائق الخواطر كما هي.[2]

ومن لم يبلغ بالزهد والتقوى هذا المبلغ ويريد أن يُميِّز بين الخواطر فله طريق، وذلك بأن يزن أولًا خاطره بميزان الشرع، فإن كان من قبيل الفرائض والفضائل يمضيه، وإن كان محرمًا أو مكروهًا ينفيه، وإن كان من قبيل المباحات فكل جانب يكون أقرب إلى مخالفة النفس يمضيه، والغالب من سجية النفس ميلها إلى شيء دني.

ثم يعلم أن مطالبات النفس على نوعين: بعضها حقوق لابد منها، وبعضها حظوظ. فالحقوق ضرورة، إذ قوام النفس وبقاء حياتها مربوط ومشروط بها، والحظوظ ما زاد عليها. فيلزمه تمييز الحقوق من الحظوظ كي يُمضي الحقوق ويَنفي الحظوظَ. وأرباب البدايات يلزمهم الوقوف على الحقوق وحد الضرورة، وتجاوزهم عن ذلك ذنب في حقهم[3].

---

(١) في خد زيادة: **المحتد**: الأصل.

(٢) في خد بزيادة قال الله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الانفطار: ١٤).

(٣) في طو بدون "في حقهم" والعبارة في د "تجاوز بهم عن ذلك ذنبه في حقهم" زائدة.

وأما المنتهي فله فتح طريق السعة والخروج عن مضيق الضرورة إلى فضاء المشاهدة والمسامحة وإمضاء خواطر الحظوظ بإذن الحق سبحانه وتعالى.

وجعل بعض المشايخ: الواجبَ والمحظورَ للحق والشيطان، والمندوبَ والمكروهَ للمَلَك والنفس، وأما المباح لما لم يكن فيه ترجيح لم ينسب إلى خاطر لاستلزامه الترجيح.

والشيخ مجد الدين البغدادي ـ رحمه الله تعالى ـ زاد على الخواطر الأربعة: خاطرَ الروح، وخاطرَ القلب، وخاطرَ الشيخ. وبعضهم زاد: خاطر العقل، وخاطرَ اليقين.

وعلى الحقيقة هذه الخواطر مندرجة تحت الخواطر الأربعة. فإنَّ خاطِرَ الروح وخاطر القلب تحت خاطر الملك، وأما خاطر العقل فإن كان في إمداد الروح والقلب فهو من قبيل خاطر الملك، وإن كان في إمداد النفس والشيطان فهو من قبيل خاطر العدو.

وأما خاطر الشيخ فهو إمداد همة الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب، مشتملًا على كشف معضلٍ وحلِّ مشكل في وقت استكشاف المريد ذلك باستمداده من ضمير الشيخ، وفي الحال ينكشف ويتبين، وذلك داخل تحت الخاطر الحقاني؛ لأن قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب، وكل لحظة يصل إمداد فيض الحق سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ.

وأما خاطر اليقين، فهو وارد مجرد عن معارضات الشكوك والريب، داخل تحت الخاطر الحقاني.

وأما خاطر العقل، فقد قال صاحب "العوارف": «هو متوسط بين الخواطر الأربعة، يكون تارة مع النفس والعدو لوجود التمييز وإثبات الحجة على العبد، ليدخل في الشيء بوجود العقل، إذ لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب، وقد يكون تارة مع الملك والروح ليوقع الفعل مختارًا ويستوجب به الثواب. وأما خاطر اليقين فهو روح الإيمان و مزيد العلم».[1]

فصل في الخواطر ونفيها في بداية الأمر وتمييزها في آخره:

الخواطرُ تأتي المُجاهِدَ كسَيْل العَرِم، فالواجب عليه في بداية أمره النفيُ، وفي آخره التمييزُ بين الخواطر؛ لأنه ليس له أهلية أن يميز بين الخواطر، فالطريق أن ينفي الخواطر جميعًا، فما كان محمودًا -كخاطر الحق والملك والقلب- يثبت ولا ينتفي بنفيه، وما كان من الشيطان والنفس فينتفي بنفي الخواطر بأسرها مع رعاية صورة الذكر ومعناه. ولا يلتفت إلى تمييز الخواطر بعضها عن بعض، فإنه وإن كان بعض الخواطر من قبيل النفس وبعضها من إلقاء الشيطان وبعضها من إلقاء الملك وبعضها من قبيل الإلهامات، إلا أنه يضره الاشتغال بتمييز الخواطر مضرَّةً ظاهرةً، بل الواجب اجتناب الخواطر كلها.

---

(١) عوراف المعارف، الباب ٥٧ في معرفة الخواطر وتفصيلها وتمييزها (ص: ٣٢٥).

ولا يتيسَّر ذلك إلا برعاية ظاهر الذكر ومعناه، والمبالغة في تعظيم الحق وتعظيم جلسته مع الله تعالى، [قال الله تعالى][1]: «أنا جليس من ذكرني» فإن التجريد يتيسَّر لمن أُيِّد بصدق الإرادة والطلب في طرفة عين، ولن يتيسر التفريد إلا بمدة مديدة بواسطة نفي الخواطر، فإن جميع الأشياء المحسوسة التي شاهدها في ابتداء أمره استأنس بها أو لم يستأنس ترسم في خياله. فإذا جلس في الخلوة واشتغل بالذكر شوشت عليه الأمر والوقت، تارة بنسج الخواطر وإنشائها، وتارة بمخالطتها بالمشاهدات الغيبية ومزاحمتها إياها، وكذلك هواجس النفس ودواعي الهوى على كثرتها، ووساوس العدو على اختلافها وكثرتها بوسيلة الهوى، فإنه يكدر ينبوع القلب، ويفرق جمعِيَّة الباطن، ويسلب حلاوة الذكر ويبطل لذَّةَ المناجاة مع الله تعالى، فإذا واظب على نفي الخواطر- وهو الشرط الأعظم، بل هو خلاصة أمرالخلوة- وصل إلى حقيقة التفريد والأنس، ويتبدل إلقاء الشيطان بإلهام الرحمن، وحديث النفس بمكالمة الروح والقلب وبمناجاة الحق سبحانه.

فصل في ربط القلب بالشيخ:

الشرط السابع: ربط القلب بالشيخ من جهة الإرادة التامة لأنه رفيق في الطريق، قال الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة: ١١٩)، وقال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(النحل: ٤٣)، وقال الله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾(المائدة: ٣٥)، وقال النبي ﷺ: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2].

فالشيخ هو الذي سلك طريق الحق وعرف المخاوف والمهالك، فيرشد المريد ويشير إليه بما ينفعه وما يضره. فلا يكون الشيخ وصحبته أقل من الجليس الصالح، قال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ الجليس الصالح كمثل العطار إن لم يجدك من عطره عبق بك رائحته، ومثل الجليس السوء كمثل القين، إن لم تحرقك ناره عبق بك دخانه»، كما مر ذكره في صدر الكتاب.[3]

فصل في اعتقاد المريد أن شيخه هو الذي يوصله إلى الله تعالى لا غير:

على المريد أن يعلم أنه ليس أحد من مشايخ وقته يوصله[4] إلى الله تعالى غير شيخه، وإن كان كل واحد من المشايخ موصوفًا بهذه الخاصة، فإنه لو خطر ببال المريد أن في العالم أحدًا

---

(١) زيدت من د.

(٢) سبق تخريجه في "باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٣) "صدر" هذه زيادة من طو. وقد سبق تخريج الحديث في "باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

(٤) في طو "يوصله" وفي الباقية "أن يوصله".

يوصله إلى الله تعالى غير شيخه، تصرَّف فيه الشيطان وأزعجه من خلوته.

وربما يبلغ هذا التصرف إلى أن يتمثل بصورة شيخه ويريه أشياء يفسد بها اعتقاده، فأما إذ استحكمت إرادته في حق شيخه فإنه يستحيل أن يتمثل له الشيطان بصورة الشيخ، وقال النبي ﷺ: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته»(١)، و «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»(٢)، وكما أن الشيطان لا يمكنه التمثل بصورة النبي ﷺ على ما قال رسول الله ﷺ:«من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثّل بي»(٣)، فكذلك لا يمكنه التمثل بصورة الشيخ المتابع للنبي ﷺ، فيبقى المريد محفوظًا.

وقالوا: مِن أركان الوصول أربع خصال: أحدها: الغيرة يعني يكون غيورًا في دين الحق سبحانه، والثاني: علو الهمة يعني عند المشاهدات والمكاشفات والتجليات يكون عالي الهمة، والثالث: حفظ الحرمة والعزة مع الشيخ، والرابع: الشفقة على الأصحاب حتى يوقّر كبارهم ويرحم صغارهم. وهذا لا يكون إلا عند كامل الإيمان، وعند ناقص الإيمان بخلاف ذلك.

فصل في إيقان المريد أن روحانية الشيخ غير محيط بمكان دون مكان:

على المريد أن يتيقَّن أن روحانية الشيخ غير متحيزة بموضع دون موضع، وكلما لا يكون متحيزا استوى إليه الأمكنة كلها، ففي أي موضع يكون المريد لا تفارقه روحانية الشيخ وإن كانت تفارقه شخصيته، والبعد إنما يتعلق بالمريد.

فإذا تذكَّر المريدُ بقلبه الشَّيخَ قَرُب إليه فيتعلق به قلبُه، فاستفاد منه. وإذا احتاج المريد إلى الشيخ ليحل واقعته يستحضر الشيخ بقلبه، ويسأله عمَّا شاهَدَه، لا باللسان الظاهر بل بلسان القلب، فيُلهمه روح الشيخ معنى الواقعة عقيب السؤال، وإنما يتيسر له ذلك بواسطة ربط قلبه بالشيخ. ومن هذا الوجه يفصح له لسان القلب وينفتح له طريق القلب إلى الحق سبحانه فيجعله محدَّثا، قال النبيﷺ:«قد كان في الأمم محدَّثون، وإن كان في هذه الأمة فعمر بن الخطاب»(٤) رضي الله تعالى عنه .

---

(١) سبق تخريجه في " باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل ".

(٢) لم نقف عليه. ولما سئل ابن حجر الهيتمي عن حديث "علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل" وعن وجه التمثيل فيه، فأجاب في الفتاوى الحديثية (ص:١٩٩) بقوله: قال الدميري هذا الحديث لا يعرف له مخرج لكن في صحيح البخاري" «العلماء هم ورثة الأنبياء»، وأخرجه أبو داود والترمذي، وابن ماجه والحاكم في المستدرك على صحيحيهما، وفي الفردوس للديلمي: "إن لله عز وجل ثلاث مائة قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبع قلوبهم على قلب إبراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل" ومعنى التنظير أنهم مثلهم في ميراث العلم أو تشريع الأحكام لكن قطع الأنبياء بالوحي والعلماء بالاجتهاد.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (١/ ٣٣، رقم: ١١٠) ومسلم في صحيحه، (٤/ ١٧٧٥رقم: ٢٢٦٦).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب (٥/ ٦٢٢، رقم: ٣٦٩٣). وقد رواه الشيخان بألفاظ مختلفة.

فصل في المشيخة:

والشيخ هو الذي يقرِّر الدِّينَ والشَّرعَ في قلوب المريدين.

اعلم أنه لايصلح للتربية والمشيخة إلا من سلك الطريق وأبصر المذموم والمحمود في الغيبة، وقاسى بلاء هواجم العظمة من الهيبة والموت والفناء، ولا يصلح المجذوب، فإن المجذوب وإن كان قد ذاق المقصود ولكن لم يذق مرارة(١) الطريق إلى الله تعالى فلا يصلح للتربية.

[شروط المشيخة]

والمشيخة هي الدلالة والخفارة(٢) في الطريق وشرطه:

١- أن يكون عالما بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وليس كل عالم بأهل للمشيخة، بل ينبغي أن يكون موصوفا بصفات الكمال، ومُعْرِضًا عن حبِّ الدنيا وحبِّ الجاه والمال وما يشبه ذلك.

٢- ويكون قد أخذ هذا الطريق النقي عن شيخ محقق تسلسلت متابعته إلى رسول الله ﷺ.

٣- وارتاض بأمره رياضةً بالغةً من: قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام وقلة الاختلاط مع الأنام، وكثرة الصوم والصلاة والصدقة وطول الصمت،

٤- وظهرت في شمائله مكارمُ الأخلاق ومحاسن الآداب، مثل: الصبر والشكر والتوكل واليقين والسخاوة والقناعة والأمانة وبذل المال والجاه والحلم والتواضع وكفاية أمور الآخرة والصدق والإخلاص والحياء والوقار والاحتمال والسكون والتأني وأمثال ذلك.

٥- وقد اقتبس نورًا من أنوار النبي ﷺ.

٦- واضمحلت منه الأخلاق الذميمة، مثل: الكِبْر والعُجْب والبُخل والحَسَد والحِقْد والحِرص والأَمَل، والخِفَّة.

٧- وجرى على ظاهره صورةُ المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء، بل بلذاذة وحلاوة.

٨- واستنار بأنوار المشاهدة وانشرح صدره بالنور المقذوف في قلبه، وتجافى عن دار الغرور، وأناب إلى دار الخلود، وارتوى من بحر الحال(٣)، وتخلّص من الأغلال والأعلال، وقال مُعلِنًا بلسان الحال: لا أعبدُ ربًّا لم أره، كما في مقام الإحسان. وكما قال علي ـ كرم الله وجهه

---

(١) "مرارة" زيد من د.

(٢) الخفارة: الحراسة.

(٣) في مج "بحر الوصال" وفي د "بحر الجلال".

الكريم ـ حيث سأله ذِعْلِب اَلْيَمانِيُّ[1]، فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيتَ رَبَّك؟ فقال: لا أعبدُ ربًّا لم أره، فقال: ذعلب كيف رأيته؟ فقال: «ويحك يا ذعلب، لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن تراه القلوب بحقائق الإيمان».

ثم أُخرِج من وَهْج المكابدة إلى روح الحال، فوجد العَسلَ بعد العَلْقَم، وتروَّح بنسيمات الفضل، وبرز من مضيق المكابدة إلى متسع المساهلة، وأونس بنفحات القرب، وفُتِح له بابٌ من المشاهدة فوجد دواءه وفاض وعاءه، وصدرت منه كلماتُ الحكمة، ومالت إليه القلوبُ، وتوالى عليه فتوح الغيب، وصار ظاهره مسددًا وباطنه مشاهدًا، وصلح للجلوة وصار له في جلوته خلوة، فيَغلب ولا يُغلب، ويَفرس ولا يُفرس.[2]

تأهّل مثل هذا للمشيخة لأنه أخذ في طريق المحبين ومُنِح حالا من أحوال المقربين، بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين.

وقد يكون له أتباع تنقل منه إليهم علوم وتظهر بطريقه بركة و يلين جلده كما لان قلبه. وعلامة لين جلده إجابة قالبه العمل، فيزيده الله تعالى إرادة ومحبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين، ينقطع فيواصل، ويعرض فيراسل. قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٣)، أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين. ولا يكون هذا إلا حال المحبوب المراد[3].

فصل في مواصفات الشيخ الكامل:

ينبغي أن يكون الشيخ في الشريعة عالمًا بالفرائض والسنن ونوافل الطاعات، وأنواع المحرَّمات والمحظورات، ليميِّز بين الحلال والحرام والفرض والسنة والنافلة.

وأما في الطريقة فيجب أن يكون عالمًا بأنواع المعالجات في طريق الله تعالى ومجاهدات المريدين اللائقة[4] بكل واحد منهم. ويكون كيِّسًا درَّاكًا لأمزجة المريدين وأوصافهم الذميمة، كالحِقْد والكِبْر والعُجْب والبخل وحب الرئاسة والجاه والمال وحب الشهوات، ويكون عنده من العلوم والمعارف التي يحتاج إليها المريدون في طريق الله عز وجل.

---

(١) في طو، وخد "دعبل"، وفي ك "دُعيل"، وفي د "وعيد" وأثبتنا في النص "ذِعْلِب" وكذا هذه الرواية عنه في نهج البلاغة وغير ذلك.

ذِعْلِبُ اليَمَانِيُّ: هو تلميذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه الكريم ولم أجد ترجمته فيما لدي من المراجع.

(٢) في ك، ود "فيغلبه" بالضمير. في ط، وخد، وك "يفرس ولا يفترس".

(٣) في طو "ولا يكون هذه الحال إلا للمراد المحبوب".

(٤) في طو "أوصافهم" زيادة بعد "اللائقة".

وأما في الحقيقة فأن يكون عارفًا بمقامات عوالم الحقيقة ومنازلها، وتلويناتها وتمكيناتها، وآفاتها وفوائدها. وأن يكون بليغًا في المكاشفات، ومرتفعًا من المكاشفات إلى المشاهدات ومن المشاهدات إلى المعاينات، ومرتقيًا من الفنا إلى البقا وإلى بقاء البقاء، وجامعًا لمعرفة العظمة والكبرياء مع الوحدانية والفردانية، حتى يصلح[1] شيخًا مُربّيًا للسالكين في طريق الله تعالى، مُرْشِدًا للطالبين لقاء الله تعالى، يدل على ذلك قوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف: ١٠٨) من الدَّاعين للخلق إلى الله تعالى ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي على مشاهدة ورؤية بالقلب والإيمان.

فصل في شرائط الشيخ وآدابه:

ومن شرط الشيخ أن يكون كريمًا، رحيمًا، صبورًا، حليمًا، غير فظٍّ ولا كظٍّ[2]، ولا قاسٍ، ولا طوّافٍ في الأسواق، ولا جامعًا للدنيا ولا مُحبًّا لزينتها، ولا طالب جاه وصيت وأتباع، ولا مغلوب الحال، ولا شطّاحًا. ويكون للمريدين في الشفقة كما كان النبي ﷺ لأصحابه حيث وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

فإذا كان الشيخ متخلقًا بخُلق النبي[3] بهذه المثابة، كان مفترض الطاعة على المريدين، ويكون خليفة رسول الله ﷺ في تربية المريدين. فالشيخ هو الذي سلك الطريق وعرف مضاره ومنافعه[4]، فيرشد المريد ويدله على الله تعالى؛ قال الله تعالى حكاية عن نبيِّه موسى ووليِّه الخضر عليهما السلام: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٦٦-٦٧).

فصل في دوام ترك الاعتراض على الله:

الشرط الثامن: دوام ترك الاعتراض على الله تعالى، قال الله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١)، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ

(١) في طو بزيادة "أن يكون".

(٢)**الفَظُّ** : الجافي المسُيءُ . والجمع : أَفْظاظ .

الكَظّ: كظ الغَيْظُ صَدْرَهُ : مَلأَهُ. رَجُلٌ كَظٌّ : تُبْهِظُهُ الأُمُورُ وَتَغْلِبُهُ فَيَضِيقُ بِهَا.

(٣) في د بزيادة "في تربية المريدين".

(٤) في خد "مرافقه" بدل "منافعه".

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (لقمان:٢٢)، وقال الله تعالى:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(النساء: ١٢٥) ـ الآية ـ، و قال تعالى في مدح الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢).

اعلم أن من لوازم حال المريد إذا جلس في الخلوة أن يغتسل وينوي في غسله أنه غسل الميت فيكون بين يدي الله تعالى كالميّت بين يدي الغسال.

ومن لوازمه: الرضاء والتسليم والتفويض ومبادي التوكل. فلا يعترض على الله تعالى البتة في جميع الأحوال سواء أن يبسط عليه أو يقدر عليه[1] فإن بَسَطَ رِزْقَه بسطًا[2] شكره، ويتيقن أن الباسط هو الله تعالى. وإن ابتلاه بقبض شكره عليه وصبر فيه ويتيقن أن القابض هو الله تعالى؛ قال الله تعالى ﴿وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾(البقرة: ٢٤٥)[3].

فإن مَثَل المريد مع الله تعالى كمَثَل المريض مع الطبيب، فإذا تيقَّن المريض أن الطبيب عالمٌ بدقائق الطب، مُشفِقٌ على حاله فوَّض أمره إليه وترك الاعتراض عليه، فإذا سقاه الحلو أو المر قَبِله وشَرِبه وعلم أن شفاءه فيه، فكذلك المريد إذا تحقّق أن الله تعالى لطيف بعباده، رحيم عليهم، رءوف بهم، وأنه لا يعزُبُ عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وتيقّن أنه ظالم لنفسه، ساع في هلاك قلبه وروحه، جاهلٌ بما فيه فوزُه ونجاتُه وهلاكُه، فوَّض أمرَه إلى الله تعالى واستسلم لقضائه، فإذا طيَّب وقته ورزقه البسط شَكَره، وتيقّن أن شفاء قلبه فيه ومعالجة مرضه منوط به، وإذا ضيَّق عليه الأمر وابتلاه بالقبض شَكَرَه، وتيقن أن صحة قلبه متعلق به ومعالجة مرضه في ذلك الوقت مستور فيه.

وكلتُ إلى المحبوب أمري كله ... فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

قال الله تعالى:﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُون﴾(البقرة: ٢١٦)، وقال الله تعالى:﴿فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(النساء: ١٩).

فإذا استعد المريد بالتسليم في ابتدائه، أبلغه ذلك إلى كمال العبودية في الانتهاء. ولن يبلغ أحد هذه المرتبة الرفيعة إلا على سبيل التدرج، ومبدأ التدرج هو ترك الاعتراض، فكأنه يقرأ يومَ الميعاد: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار﴾(غافر: ١٦)، فحينئذٍ تهرب عساكر الشكوك والريب، وتنزل

(١) "في جميع الأحوال سواء أن يبسط عليه أو يقدر عليه" زيدت من د.

(٢) في د، ومج "فإن رَزَقَه بسطا".

(٣) هذه الآية زيدت من خد.

الملائكة حول القلب، ويمطر عليه سحائب الرحمة بقطرات النور، فيمتلئ من الحُبور والسُّرور، ما لا يعلمه إلا الله تعالى. وحينئذٍ يكلّ اللسان عن وصف عظمته وجلاله وكبريائه، ويقرأ بلسان قلبه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾(الحج: ٧٤) يعني وما عرفوا عظمةَ الله تعالى.

فصل في موجبات ترك الاعتراض:

ومن موجبات ترك الاعتراض: الرضاء بقدر الله المقدَّر[1] وقضائه المُبْرَم، من الفقر والغنى، والحزن والخوف، والقبض والبسط، والأنس والهيبة، والمعرفة والمحبة، والمحو والإثبات، والحضور والشهود، والبعد والقرب، والصحو والسكر، والمجاهدة والمشاهدة، والمكاشفات، والمجالسة، والمناجاة، والمحاورة، والمحادثة، والخوف من العاقبة والسابقة والعناية الأزلية، والكفاية الأبدية، والقهر، والغلبة على الأحوال[2]، والفترة، والقسوة، والعزة، والكمال.

ويلوذ[3] بأذيال الرحمة والفضل، واللطف والعطف من السواطع الربانية كلمع البرق إذا ضاء،[4] واللوامع الوحدانية. فإنه تعالى كريم رحيم أفاض على نبيه ﷺ مكارمَ الأخلاق، ثم مدحه تعالى على ذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم: ٤).

سُئِل الواسطي ـ رحمه الله تعالى ـ لأي شيءٍ كان النبي ﷺ أحكم الخلق؟ قال: إنه خُلِق روحه أولًا فوقع له صحبة التمكين والاستقرار، ألا تراه يقول ـ ﷺ ـ: «كنتُ نبيا وآدم بين الروح والجسد»[5]، قال بعض الكبار: أي لم يكن روحًا ولا جسدًا.

وقال بعض المشايخ: لما اطلع الحق سبحانه وتعالى على القلوب، فلم ير قلبًا أشوق إليه من قلب محمد ﷺ، فلذلك استعجله بالمعراج تعجيلًا لرؤيته ومكالمته.

وقال النبي ﷺ: «بعثتُ لأُتِمَّم مكارمَ الأخلاق»[6]

وسئل: ما الدين؟ قال عليه السلام:«حُسن الخُلُق»[7].

---

(١) في مج، ود "المقدور".

(٢) "على الأحوال" زيدت من د.

(٣) في مج، وك "اللوذ" بدل "يلوذ".

(٤) في خد، وك، ومج "أضاء".

(٥) قد سبق تخريجه في "فصل في أن الولاية يحتاج ظهورها إلى العزلة والخلوة".

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٠، رقم:٤٢٢١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، والبيهقى في السنن الكبرى (١٠/ ١٩١، رقم ٢٠٥٧١) و القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٩٢، رقم:١١٦٥).

(٧) قال العراقي في المغني، كتاب رياضة النفس (٢/ ٧٣٣، رقم:٢٦٨٢) (أخرجه) محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسلاً.

وقال ــ عليه السلام ــ :«حُسن الخُلق خُلق الله»[1]، وقال النبي ﷺ: «أفضل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا»[2]، وقال عليه السلام:«حُفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب»[3].

خاتمة: في فائدة الشروط الثمانية المذكورة سابقًا وما يتعلق بها:

اعلم أن فائدة الشروط الثمانية هي تصفية الجوهر الإنساني ليستعد للوصول إلى الحضرة الصمدية، وذلك برفع الأغيار، والأغيار ثلاثة: الوجود، والنفس، والشيطان، ودفعها بما ذكرنا من الشرائط.

أما الوجود، فهوظلمة شديدة مركبة من أربعة أركان: الماء، والتراب، والنار، والهواء، كلها ظلمات بعضها فوق بعض، لا بد من تصفيته بالمجاهدة.

وأما النفس، فهي في الوجود لطيفة كلطافة الهواء، ظلمانية غير زاكية منتشرة في جميع البدن، لا بد من تزكيتها بالرياضة.

وأما الشيطان، فهو نار غير صافية، ممتزجة بظلمات الكفر، يجري من ابن آدم مجرى الدم، لا بد من الانفصال منه، وطريقها طريق الكيمياء. فلا بد من استخراج لطيفة نورانية من بين هؤلاء؛ فإن القلب تنقَّشت فيه الأشكال منذ عَقَلَ وعاش في الدنيا وما فيها. وهذه الأشكال ظلمات تركب بعضها فوق بعض، وحصل منها صَّدَأُ[4] القلب، وهو الغفلة. فبواسطة الخلوة والذكر والصوم والطهارة والسكوت ونفي الخواطر والربط وتوحيد المطلب تنجلي مرآة القلب عن الصَّدَأِ.

فالذكر نارٌ ومبردٌ ومطرقةٌ، والخلوة كُورة، والصوم والطهارة آلة التصقيل، والسكوت ونفي الخواطر ونفي الوارد من الظلمات عليها، والربط تلميذ، وتوحيد المطلب أستاذ[5].

وإذا واظب العبد على هذه الشرائط ينكشف للقلب شهود نور المعية قال الله تعالى:﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(الحديد: ٤). و ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾(البقرة: ١١٥).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط بسند ضعيف (٨/ ١٨٤، رقم:٨٣٤٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، (٣/ ٤٨، رقم ٤٢٥٩). وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣٣٣) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٣ ، رقم ٨٦٢٣) وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) أورده الغزالي في الإحياء، وقال العراقي في المغني، (٢/ ٣٥٣، رقم: ٢٢٩٧): لم أقف له على أصل. نقول: والمعنى ثابت بقوله عليه السلام: :«بعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق» وبغيره كما في النص. وفي الإحياء: "ومحاسن الأعمال"، وفي د، ومج "ومحاسن الأدب".

(٤) في د "صدأ" وفي غيرها "صلاء".

(٥) فوائح الجمال ص: ٢٢٠.

فصل في مقامات السالك[1] :

على السالك ملازمة أنواع العبادات في جميع أحواله، ويعلم أن الله تعالى محاسبه على الاستقصاء، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾(الأنبياء: ٤٧).

وذلك في المقامات، وهي قيام العبد بين يدي الله في عباداته، أولها: التوبة، وهي الرجوع إلى الله تعالى مع دوام الندم وكثرة الاستغفار؛ ثم الإنابة ، وهي الرجوع عن الغفلة إلى الذكر، وقيل: التوبة في الظاهر، والإنابة في الباطن؛ ثم العفة، وهي ترك الشهوات؛ ثم الورع، وهوترك المحظورات؛ ثم التقوى، وهو ترك الشبهات؛ ثم الزهد، وهو ترك ما يشغله عن الله تعالى.

قال إبراهيم بن أدهم[2] رحمه الله تعالى: الزهد فرضٌ وفضلٌ ومكرمةٌ، فالفرض في الحرام، والفضل في الحلال، والمكرمة في الشبهات.

ثم الإرادة، وهي استدامة الكد وترك الراحة؛ ثم الفقر، وهو عدم الإملاك وتخلية القلب مما خلت عنه اليد؛ ثم الصِّدق، وهو استواء السر والعلانية، وذلك بالاستقامة مع الله تعالى ظاهرًا وباطنًا، وسرًا وعلانية؛ ثم التصبُّر، وهو حمل النفس على المكاره وتجرع المرارات؛ ثم الصبر، وهو ترك الشكوى إلى غير الله تعالى؛ ثم الرضاء، وهو التلذذ بالبلاء؛ ثم الإخلاص؛ وهو إخراج الخلق من معاملة الله تعالى؛ ثم التوكل، وهو الاعتماد على الله تعالى في الوعد والوعيد بإزالة الطمع عما سواه.

فصل في ذكر آدابهم ومحاوراتهم :

وهو أن يقصد بالكلام النصح والإرشاد، وطلب النجاة، وما يعود نفعه على الكلِّ. ولا يكلم الناس إلا على قدر عقولهم؛ قال النبي ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأنبياء، أُمِرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِم»[3] ولا يتكلم في مسألة لا يسأل عنها، و إذا سُئِل أجاب على قدر السائل.

---

(١) هذا الفصل وما بعده مأخوذان من آداب المريدين، مع تصرف في بعض المقامات. ص: ٢٣.

(٢)**إبراهيم بن أدهم**: (١٦١ هـ = ٧٧٨ م) هو زاهد مشهور أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، وجال في العراق والشام والحجاز.

(٣) في مج "أُمِرْنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناسَ على قَدْر عُقُولِهِم".أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (١/ ٣٩٨، رقم ١٦١١)، قال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٢٢، رقم:٥٩٢): رواه الديلمي بسند ضعيف، وقال السخاوي في المقاصد (ص: ١٦٤): وقد عزاه شيخنا (ابن حجر) لمسند الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس بلفظ «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» قال وسنده ضعيف جدا، ورواه أبو الحسن التميمي من الحنابلة في العقل له بسنده

وحكي عن الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قيل له: يسألك السائل عن مسألة فتجيبه بجوابٍ، ثم يسألك الآخر عن تلك المسألة، فتجيبه بجوابٍ آخر؟ فقال: على قدر سائل يكون الجواب.

وإذا سأل لا يسأل إلا عن مقامه، ولا يتكلم فيما لا يبلغه استعماله[1]، وقد قيل: يجوز ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[2].

ولا يبذل العلم إلا لأهله، وقيل: ابذل العلم لأهله ولغير أهله، فالعلم أمنع جانبا من أن يصل إلى غير أهله.

ولا يتكلم بين يدي من هو أعلم منه. سُئِل ابنُ المبارك[3] مسألة بحضرة سفيان الثوري،[4] فقال: أنا لا أتكلم عند الأستاذين.

وقال بعضهم: لا يحسن هذا العلم إلا لمن يعبر به عن وجده وينطق عن فعله.

ومن الآداب أن لا يتكلم في العلم قبل أوانه، فيتولد عنه آفات تقطعه عن الفوائد. ويحذر كل الحذر أن يطلب الجاه والمنزلة عند الناس وحُطَام الدنيا، فيكون ممن لا ينفعه الله تعالى بعلمه، وقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع، وقال عليه السلام: « مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[5]

ويجتهد في استعمال ما سمعه وتعلم، فقد قيل: كل من سمع شيئًا من علوم القوم فعمل به صار ذلك حكمةً في قلبه وينتفع به السامعون له، وكل من سمع ولم يعمل به كان ذلك حكايةً يحفظها أيامًا ثم ينساها.

عن ابن عباس أيضًا بلفظ «بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم» وأكد السخاوي أيضًا هذا المعنى بالشواهد والأحاديث الموقوفة، ومنها قول سيدنا علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم...، ١/ ٣٧، رقم: ١٢٧).

(١) في خد، وك "ولا يتكلم مالم يبلغه ولا يتكلم فيما لم يبلغه استعماله".

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، (٥/ ٣٤، رقم:٢٦٥٦)، وأبو داود في سننه، (٣/ ٣٢٢، رقم: ٣٦٦٠).

(٣)**عبد الله بنُ المبارك:** (١١٨ – ١٨١ هـ = ٧٣٦ – ٧٩٧ م)أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجًا ومجاهدًا وتاجرًا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكان خراسان، له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه، و " الرقائق " في مجلد.

(٤) **سفيان الثوري:** (٩٧ – ١٦١ هـ = ٧١٦ – ٧٧٨ م)أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم انتقل إلى البصرة فمات فيها. وكان آية في الحفظ.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، (٤/ ٣٢٩، رقم: ٢٦٥٤).

وقيل: الكلام إذا خرج من القلب وقع على القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز عن الأذنين.

فصل في مراعاة ما يجب رعايته:

اعلم أن من وقع في أرض قلبه بذر إرادة سلوك الطريق إلى الله تعالى، فعليه أن يكرم هذا الضَّيفَ الغريبَ الغَيْبِيَّ، وأن يستغنم هذا البذر العزيز النادر، ويقدّم بين يديه بلذيذة غذاء يناسب قوة احتمال حوصلته. وهذا الغذاء لا يوجد بالحقيقة إلا في ولاية مشايخ الطريقة قَدَّسَ اللهُ تَعَالى أَرْوَاحَهُم.

وذلك لأن بذر الإرادة في قلب المريد على مثال طفل وُلِد من الغيب إلى شهادة، فلا يكون غذاؤه إلا اللبن الذي من عالم الغيب،[1] كذلك نور الإرادة إذا ورد على قلب المريد من عالم الغيب بتوفيق الله تعالى سبحانه، إنما يتربى بتربية ماء المعرفة من أنهار الغيب الفائض من جود الفيَّاض على قلوب أهل الغيب، وهم مشايخ الصوفية الذين تشرفوا بمتابعة رسول الله ﷺ، فأفاض الحق سبحانه على قلوبهم واردات ربانية في صورة المتابعة، فصاروا ربانيين، قال النبي ﷺ: «ما صبَّ الله شيئًا في صدري إلا وصببتُه في صدر أبي بكر» رواه صاحب «العوارف»[2].

فمن وقعت له هذه الإرادة الشريفة فلا يغتر بعمله ورأيه وحذاقته، بل يقوم في طلب شيخٍ عارفٍ كاملٍ مأمونٍ موصوفٍ بتربية المريدين، وإن كان في الشرق أو الغرب لا بد من ذلك ويتمسك بخدمته ويُسلِّم نفسه إليه، ويخرج من تصرفاته النفسانية.

وإذا كان الشيخ موصوفًا بما ذكرنا، فلا يدع الشيطان بعد ذلك، يوسوسه بمكايده، ونفسه توافقه في ذلك، وتقول: هذا الشيخ هل هو شيخ كامل أم لا؟ فليخرج هذا الخاطر الرديَّ الفاسد من نفسه بقوة رجوليته الثابتة وهمته العالية ويحفظ إشارة «عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا».[3] ولا يتصرف في نفسه بنظر العقل العاجز.

وقد قال بعض مشايخ الصوفية رحمهم الله تعالى: أن يكون المريد في تصرف هرة خير له من أن يكون في تصرف نفسه.

---

(١) في د " لا اللبن الذي يباع في الأسواق" زيادة.

(٢) سبق تخريجه في " فصل في أن فتوحات الصحابة كانت من مجالسة النبي ﷺ من غير صنع خلوة".

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٤/ ٢٠٠، رقم:٤٦٠٧) وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/ ١٥، رقم: ٤٢) وفي صحيح مسلم عن أبي ذر، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء (٣/ ١٤٦٧، رقم: ١٨٣٧)بألفاظ مختلفة ولفظ مسلم: إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدع الأطراف. وفي رواية «عبدا حبشيا مجدع الأطراف».

وَكَلْتُ إِلَى المَحْبُوبِ أمْرِي كُلَّه فإنْ شَاءَ أحْياني وإن شاء أَتلَفَا

وهذا على طريق المبالغة منهم في حفظ الإرادة وعدم المخالفة، وقد ذكرنا شرائط الشيخ فلا مَحِيْص من رعايتها.

فصل في احترام الشيخ ظاهرًا وباطنًا:

إن الله تعالى بعث النبي ﷺ ليكون داعيًا للأمة إلى الله تعالى بإذنه، وهاديًا لهم إلى صراط مستقيم، قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(الأحزاب: ٤٦) وقال الله تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢). ولما تم مدة بقائه في الدنيا خلف خلفاؤه من أصحابه ليدعوا العباد إلى الله تعالى. وهكذا قرنًا بعد قرن إلى قيام الساعة؛ قال النبي ﷺ:«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».[١] وهذا الاهتداء إنما يوجد عند من ورث العلم من النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا بالوسائط.

فمن وجد شيخًا موصوفًا بهذه الصفة، ثم إن كان الشيخ قَبِله فعليه أن يحترمه ظاهرًا وباطنًا.

أما احترام الظاهر فألّا يجادل معه، ولا يحاجه فيما يسمع منه من المسائل، وإن كان يرى أنه أخطأ. فإن نظره أتم من نظره، وعلمه أكثر من علمه. وكذا في حضوره لا يجلس على السجادة إلا وقت الصلاة، فإذا فرغ من الصلاة يرفع سجادته، ولا يصلي النوافل بحضوره. وكلّ ما يقول ويأمر يتمثل بأمره ما استطاع، ولا يضع رِجلَه على سجادته، ولا يتحرك عنده وعند غيره بحركات خارجة من شِيَم العارفين، ولا يكثر النظر في وجوه المشايخ، ولا ينبسط معه إلا إذا أُذِن له، ولا يفعل فعلا يثقل عليه، بل يطرق رأسه وينظر بين يديه، ولا يطالع وجوه الناس فيغفل عن ذكر الله.

وأما احترام الباطن فألّا ينكر عليه شيئًا فيما يراعي ظاهره وباطنه قولًا وفعلًا، وحركة وسكونًا وإلا فهو نفاق، فعليه أن يفارقه حتى يوافق، فيستوي ظاهره وباطنه بتوفيق الحق سبحانه.

فصل في محافظة الأوقات التي يرجىٰ فضلها وعمارتها بالصلوات والأذكار:

وذلك مثلُ وقت الإشراق، يصلي فيه أربع ركعات، ووقته يدخل بطلوع الشمس، ويبقى إلى ارتفاع الشمس قدر رُمحين. ومثلُ وقت الضحى ويصلي فيه اثنتى عشرة ركعة وأقله ركعتان، ووقته بطلوع الشمس إلى زوالها. ومثل ما بين العشاءين، ويصلي فيه ست ركعات صلاة الأوّابين، وإن صلى فيه عشرين ركعة فهو أفضل، بكل ذلك ورد الخبر. ويشتغل بعد ذلك

---

(١) سبق تخريجه في "باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل".

بالذكر الخفي القوي بحضور القلب. ومثل ذلك الثُّلث الأخير من الليل، ويصلي فيه ثلاث عشرة ركعة، عشرة صلاة التهجد، وثلاثًا للوتر، وأقلُّها ثلاث ركعات. ثم يشتغل بالـذكر إلى طلوع الفجر، ويصلي الصبح، ثم يشتغل بالذكر أيضًا إلى وقت الإشراق.

ويواظب على ركعتي تحية الوضوء وعلى ركعتي تحية المسجد. وقال صاحب «العوارف»: وكره جماعة من العلماء تحية الطهارة بعد صلاة العصر، وأجازه المشايخ والصالحون ـ رحمهم الله ـ.[1]

فصل في بيان الفضل على من يواظب على هذه الشرائط الثمانية:

ومن يواظب على الشرائط الثمانية المذكورة، ويراعي هذه الأوقات يصير مخلصًا ممن لا يكون للشيطان عليه سلطان، ويصير من أهل الجنة ومن أهل الله الخاص.

والجنة والنار موجودتان اليوم عند أصحاب السلوك، قال النبي ﷺ:«دخلت الجنة وسمعت خشخشة نعل بلال قدامي»[2] و «دخلت الجنة ورأيت قصرًا وسألت لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته وما دخلت فيه»[3] و«رأيت أبا طالب في ضحضاح من النار، ولو لا مكاني لكان في طمطامها»[4]؛ كذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(البقرة: ٢٤)، وقوله تعالى﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران: ١٣٣).

فصل في أن من كرامات الأولياء أن يصير الإيمان الغيبي إيمانًا شهوديًا:

ومن كرامات الأولياء أن يصير الإيمان الغيبي بالآخرة وما نطق به الكتاب والسنة من الوعد والوعيد والحشر والنشر إيمانا شهوديا، بحيث لا يمكن للنفس إنكارها ولا للشيطان التشكيك في أمر من الأمور الأخروية، بحيث لو يكشف الغطاء لا يزداد يقينه، و يتيقن أن الله على كل شيء قدير، وأن القدرة لا تنبعث إلا بالحكمة.

---

(١) الباب٥٠ في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات. (ص: ٢٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، (٤/ ١٩٠٨، رقم: ٢٤٥٧) بلفظ: أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة، ثم سمعت خشخشة أمامي فإذا بلال. وابن حبان في صحيحه (١٥/ ٥٦١، رقم: ٧٠٨٦).
خشخشة: صوت الأشياء اليابسة إذا حك بعضها بعضًا.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، (٥/ ١٠، رقم: ٣٦٨٠) بلفظ: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته، فوليت مدبرا فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله، ومسلم في صحيحه، (٤/ ١٨٦٢ ، رقم ٢٣٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيح، كتاب مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب (٥/ ٥٢، ٣٨٨٣) بلفظ: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (١/ ١٩٤ ، رقم ٢٠٩).
ضحضاح: شيء قليل لا عمق فيه، كماء ضحضاح. طمطام: وسط البحر ونار عظيمة.

اعلم أنه لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان إلا بعد وصوله إلى هذا المقام، كما كان حال حارثة حين سأله النبي ﷺ، فقال: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: «انْظُرْ إِلى مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ دَعْوَى حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟». قَالَ: قَدْ صَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا فَأَظْمَأْتُ نَهَارَهَا وَأَسْهَرْتُ لَيْلَهَا وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَإِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ وَإِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوَرُونَ فِيهَا، قَالَ: أَصَبْتَ فَالْزَمْ، فَلَمَّا تَوَلَّى، قال عليه السلام: عَبْدٌ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ[1].

فصل في علامة قذف النور في قلب الذاكر :

وعلامة قذف النور في قلب الذاكر انشراح صدره وطمأنينة قلبه بالذكر، وعلامة انشراح صدره ترك الدنيا، والإعراض عن أغراضها الفانية، وعلامة اطمئنان القلب بالذكر قرارة عينيه بنور الإيمان المقذوف في صدره عند غلبة الذكر عليه.

واعلم أن لكلِّ صورةٍ معنًى، ولكلِّ محسوسٍ معقولًا، ولكلّ شهادةٍ غيبًا، فمن لم يُثْبِت للمعنى صورةً فهو باطنيٌّ مُلحِدٌ عنيد، ومن لم يُثبت للصورة معنًى فهو ظاهريٌّ جامد بليد، ومن يَجْمَع بين الظاهر والباطن، ويُثبت لكل محسوسٍ معقولًا، ويُطَالِع في كل شهادةٍ غيبًا، فهو سُنِّيٌّ رشيد سعيد صُوفيٌّ، فكن صوفيًّا صفيًّا غير مُتَعَصِّب مع أحد من أئمة المسلمين، ولا تَطْعن فيمن يقولُ: «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله» ﷺ، ما دام تجد لقوله مَحْمَلًا صالحًا.

فصل في تأديب النفس بالمجاهدة والرياضة:

من أدَّب نفسَه بالمجاهدة والرياضة وراضها بالمكابدة وتحمَّل المشاق وتجرَّع المرارات، ويكون قد جاوز المقامات، وتأدَّب بالمشايخ الذين يصلحون للاقتداء، وصَحِب رجالَ الصِّدق، و عَرَف أحكامَ الدين وحدودَه، وأصولَ المذهب وفروعَه، يصلح للاقتداءِ ـ بإذن الله تعالى ـ. ومن لم يكن بهذه الصفات فحرام عليه التصدِّي للمشيخة والإرادة.

وقيل: من لم يتأدَّب برؤية عيوب أفعاله ورعونات نفسه، والعلم في إزالتها بجهده، لم يجز الاقتداء به. ثم يأخذ نفسه بالمجاهدات ويتفقد زيادتها من نقصانها، وما لها وما عليها، و يعرض حاله على شيخه فيما يعرض له وعليه في كل وقت، فقد قيل: ليس بلبيب من لم يصف ما به إلى الطبيب. ثم يطالب نفسه بمنازل المقامات على ترتيبها، ولا ينتقل من مقام إلا بعد تصحيح آدابه، ولايشتغل بالزهد إلا بعد الفراغ من الورع وما أشبه ذلك إلى أن تصير المعاملات إلى القلوب.

(١)في خد، وك "منعت" بدل "صرفت".أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٦٦، رقم: ٣٣٦٧) والبزار في مسنده (١٣/ ٣٣٣، رقم: ٦٩٤٨) والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ١٥٨ رقم: ١٠١٠٦).

وقال بعضهم: العمل بحركات القلوب أشرف من العمل بحركات الجوارح.

وقال النبي ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح»(١).

وقال النبي ﷺ: «مَا فَاقَ أبو بكر بكثرة الصلاة والصيام ولكن بشيء وَقَرَ في قلبه»(٢)؛ ولهذا ظهرمن حاله بعد وفاة رسول الله ﷺ ما لم يظهر من حال غيره، حين صَعِد المنبر، فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ(٣)، وقاتل أهل الرّدة حتى حفظ الله به الإسلام.

ويجب على المريد ألا يخلو ظاهره من الأوراد وباطنه من الإرادات إلى أن ترد عليه الواردات، فحينئذ يكون مع الواردات، لا مع الأوراد و لا مع الإرادات.

وقال أبوسُلَيمان الداراني رحمه الله تعالى: إذا صارت المعاملات إلى القلوب استراحت الجوارح، فحينئذ يشتغل بعمارة الباطن، ومباشرة الأحوال، ومراعاة الأسرار، وعد الأنفاس، كما قيل: عبادة الفقير نفي الخواطر.

وقال بعض المشايخ: إذا رأيت المريد قائمًا مع الشهوات، طالبًا لحظوظ النفس، فاعلم أنه كذَّاب، وإذا رأيت المتوسط غافلًا عن حفظ قلبه، ومراعاة أحواله، فاعلم أنه كذَّاب، وإذا رأيت من يشير إلى المعرفة ويميّز بين المدح والذم والقبول والرد، فاعلم أنه كذَّاب.

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لولا العلامات لادعى كل إنسان سلوك الطريقة. قال الله تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾(محمد: ٣٠).

ويجب أن يعلم أنه لا يصلح له حال ولا مقام ولا عبادة إلا بالإخلاص وتصفية الأعمال عن رؤية الخلق.

فصل في مراعاة النفس ومعرفة أخلا قها:

ومن الواجبات مراعاة النفس ومعرفة أخلاقها فإنها لأمَّارة بالسوء، ولا يغفل عنها وإن تناهى في المعرفة، فإن النبي ﷺ كان مراعيًا لها، ومستعيذًا بالله تعالى من شرها. ويقول عليٌّ كرم

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفا بسند صحيح (١/ ١٤٣، رقم:٣٥) وابن عدي في الكامل في الضعفاء عن ابن عمر مرفوعا بسند ضعيف (٤/ ٢٠١، رقم: ١٠١٢).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في نوادرالأصول من قول بكر بن عبد الله المزني، أصل/ ٢١ في خصوصية هذه الأمة (١/ ١٤٨) وأحمد ابن حنبل في فضائل الصحابة (١/ ١٤١، رقم: ١١٨) و قال العراقي في المغني، كتاب العلم، الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم (١/ ٢٤، رقم: ٧٣) ولم أجده مرفوعا وأقره السخاوي في المقاصد(ص: ٥٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (٦/ ١٤رقم:٤٤٥٤).

الله وجهه الكريم: ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلما ضممتها من جانب نفرت من جانب آخر.

وقال أبو بكر الوراق[1] رحمه الله تعالى: النفس مرائية على جميع الأحوال، منافقة في أكثر الأحوال، مشركة في بعض الأحوال.

ويعلم أنها طلبت أن تكون لله ضدًّا في دعواها، ندًّا في مطالبتها، وذلك أن الله تعالى طالب عباده بالثناء عليه والمدح له، وطلبت النفس ذلك، وطالب الله العباد أن لا يخالفوا أمره ونهيه، وطلبت النفس ذلك، وطالبهم أن يصفوه بالجود والكرم، وتحببت النفس ذلك، وطالبهم أن يكون هو المرغوب إليه والمرهوب منه، وطلبت النفس ذلك.

وقيل: النفس لطيفة مودعة في هذا القالب، وهي محل الأخلاق المذمومة. والروح لطيفة مودعة في هذا القالب، وهي محل الأخلاق المحمودة، كما أن البصرمحل الرؤية، والأذن محل السمع، والأنف محل الشم.

وقيل: الروح معدن الخير، والنفس معدن الشر، والعقل جيش الروح، والهوى جيش النفس، والتوفيق من الله تعالى مدد الروح، والخذلان مدد النفس، والقلب في أغلب الجيشين.

باب في لبس الخرقة:

إذا صحَّ للمريد مقام التوبة والورع والتقوى، وشرع في مقام الزهد، وقد أدب نفسه بالمجاهدة والرياضة، فله أن يلبس المُرَقَّعة إن رغب فيها، فليراع ما يلزمه في لبسها.

اعلم أن الإنسان عبارة من جملة ظاهره وباطنه، ولكل واحد منهما لباس يختص به، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(الأعراف: ٢٦).

أما ظاهره فالبدن، ولباسه ما أجازه الشريعة، وهو الخرقة التي كساها الله إياه، وما دنستها تصرفات الطبع والعادة[2] كما كان حال النبي ﷺ، كان يلبس القباء، والجبة الواسعة الكم والضيقة الكم، والقميص، والأردية، والفاخرة، والخشن.

وأما باطنه فأمور؛ وهي نفسه وقلبه وسره وروحه وخفيُّه الذي هو سرُّ سرِّه، فلباس نفسه الشريعة، ولباس قلبه الطريقة، ولباس سره الحقيقة، ولباس روحه العُبُودية، ولباس خفيِّه المَحْبُوبِيّة.

---

(١) أبو بكر الورَّاق: (٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م) أبو بكر محمد بن عمر الورّاق الترمذي ويلقب بـ "الحكيم"، لَقِي أحمد بن خَضْرَوَيْه وصَحِبه، وصحب محمَّد بن سَعْد بن سَعْد بن إبرهيم الزاهد، ومحمَّد بن عُمَر خُشْنامَ البلخي، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، له كتب مشهورة في التصوف والمعاملات والأدب.

(٢) "قال بعضهم: الفقير الصادق أي شيء لبسه يحسن عليه ويكون له فيه الملاحة والمهابة" زائد في ك.

ثم اعلم أن حجاب الإنسان الذي به يحتجب، إما نورانيٌّ وهو نور الروح، و إما ظلماني وهو ظلمة الجسم، قال رسول الله ﷺ:«إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة»[1]، فمن وفقه الله تعالى للمتابعة حتى بلغ كمال العبودية، فبالعبودية يستخلصه الله سبحانه وتعالى من نور الروح حتى وصل إلى كمال المحبوبية، قال الله تعالى:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران:٣١) وبالمتابعة يستخلصه الحق سبحانه من ظلمة الجسم، فيرفع الحجابات بإذن الله تعالى، فيكون ربانيًا مُخلصًا من أرضية الجسم وسماوية الروح، إذ هو القائم بالله تعالى في مَقْعَدِ صدق عند مليك مقتدر، وهذا قول الحصري[2]: الصوفي لا تقلّه الأرض ولا تظلّه السماء، قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ﴾ (آل عمران:٧٩)

فالمتابعة صورة وحقيقتها العبودية، ولا يتصور انقطاع العبودية التي هي اللُّب، ولا المتابعة التي هي الصورة لا في الدنيا ولا في الآخرة فلا يؤمر أحدٌ بمخالفة الشريعة إلا من ردَّه الله تعالى، فأورده المهالك، بئس الورد المورود، كما كان حال المستدرجين: بَلْعَام[3] وبَرْصِيصا[4] ـ نعوذ بالله من الحَور بعد الكور ـ، فيكون ظاهره وباطنه محفوظًا من تصرُّفات الطبع والعادة.

اللهم ارزُقْنا مُتَابَعَةَ النَّبِيِّ ﷺ ظاهرا وباطنًا، قولًا وفعلًا، طاعةً وعبادةً وعادةً.

فصل في المدركات الباطنة:

المدركات الباطنة من النفس والقلب والعقل والسر والروح والخفي، كل واحد له حجاب، فحجاب النفس: الشهوات واللذات والأهوية، وحجاب القلب: الملاحظة في غير الحق، وحجاب العقل: وقوفه مع المعاني المعقولة، وحجاب السر: الوقوف مع الأسرار، وحجاب الروح: المكاشفة، وحجاب الخفي العظمة والكبرياء.

والواصل من ليس له التفات إلى هذه الأشياء، اقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث عرض عليه الخزائن والدفائن في مقام السدرة، فلم يلتفت إليها فمدحه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾(النجم: ١٦-١٧).

---

(١) سبق تخريجه في " فصل فيما يعمل الطالب إذا اشتدت إرادته وشوقه إلى سلوك الطريق".

(٢)**الحصري** (٣٧١هـ): أبوالحسن علي بن إبراهيم البقري سكن بغداد، عجيب الحال واللسان شيخ وقته ينتمي إلى الشبلي، مات ببغداد.

(٣)**بَلْعَام** : هو بلعم بن باعوراء، وهو عالم من علماء بني إسرائيل في زمن نبي الله موسى، وكان مستجاب الدعوة يقدمونه في الشدائد، لكنه مات على الشرك لكبره ورفضه لأمر الله تعالى.

(٤)**بَرْصِيصا**: هو عابد زاهد من بني إسرائيل، كان له فضل وكمال لكنه مات مشركًا – نعوذ بالله منه– .

والعاقل الموفَّق، لا يأمن من الشيطان ما دام معه شيء من دنياه، فقد جاء عن عيسى عليه السلام، أنه كان نائمًا متوسِّدًا بلبنة، فسهر من منامه، فإذا اللعين عند رأسه، فقال له: ماجاء بك إليّ؟ فقال: طمعت فيك، فقال: يا ملعون، أنا روح الله، كيف تطمع فيّ؟ فقال: إنك أخذت قماشي، فطمعتُ فيك، فقال: وما ذاك القماش؟ فقال: هذه اللبنة تحت رأسك، فرماها عيسى عليه السلام حتى فارقه الشيطان.[1]

باب في التصوف ومذاهبهم:

التصوف مأخوذ من الصَّفا، محمودٌ في كل لسان، وضِدُّه الكدورة، ومذمومٌ في كل لسان[2].

فصل في أركان التصوف:

قيل: أركان التصوف في الظاهر خمسة:

١ - الخدمة، ٢ - والخرقة، ٣ - والخلوة، ٤ -والصحبة، ٥ - والفُتُوَّة.

وأركان باطنه أيضًا خمسة:

١ - العلم، ٢ - والعمل، ٣ - والحال، ٤ - والقلب، ٥ -والمعرفة.

وقال بعضهم: أول التصوف: علم، وأوسطه: عمل، و آخره: موهبة، فالعلم للكشف عن المراد، والعمل للعون على الطلب، والموهبة للتبليغ إلى غاية العمل.[3] وهم على ثلاث طبقات: مريدٌ طالبٌ، ومتوسطٌ سائرٌ، ومنتهيٌّ واصلُ.

فمقام المريد: المجاهدات، والمكابدات، وتجرع المرارات، ومجانبة حظوظ النفس، والاقتصار على حقوقها.

ومقام المتوسط: ركوب الأهوال في طلب المراد، ومراعاة الصدق في كل الأحوال، واستعمال الأدب في جميع المقامات.

ومقام المنتهي: الصحو والتمكين وإجابة الحق من حيث دعاه، قد استوى حاله في الشدة والرخاء، والمنع والعطاء، والوفاء والجفاء، أكله كجوعه، ونومه كسهره، قد فنيت حظوظه وبقيت حقوقه، ظاهره مع الخَلق، وباطنه مع الحق. وكل ذلك منقول من أحوال النبي ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم. أوله كان متخلّيًا في غار حراء ثم صار مع الخلق، ولا فرق عنده

---

(١) فوائح الجمال،ص:١٤٣.

(٢) هذه العبارة بأسرها ساقطة في د، ومج ، و ر .

(٣) في د "الكشف" و "العون" و "التبليغ" بدون اللام الجارة.

ﷺ بين الخلوة والجلوة، كذلك أصحاب الصُّفَّة صاروا في حالة التمكين أمراء، وزراء، فإن المخالطة كانت لا تؤثِّر فيهم.

وقال أبو عبد الله بن خفيف(١): قال لي رويم: يا بني اجعل علمك(٢) ملحًا، وأدبك دقيقًا.

وقيل: التصوف كله أدب ولكل وقت أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزِمَ الأدبَ بلغ مبلغ الرجال، ومن حُرِم الأدبَ فهو بعيدٌ من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول.

وقيل: من حُرِم الأدب فقد حرم جميع الخيرات.

وهؤلاء أهل التصوف طريقهم على المخاطرة، فلا يميلون إلى الخَلْق ولا إلى الدنيا ولا إلى أنفسهم ولا إلى أهلهم وإن نظروا ومالوا، فمُنِعُوا وعجزوا.

وسُئِل الجنيد رحمه الله تعالى عن الصوفية من هم؟ فقال: آثرهم الله تعالى من خَلْقه يُخْفيها إذا أحبَّ، ويُظْهِرها إذا أحب.

وسُئِل ابن عطاء عن التصوف، فقال: نزاهة طبع كامنة في باطن الإنسان، وحُسن خلق يشتمل على ظاهره.

وسأل رويم الجنيدَ عن التصوف في ذاته، فقال: إياك إياك يا أبا محمد، خذ الظاهر ولا تسأل عن ذاته فألح عليه، فقال مجيبًا له: هم القائمون مع الله تعالى من حيث لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وقال سهل التستري رحمه الله تعالى: التصوف، القيام مع الله تعالى من حيث لا يعلمه غير الله عز وجل.

[من أخلاق الصوفية]

ومن أخلاقهم: الحِلْم، والتَّواضع، والنَّصِيحة، والشَّفقة، والاحتمال، والمرافقة، والإحسان، والمداراة، والإيثار، والخدمة، والأُلفة، والبَشَاشة، والكَرَم، وَبَذْل الجَاه، والفُتُّوة، والمروءة، والمودة، والجُود، والعَفْو، والصُّلح، والسَّخاء، والوَفاء، والحَيَاء، والتَّلَطُّف، والبِشر، والطَّلاقة، والسكينة، والوقار، والدعاء، والثناء، وحسن الخُلق، وتصغير النفس، وتوقير الإخوان، وتَبْجِيل المشايخ، والتَّرَحُّم على الصغير والكبير، واستعظام ما إليه واستصغار ما منه.

وسُئِلَ سهلٌ التستري رحمه الله تعالى عن حسن الخلق، فقال: أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والدعاء له.

---

(١) **أبو عبد الله بن خفيف:** (٢٧٦ - ٣٧١ هـ = ٨٩٠ - ٩٨٢ م) أبو عبد الله محمد بن خفيف، الشيرازي صوفي، شافعي، كان شيخ إقليم فارس، وهو من أولاد الأمراء، تزهد وسافر في سياحات كثيرة، وصنف كتبا. من كلامه: (ليس شئ أضر بالمريد، من مسامحة النفس في ركوب الرخص).

(٢) في د "عملك".

وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى: حُسن الخلق: بسط الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى.

فصل في المعرفة وأقسامها:

اعلم أن المعرفة هي هداية من الله تعالى، وهي إما استدلالية، و إما شهودية ضرورية.

أما الاستدلالية، فنحو قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾(فصلت: ٥٣)ـ الآية ـ. وهي الدرجة للعلماء الراسخين في العلم، وهو الاستدلال بالآيات على خالقها لأن منهم من يرى الأشياء فيراه بالأشياء فهذه المعرفة على التحقيق إنما تحصل لمن انكشف له شيء من أمور الغيب حتى استدلَّ على الله تعالى بالآيات الظاهرة وبالآيات الغيبية؛ لأن الله تعالى خلق ظاهرَ العالم وباطنَه، ليكونا دليلين عليه تعالى، فمن اقتصر استدلاله بظاهر العالم دون باطنه، فلم يستدل بالدَّلِيْلَين، كالأنفس مَثَلًا. فإن النفس هي كلية الذات ظاهرًا وباطنًا، فمن استدلَّ بظاهرها دون باطنها، فما استدل بالدليل جملة، فتعطَّل استدلاله بباطن النفس. والدليل إذا كان مخلوطًا بالتعطيل فليس بدليل مطلقًا، مع أن الاستدلال بظاهر النفس يحصل بالاتفاق فاستغن بها عن ظاهر النفس.

فَاجْتَهِد في تهذيبِ الأخلاق، لينكشف لك كل شيء من الملكوت، قال النبي ﷺ:«لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات»[1] فإن من لم ينفتح باطنه بنور المعرفة والمشاهدة فهو أعمى، وإن كانت عيناه مفتوحتين، قال الله تعالى:﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾(الإسراء: ٧٢). فمن اشتغل بما لا يعينه لم يكن موافقًا لربه تعالى فلم يعرف لربه تعالى إذ هو واقفٌ مع حظ نفسه، فبَاعَدَهُ الربُّ تعالى وحَجَبَه عن مشاهدة أوصافه تعالى.

وأما المعرفة الشهودية الضرورية،[2] فدليلها قوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾ (فصلت: ٥٣) وهي درجة الصديقين، وهم أصحاب المشاهدات، وهو استدلال بنَاصِب الآيات على الآيات.

قال بعضُ المشايخ: رأيتُ اللهَ قَبلَ كلِّ شيءٍ، وهو عرفانُ الإيقان والإحسان، فعرفوا كل شيء به، لا أنهم عرفوه بشيء. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام:«يا داود أ تدري ما معرفتي؟ قال: لا، قال: حياة القلب في مشاهدتي».

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (١٤/ ٢٨٥، رقم: ٨٦٤٠) بلفظ: هذه الشياطِين يحرفون علَى أَعينِ بنِي آدم، أَن لا يتفكروا في ملكوت السماوات والأَرضِ، ولولا ذلك لرأَوا العجائب.

(٢)زيادة "التي عقيل بأول النظر من غير فكر" في د، ومج.

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي(١): ما أَغْبِطُ أَحَدًا إلا مَن عَرفَ مولاه تعالى، وأَشْتَهي أن لا أَمُوت حتى أَعْرِفَه مَعْرِفةَ العَارفين الَّذين يَسْتَجِيبُونَه، لا معرفةَ التصديق.

وقال الواسطي: المعرفةُ مَا شَاهَدتَه حِسًّا، والعِلْمُ مَا شَاهَدتَه خَبرًا.

وقيل: المعرفة اسم لعلم تقدَّمه غَفْلَةٌ و نُكرةٌ، ولهذا لا يصح إطلاقه على الله تعالى.

وقال سهل التستري رحمه الله تعالى: إنما سبيل العارف أن يُطَهِّرَ نفسه من الأدناس، ثم يُقرِّبها إلى الله بصحة القصد إليه بما أوجبه وألزمه من أوامره واجتناب عن نواهيه بالاقتداء فيهما بالسنة وحسن المراعاة بالأدب.

وقال ابن عطاء: من عامل الله تعالى على رؤية ما سبق منه إليه، لم يكن بعَجَب أن يمشي على الماء أو في الهواء، وكل أمر الله عجب ليس شيء منه عجبًا.

وسئل الشبلي عن المعرفة، فقال: إذا كنتَ بالله متعلقًا لا بأعمالك، غيرَ ناظر إلى سواه، فأنت كامل المعرفة.

وقيل: الرؤية في الآخرة، كالمعرفة في الدنيا، كما أن الله تعالى يُعْرَف في الدنيا من غير إدراك كذلك يُرَى في العُقبى من غير إدراك ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾(الأنعام: ١٠٣)

وقالوا: من لم يعرف الله تعالى فالسكوت عليه حتم، ومن عرف الله فالصمت له جزم، ولذلك قيل: من عرف الله كَلَّ لسانه.

قيل لبعضهم: ما غاية المعرفة؟ قال: الكينونة معه.

قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ: ألا من عرف الله عز وجل لم يكن له فاقةٌ ولا وحشة.

وقال بعضهم: لا يوصف بالمعرفة إلامن توالت على قلبه العلوم بمعلوم واحد ـ وهو الله تعالى ـ، فقلَّت غفلاتُه وظهرت عليه آثارُه وعلاماتُه.

وعن عُمَر ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال:«لكل شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين»(٢)، سمَّى هؤلاء العارفين.

---

(١) **أحمد بن عاصم الأنطاكي**: (١٤٠ – ٢٣٩هـ)الإمام القدوة، واعظ دمشق، أبو علي – أو – أبو عبد الله، من طبقة بشر الحافي وسري السقطي والحارث المحاسبي، ومن علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، كان أبو سليمان الداراني يسميه "جاسوس القلوب" لقوة فراسته.

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب، عن عمر وابنه (٢/ ١٢٩، رقم: ١٠٣٣، ١٠٣٤) والطبراني في المعجم الكبير، عن ابن عمر (١٢/ ٣٠٣، رقم: ١٣١٨٥)، قال الهيثمي (١٠/ ٢٦٨) : فيه محمد بن رجاء وهو ضعيف.

فصل في أصول الدين :

يجب على السالك أن يعرف أصولَ الدين ويقف عليها ليصح معرفته، وعبوديته، وعبادته، عن النبي ﷺ حكاية عن الله تعالى: «تورَّع تعرفني، وتجوَّع ترني، وتجرَّد تصل إلى معرفتي وعبوديتي وعبادتي»[1].

وأصول الدين: الإسلام، والاعتقاد، والإيمان، والإيقان، والمعرفة، والتوحيد.

فصل في الإسلام :

فإن قيل ما الإسلام؟ يقال: هو الذي قال رسول الله ﷺ:«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكوة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام»[2].

فإن قيل: ما حقيقة الإسلام؟ يقال: نورٌ مقذوف[3] في صدور المؤمنين، قال الله تعالى:﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾(الزمر: ٢٢).

فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ:«المسلم من سلم المسلمون بيده ولسانه»[4]؟ يقال: ـ والله أعلم ـ أراد به ثمرةَ الإسلام.

فصل في الاعتقاد الصحيح :

فإن قيل: ما الاعتقاد الصحيح؟ يقال: هو اتخاذ صورة العلم الراجح في القلب بوجود المغيبات.

فإن قيل: ماحقيقة الاعتقاد؟ يقال: نورٌ في قلبه، يدفع به ما يعرضه من الشكوك والريب.

فإن قيل: ما معنى صحة الاعتقاد؟ يقال: هو الخالي عن التعطيل، والإلحاد، والتشبيه، والتجسيم، والتكييف، والتنقيص، والحلول، والاتحاد، والإباحة. وهو الاعتقاد الذي كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم الذين إجماعهم حجةٌ في أصول الدين، بشهادة النبي ﷺ بعدالتهم بقوله عليه السلام:«خير القرون قرني الذي أنا فيه، ثم الذين يلونهم»[5]ـ الحديث ـ. فهذه هي العقيدة الصحيحة السليمة.

---

(١) لم أجده فيما لدي من المصادر.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ١١، رقم: ٨) و مسلم في الصحيح (١/ ٤٥، رقم:١٦).

(٣) "مقذوف" زيدت من د.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (١/ ١١، رقم:١٠) و مسلم في الصحيح (١/ ٦٥، رقم:٤١).

(٥) أخرجه البخاري في الصحيح (٥/ ٢، رقم: ٣٦٥٠) ومسلم في الصحيح (٤/ ١٩٦٣، رقم:٢٥٣٣) بلفظ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

فصل في العلم الراجح:

فإن قيل: ما العلم الراجح؟ يقال: الراجح[1] هو الاعتقاد الجازم المطابق.

فإن قيل: ما حقيقة هذا العلم؟ يقال: نورٌ إذا نزل في القلب ينفذ شعاعه إلى حيث المعلوم ويتعلق كما يتعلق نورالعين بالمرئي.

فإن قيل: ما مأخذ هذا العلم؟ يقال: مأخذه حضرة الإله، يُفِيض على قلب العبد في مشكاة النبوة، فيجذبه إلى الله تعالى أو إلى أمرالله أو إلى حكم الله.

وهو على مراتب، علم اليقين: وهو ما حصل عن نظر واستدلال. وعين اليقين: وهو ما حصل عن مشاهدة وعيان. وحق اليقين: وهو ما حصل عن العيان مع المباشرة.

الأول: كمن عَلِم بالعادة أن في البحر ماء، **والثاني**: كمن مشى و وقف على ساحله وعاينه، **والثالث**: كمن خاض فيه واغتسل وشرب منه.

فإن قيل: ما العلم اللَّدُنِّي الذي قال الله تعالى:﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾(الكهف: ٦٥)؟ يقال: العلم اللدني معرفة ذات الله وصفاته علمًا يقينًا عن مشاهدة وذوق ببصائر القلوب.

فإن قيل: بِمَ يُنَال العلمُ الصحيحُ؟ يقال: هو ثمرة الإيمان الصحيح[2] ، فما لم ينزل زائد الإيمان في منازل قلبه لا يتجلى علم اليقين في ساحة صدره.

فصل في الإيمان:

فإن قيل ما الإيمان؟ يقال: هو تصديق الرسول والرسالة والمرسِل في جميع ما جاء به.

فإن قيل: ما حقيقة الإيمان؟ يقال: هو نورٌ مقذوف في قلب المؤمن، قال الله تعالى:﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ (المجادلة: ٢٢).

فإن قيل: ما معنى قول النبي ﷺ: «المؤمن من يأمن جاره بوائقه»[3] ونحو ذلك، يقال: هو ثمرة الإيمان. وهو على نوعين:

[النوع الأول:][4] عطاء من الله تعالى، قال الله تعالى:﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾(المجادلة: ٢٢)

---

(١) "الراجح" زيدت من د.

(٢) في د، ومج "الصريح".

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح (١/ ٦٨، رقم: ٤٦) بلفظ: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه» والبخاري في الصحيح (٨/ ١٠، رقم: ٦٠١٦) ولفظه: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه».

(٤) زيدت من المحققين.

والنوع الثاني: كسب يكتسبه العبد يتقوى به[1] الإيمان العطائي؛ وهو شهادة أن لا إله إلا الله. والإيمان الكامل؛ هو الذي جمع بين التوحيد والتعظيم، فقوله تعالى:﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى:١١) توحيد، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرِ﴾(الشورى: ١١) تعظيم، والجمع بينهما إيمان كامل.

فصل في الكفر والنفاق:

فإن قيل: ما الكفروالنفاق؟ يقال: كل واحد منهما تكذيب الرسول والرسالة والمرسل في شيء مما جاء به، إما ظاهرًا وباطنًا، وإما باطنًا، قال الله تعالى:﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون﴾ (المنافقون:١).

فإن قيل: بم النجاة من الكفر والنفاق؟ الجواب: بأن يقول ويعتقد: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، بالحشر والنشر، والجنة والنار، وغيرذلك، وبأركان الإسلام، من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، ويعمل بما يجب عليه من أركان الإسلام، وبأن القرآن كله ـ السُّور والآيات ـ كلام الله، والكعبة قبلة الله، ودينه وشرائعه باقية إلى يوم القيامة، حتى لو أن اليهودي والنصراني أراد أن يسلم يجب عليه أن يقر بذلك كله، وأن يقول: وتبرَّأْتُ من اليهودية والنصرانية، بعد الشهادتين، فهكذا كل حكم من أحكام الإسلام نُقل إليه نقلًا متواترًا، لو ردَّه كفر كرد آية من القرآن، قال الله تعالى:﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ﴾(البقرة: ٢٥٦).

فصل في المعرفة:

قال الله تعالى في قصة خليل عليه السلام:﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّين﴾(الأنعام: ٧٧)، وروت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ عن النبي ﷺ أنه قال:«إِنَّ دِعَامَةَ الْبَيْتِ أَسَاسُهُ، وَإِنَّ دِعَامَةَ الدِّينِ الْمَعْرِفَةُ بِالله، وَالْيَقِينُ، وَالْعَقْلُ القامِعُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: بِأَبِي أنت وَأُمِّي، مَا الْعَقْلُ القامِعُ؟ قَالَ: الْكَفُّ عَنْ مَعَاصِي الله وَالْحِرْصُ عَلَى طَاعَةِ الله»[2].

اعلم أن له أصلًا وفرعًا، فالأصل هو معرفة الله تعالى مع سائر المعارف، وهومقدم على الفرع قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾(محمد: ١٩)قدم المعرفة على الاستغفارالذي هو الفرع، وقال تعالى: يا موسى ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾(طه: ١٤) قدم المعرفة على العبادة التي هي الفرع.

---

(١) في مج، وك، وخد "بتقوية"بدل "يتقوى به".

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس (٢/ ٢٢٢، رقم: ٣٠٧٧) وفيه «النَّافِعُ» بدل «القَّامِعُ».

فصل في تعريف المعرفة لغةً واصطلاحًا:

فإن قيل: ما المعرفة في اللغة؟ يقال: هو العِلم، وفي العرف اسم لعِلمٍ تقدمه نكرة، وفي عبارة الصوفية: المعرفة هو العلم الذي لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات الله تعالى وصفاته.

فإن قيل: هل يجوز إطلاق المعرفة على الله تعالى؟ يقال: لا يجوز ذلك، فلا يسمّى الحق سبحانه عارفًا ولا يسمّى علمه معرفة؛ لأن المعرفة في وضع أهل اللغة اسم لعلم كان بعد أن لم يكن وعلم الله تعالى لم يزل كائنًا قديمًا.

فإن قيل: ما معرفة الذات وما معرفة الصفات؟ يقال: معرفة الذات أن يعلم أن الله تعالى موجود، وواحد، وفرد، وذات، وشيء، وقائم بنفسه، ولا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء. وأما معرفة الصفات فأن يعرف الله تعالى حيًّا، عالمًا، قديرًا، سميعًا، بصيرًا، مريدًا، متكلمًا إلى غير ذلك من الصفات.

فإن قيل: ما سِرُّ المعرفة؟

يقال: سرها وروحها: التوحيد، وذلك بأن ينزه حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه بصفات الخلق.

فإن قيل: ما علامة المعرفة؟ يقال: حياة القلب مع الله تعالى، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود أ تدري ما معرفتي؟ قال: لا، قال تعالى: حياة القلب في مشاهدتي.

فإن قيل: فأي معرفة أقوى؟ يقال: المعرفة الشهودية.

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أشتهي أن لا أموت حتى أعرفه معرفةَ العارفين الذين يستجيبونه لا معرفةَ التصديق.

فإن قيل: ففي أي مقام تصح المعرفة الحقيقية؟ يقال: في مقام الرؤية والمشاهدة بسر القلب، وإنما يري ليعرف؛ لأن المعرفة في باطن الإراءة فيرفع الله تعالى بعض الحجب فيريهم نور ذاته تعالى وصفاته عز وجل من وراء الحجاب ليعرفه تعالى، ولا يرفع الحجاب بالكلية كيلا يحترقوا، قال بعضهم بلسان الحال:

ولو أني ظهرت بلا حجاب	لقد مات[1] الخلائق أجمعينا
ولكن الحجاب لطيف معنى	به يحيا قلوب العاشقينا

فإن قيل: وما الدليل على أن الله يسمى شيئًا عظيمًا؟

(١) في خد، وك "لنميت".

يقال: قوله تعالى:﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ﴾(الأنعام: ١٩) يعني قل الله شيء أكبر شهادة، وقوله تعالى:﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون﴾(الطور: ٣٥) أي من غير خالق.

وقال الغزالي ـ رحمه الله ـ: ربما يتوهم أنه لا يخلق شيء إلا من شيء، وليس كذلك بل من غير شيء، أي من غير خالق.

والشيء في اللغة هو الموجود، والله تعالى موجود، فالله تعالى شيء[1] أكبر، وإنما كبره تعالى بأن ليس له نهاية، لا في الذات ولا في الصفات.

فصل في التوحيد:

فإن قيل: ما التوحيد؟ يقال: التوحيد في اللغة جعل الأشياء شيئًا واحدًا، وفي عبارة العلماء: اعتقاد وحدانية الله تعالى، وعند الصوفية: معرفة وحدانية الله تعالى.

فإن قيل: ما أصل التوحيد؟ يقال: التوحيد إثبات ما لم يزل، وإسقاط ما لم يكن.

قال رجل للجنيد: صف الباري تعالى فقال: هو بلا هو، ولا هو إلا هو، فزعق الرجل زعقة، فخرَّ ميتًا، فقال الجنيد: كم أجتهد أن لا أتكلم في التوحيد بلسان التجريد.

وقال بعضهم: التوحيد تمييز الحدوث عن القدم والإعراض عن الحدوث والإقبال على القدم، حتى لا يشهد نفسه[2] فضلًا عن غيره؛ لأنه لو شهد نفسه في حال توحيد الحق سبحانه وتعالى لكان مُثَنِّيًا لا مُوحِّدًا.

فإن قيل: ما معنى توحيد العبد للحق سبحانه وتعالى؟ فإن الله تعالى كان واحدًا في أزله وما كان معه غيره، كما في حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ:«كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»[3]، ثم كتب جل ثناؤه في الذكر كل شيء يحدث، فإذا كان الله تعالى قبل الخلق واحدًا، وتوحيده ثابتا، وما كان ثمة شيء غيره، فكيف وحّده العبد؟

يقال: معنى توحيد العبد للحق تعالى معرفة الوحدانية الثابتة له تعالى، وذلك بأن لم يحضره في شهوده غير الواحد ـ جل جلاله ـ، وتوحيد الموحد لم يفد للحق تعالى صفة الوحدانية، وإنما أفاد صفة الموحدية، والحق سبحانه وتعالى وراء كل توحيد، قائم بذاته، موصوف بصفاته، غني عن غيره، فتوحيد العبد للحق سبحانه وتعالى: معرفة تنزيهه وتعظيمه على موافقة الكتاب والسنة.

---

(١) إذ الشيء اسم لكل موجود عندنا خلافًا للمعتزلة، إذ الشيء عندهم اسمٌ لموجودٍ ومعدومٍ. ولا شكَّ أن الله تعالى موجودٌ فيجوز عليه إطلاق الشيء. (مجمع السلوك، ك ٥٦٦)

(٢) في خد، وك "لنفسه".

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٤، رقم: ٧٤١٨). في ك "ولم يكن معه شيء غيره" بزيادة "معه".

وذلك علمه بأن الله تعالى واحد في ذاته ولا يشبهه شيء، وواحد في صفاته وأفعاله لا يشاركه فيها أحد، وأنه تعالى ليس في مكان الخلق ولا في زمانهم، فلا يشبهه زماني ولا مكاني فإنه تعالى أعظم وأكبر من أن يحيط به العلم والوهم والفهم، قال الله تعالى:﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾(طه: ١١٠) و ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾(الشورى: ١١).

فإن قلت: متى؟ فقد سبق الوقت وجوده. وإن قلت: كيف؟ فقد احتجب عن الوصف ذاته. وإن قلت: أينما؟ فقد تقدم هو على المكان.

فإن قيل ما حقيقة التوحيد؟ يقال: نور به يشاهد السر وجود من لم يزل كائنًا وعدم ما لم يكن، وهذا التوحيد وراء التوحيد بعبارة العلم، فإن العلم لا يمحو الشرك ولا يمحو الغير، إذ ليس الخبر كالمعاينة، ومن لقي ربه تعالى موحدا عادت سيآته حسناته، ومن وحّد الله تعالى صدقًا من قلبه حرمه الله على النار، كما تواترت به الأخبار.

فصل في دلائل التوحيد:

قال الله تعالى:﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾(آل عمران: ١٨)، وقال الله تعالى:﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ (البقرة: ١٦٣)، وقال الله تعالى:﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾(طه: ١٤)، وقال الله تعالى:﴿لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾(النحل: ٥١)، وقال الله تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾(الإخلاص: ١) ، وقال تعالى:﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾(النمل: ٦٠)، وقال تعالى:﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾(فاطر: ٣)، وقال تعالى:﴿اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(الرعد: ١٦)، وقال تعالى:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾محمد: ١٩)، وقال النبي ﷺ «كفى بالتوحيد عبادة، وكفى بالجنة ثوابًا»(١).

اعلم أن دلائل وحدانية الله تعالى كثيرة، وأظهرها أربعة:

الأول: الخَلق، والثاني: التربية، والثالث: الإماتة، والرابع: الإحياء، قال الله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾(الروم: ٤٠).

اعلم أن الوحدانية من أخص صفات الحق سبحانه وتعالى، ولهذا اتفقت أقاويل أهل الحق من أئمة الهدى وعلماء الصوفية، وصحت عقائدهم في التوحيد، من غير تشبيه ولا تعطيل، وذلك بأن يفرد الحق سبحانه وتعالى من كل شيء سواه، حتى لا يشهد نفسه فضلًا عن غيره، وعند الصوفية ترك التوحيد إلى الله تعالى في التوحيد توحيدٌ، والتوجه إلى غير الله تشبيه، فَافْهَم.

---

(١) لم نجده في حديث الرسول ﷺ، ولكن نقله بعض المفسرين موقوفا على أبي بكر رضي الله عنه نحو أبي العباس الشاذلي الفاسي في البحر المديد تحت الآية {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢] (١/ ١٨٩).

فصل في اليقين:

فإن قيل: ما اليقين؟ يقال: هو عبارة عن ظهور نور الحقيقة في المؤقن، في حال كشف أستار البشرية، بشاهد الوجد والذوق، لا بدلالة العقل والنقل، قال علي ـ كرَّم اللهُ وجهَه ـ: لوكشِفَ الغطاءُ ما ازددتُّ يقينًا، معناه إنما يزداد وضوحًا ومشاهدة.

فإن قيل: نور الإيمان واليقين نور واحد أو هما نوران؟، يقال: الإيمان نور من وراء الحجاب، قال الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾(البقرة: ٣)، واليقين نور عند كشف الحجاب، وبالحقيقة هما نور واحد، غير أنه إذا كان من وراء الحجاب يقال له: نور الإيمان، وإذا باشر ذلك النور قلب المؤمن عند رفع الحجاب صار يقينا، مثل الإيمان كنسبة الفجر إلى الشمس، فقد ذهب جزء من سواد الليل، ولم تطلع الشمس بعد، ومثال اليقين طلوع الشمس حيث زالت الظلمة بالكلية.

اعلم أن الإيمان أصل اليقين، وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فروعه، بعضها أبلغ من بعض، وقد جاء في الخبر: الإِيْمَانُ يَقِيْنٌ كُلُّهُ[1].

وعلم اليقين إدراك المعاني وفهم الكلمات من الله تعالى بالتعليم الإلهي والتفهيم الرباني، قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾(الأنبياء: ٧٩) وهو علم الرحمة، قال الله تعالى:﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا﴾ (الكهف: ٦٥) أي نورًا وبصيرةً، وهو علم الشفقة على الخلق، به خَرَق سفينةَ المساكين، وقَتَل الغلام، وأَقَام الجدار.

فمن صحَّ علمه صحَّت عقيدته، ومن صحت عقيدته صح إيمانه، ومن صح إيمانه صحت معرفته، ومن صحت معرفته صح توحيده، ومن صح توحيده في الدنيا صحت رؤيته في الآخرة. واليقين عافية القلب من مرض الجهل والشك، فعافية القلب أعلى من عافية البدن.

وقال بعضهم: الفرق بين الإيمان واليقين، كالفرق بين الأعمى والبصير، إذا أخبر بطلوع الشمس، فالبصير ينظرها والأعمى لا يشاهدها لكن ثبت عنده وجودها بتواتر الأخبار.

فصل في العبادة:

فإن قيل: ما العبادة؟ يقال: هي على ثلاث مراتب:

١- منهم من يعبد الله للثواب والعقاب، وهذا هو العبادة المشهورة.

٢- ومنهم من يعبده لينال بعبادته شرف الانتساب، كما قال قائلُهم:

لا تَدْعُني إلا بيَا عبدَها   فإنه أشرف أسمائي

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١/ ١٠) بلفظ: اليقين الإيمان كله.

وهذا يسميه بعضهم: عبودية.

٣-ومنهم من يعبده إجلالًا وهيبةً، وحياءً منه ومحبةً له تعالى، وهذه هي الرتبة العالية، ويسمى هذه في اصطلاح بعضهم عبودة، فالعبودة أعلى من العبودية، والعبودية أعلى من العبادة.

فالعبادة محلها البدن، فهي إقامة الأمر، والعبودية محلها الروح، وهي الرضا بالحكم، والعبودة محلها السر، وهي عبادة في الأحوال. فالعبادة أصل، والعبودية فرع، ولا فرع بدون الأصل، والعبادة والعبودية مجاهدة، والعبودة هداية، [كما قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ](١): ﴿ **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾(الصافات: ٩٩).

قيل: كان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يعبد الله إجلالًا وتعظيمًا، وهو المشار إليه بقوله عليه السلام:«لم يفضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره».(٢) وكان عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ يعبده خوفًا وهيبةً؛ ولذلك كان مهيبًا، ومن خاف الله خافه كل شيء، وقال النبي ﷺ:«إن الشيطان ليفر من ظل عمر».(٣) وكان عثمان رضي الله عنه يعبده حياءً، وقال عليه السلام:«أَلَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ تَسْتَحْيِي مِنْهُ مَلَائِكَةُ السَّماءِ».(٤) وكان علي ـ كرم الله تعالى وجهه ـ يعبده محبةً، وفيه نزل قوله تعالى:﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(الإنسان: ٨).

فمن كان في رتبة العبودية كانت رؤية الله تعالى له في المخالفة أشد عليه من العقوبة، لعلمه أنه لم يقع في المخالفة إلا وقد حُجِب عن المشاهدة.

---

(١) زيدت من المحققين.

(٢) قال العراقي: لا أصل لهذا مرفوعاً، وإنما يعرف من قول بكر بن عبد الله المزني، رواه الحكيم الترمذي في نوادره. قلت: وبكر ثقة سمع من ابن عباس وابن عمر، وعزاه ابن القيم إلى أبي بكر بن عياش من قوله، ولفظه: (ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه). (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ١/ ١٠٦ رقم: ٨٥)

(٣) روى أبو بكر الكلاباذي البخاري (المتوفى: ٣٨٠هـ) في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخبار (ص:١٠٣) بلفظ: «إن الشيطان ليفرق من ظل عمر». والترمذي عن أبي بريدة في سننه (٥/ ٦٢٠، ٦٢١ رقم: ٣٦٩٠، ٣٦٩١) بلفظ: « إن الشيطان ليخاف منك يا عمر» وعن عائشة بلفظ: «إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر» والبخاري في صحيحه (٤/ ١٢٦ رقم: ٣٢٩٤) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٣ رقم: ٢٣٩٦) عن عمر «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك»

(٤) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري (١/ ٥٣٨، رقم: ٥١٤) ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه (٤/ ١٨٦٦، رقم:٢٤٠١)

فصل في الحق والحقيقة:

فإن قيل: ما الحق وما الحقيقة؟ يقال: أما الحق في اللغة فهو الكائن الثابت، فالحق الكائن الثابت الموجود الدائم النافع الضار الذي وسعت رحمته كل شيء وهو الله تعالى، فاستعمال الحق لله تعالى حقيقة ولغيره مجاز، ووجوده تعالى ذاتي ووجود غيره بإيجاد الله تعالى إياه، وكان الوجود الثابت له تعالى خاصة اسمًا خاصًا لذاته تعالى، يدل على ذلك قول الله تعالى:﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾ (يونس: ٣٢)،وقول النبي ﷺ:«أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ»[1]

فإذا كان ما خلا الله باطلًا لزم أن لا يكون الحق إلا الله تعالى؛ لأن الحق عكس الباطل، قال الله تعالى:﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ (الأنبياء: ١٨).

فأما الحقيقة في اللغة فهي الدراية، أعني العلم. وفي عبارة أهل الأصول: المراد بحقيقة اللفظ ما وُضِع له اللفظ، يعني اصطلحوا على أنهم متى استعملوا هذا اللفظ عنوا به هذا المعنى، ثم هذا الاصطلاح إن صدر من أهل اللغة فهي حقيقة لغوية، وإن صدر عن الشرع فهي حقيقة شرعية، وإن انتقل عن الوضع الأصلي بغلبة الاستعمال لا من جهة الشرع فهي حقيقة عُرفية، مثال الحقيقة اللغوية: لفظ الرجل والمرأة، ومثال الشرعية: لفظ الصلاة والزكاة والإيمان والكفر، ومثال العرفية: لفظ الدابة لكل ما يدب، ثم خصها العرب ببعض البهائم.

فصل في الحق والحقيقة في اصطلاح الصوفية:

وأما الحق والحقيقة في اصطلاح مشايخ الصوفية فالحق هو الذات، والحقيقة هي الصفات. فالحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات، ثم إنهم إذا أطلقوا ذلك فإنما أرادوا به ذات الله تعالى وصفاته عز وجل خاصة. وذلك لأن المريد إذا ترك الدنيا وتجاوز عن حدود النفس والهوى، ودخل في عالم الإحسان، يقولون: دخل في عالم الحقيقة، ووصل إلى مقام الحقائق، وإن كان بعد في عالم الصفات والأسماء، ومهما وصل إلى نور الذات، يقولون: وصل إلى الحق. وقلما يستعملون ذلك في ذوات أخرى وفي صفاتهم؛ لأن مقصودهم الكلي هو التوحيد.

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال:«لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ»[2] معناه لكل ذات صفة خاصة، هي صفة الذات، وقال النبي ﷺ للحارثة[1] حيث قال: أصبحتُ مؤمنًا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٣٥، رقم:٦١٤٧) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٨، رقم: ٢٢٥٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده عن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه (٤٥/ ٤٨٢ رقم: ٢٧٤٩٠).

حقًّا، قال عليه السلام: «إن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟»[2] ـ الحديث ـ، وإنما طلب النبي ﷺ منه بذلك الوصف الخاص اللازم للإيمان الكامل التام، والحارثة أجاب عن ذلك وأصاب.

وأما حق اليقين فهو الله تعالى وما سواه لا يكون حق اليقين إلا مجازًا، وعند الصوفية مشهور أنهم يقولون: كل بالله، وكل من الله، وكل إلى الله، وكل لله.

باب في الوصية:

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾(المائدة: ٢)، وقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣)، وقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾(البلد: ١٧)، وقال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»[3] ـ الحديث ـ.

اعلم أن قرب الوصال من الله تعالى إنما يرجى بالعلم الراجح، والعمل الصالح، وذلك في كتاب الله تعالى، فإن القرآن هو الإمام في الاعتقاد والإيمان والأعمال والأحوال والإيقان والتوحيد والمعرفة، وقد مر ذكر المعارف.

فأما الأعمال فإنما صحتها بالعلم الراجح، وأما الأحوال فإنما هي مواريث الأعمال، وأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صوابًا خالصًا، فالصواب: ما كان على وفق الشريعة المطهرة، والخالص ما أريد به وجه الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(البينة: ٥).

وإنما يتقبل العمل إذا كان مقرونا بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾(المائدة: ٢٧)، وإنما النجاة في التقوى، قال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾(الزمر: ٦١)، والتقوى والإيمان على درجات بعضها فوق بعض، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(المائدة: ٩٣).

فالله تعالى أثبت الإيمان في هذه الآية على ثلاث درجات ثم جعل الدرجة الرابعة إحسانًا، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهذه الدرجة الأولى في الإيمان، حيث سمّاهم مؤمنين، ثم قال تعالى: ﴿إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾فهذه درجة ثانية في الإيمان، وهي أعلى من الأولى وضم إليه التقوى والأعمال الصالحات، وبعد ذلك قال: ﴿ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ﴾ فهذه درجة ثالثة، ومعها

---

(١) **الحارثة**: الحارث بن مالك. وقيل: حارثة الأنصاري، صحابي، روى عنه عبد الكريم بن الحارث الخضرمي، ومحمد بن أبي الجهم العدوي.

(٢) سبق تخريجه في " فصل في أن من كرامات الأولياء أن يصير الإيمان الغيبي إيمانًا شهوديًا".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤، رقم: ٥٥) وفي خد سقط الحديث والآيتان المذكورتان أيضًا.

التقوى أيضًا، وبعد ذلك قال:﴿ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾.فالإيمان الأول بلا تقوى وهو مجرد كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" مع قبول الشرائع، والثاني: الإيمان مع العمل بالشرائع، فهذا الإيمان يزيد على الأول إذ معه التقوى من المحرمات مع الأخذ بالرخص والتأويلات، والإيمان الثالث في الدرجة الثالثة ومعه التقوى أيضًا، وهو الاحتراز عن الشبهات والأخذ بالعزائم والحذر عن الرخص والتأويلات، ثم الدرجة الرابعة عالم الإحسان فوق الإيمان بالغيب، وهذا عالم الإيقان بواسطة المشاهدات، وفي تلك الدرجة أثبت التقوى أيضًا، وهو التقوى عن كل شيء سوى الله.

فصل في الوصال:

فهذا الكتاب طريق به يرجى الوصال إلى الله تعالى ومواصلته بتأثير أنواره في قلب العارف، والوصول نظر الله تعالى إلى قلب عبده بنور من أنواره، وذلك النور الذي ظهر إلى العبد لم يفارق الحق سبحانه، لأنه صفة من صفاته، وقد وجده العبد فينظره بقوة نور الحق، إذ ليس من طوق البشر الاتصافُ بصفات الله تعالى إذ لا يحمل[1] عطاياه إلا مطاياه.

اعلم أن معنى الوصال هو الرؤية والمشاهدة، بسر القلب في الدنيا، وبعين الرأس في الآخرة ـ إن شاءالله تعالى ـ. وليس معنى الوصال اتصال الذات بالذات ـ تعالى الله عن ذلك ـ، قال بعضهم:

وإنّ طرفي موصول برؤيته   وإن تباعد عن مثواي مثواه

وإنما يراه في الآخرة بلا كيف، كما يعلمه ويعتقده ويوحده ويعرفه ويؤمن به في الدنيا بلا كيف، وإنما يصح رؤيته في الآخرة إذا صح إيمانه في الدنيا، وإن لم يصح إيمانه فلا يراه قط.

فصل في أركان الوصال:

ومن أركان الوصال بعد معرفة الأصول هو التقوى في جميع المقامات، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(البقرة: ١٩٧)، والتقوى لباس القلوب من نزغات الشيطان، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (الأعراف: ٢٦)، وقال الله تعالى:﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾(الفتح: ٢٦)، وهو قول: لا إله إلا لله.

ومنها الصدق، وهو من ميراث[2] التقوى، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧). والعلم الذي أنزله الله في الكتاب، إنما ذلك هداية للمتقين، قال الله

(١) في مج، وك "لا تحمل".
(٢) في د "ثمرات".

تعالى:﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة: ٢)، وأمر الله تعالى بفهم العلم بالتقوى، قال الله تعالى:﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ﴾(البقرة: ١٩٤)، وقال الله تعالى:﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ﴾(البقرة: ٢٨٢).

وأن الله قرن جميع الأعمال والأقوال بالتقوى، قال الله تعالى:﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ﴾(الأنعام: ٧٢) ، وقال الله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة: ١٨٣)، وقال الله تعالى في الحج:﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(البقرة: ١٩٧)، وقال الله تعالى:﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾(الحج: ٣٧)، وقال الله تعالى في الجهاد:﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(آل عمران: ١٢٣)، وقال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(آل عمران: ١٧٢)، وقال الله تعالى:﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(البقرة: ٢٣٧) ، قال الله تعالى: ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(المائدة: ٨)، وقال الله تعالى:﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾(المائدة: ٨٨)، وقال الله تعالى:﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ﴾(الأنفال: ٦٩)، وقال الله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(البقرة: ٢٧٨)، وقال الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(الحجرات: ٣)، وقال الله تعالى:﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(الطلاق: ٣)، وقال الله تعالى:﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾(الطلاق: ٤)، وقال الله تعالى:﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾(الطلاق: ٥)، وقال الله تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللّهَ وَاسْمَعُواْ﴾(المائدة: ١٠٨)، وقال الله تعالى:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات: ١٣)، وقال الله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(آل عمران: ١٠٢)، وقال الله تعالى:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾(التغابن: ١٦).

وإن الله تعالى خصَّ بالولاية والمحبة المؤمنين المتقين، قال الله تعالى:﴿وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران: ٦٨)، وقال الله تعالى:﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾(البقرة: ٢٥٧)، وقال الله تعالى:﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(آل عمران: ١٤٦)[1]، ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(التوبة: ٤)، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(المائدة: ١٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[2](التوبة: ١٠٨) وقال الله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقال الله تعالى:﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الأنفال:

(١) في جميع النسخ "إن الله يحب الصابرين".

(٢) أو تكون الآية: ﴿إِنَّ اللهّ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِين﴾ (البقرة: ٢٢٢) فإن في جميع النسخ "إن الله يحب المتطهرين".

١٩)، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة: ١٥٣)،﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(العنكبوت: ٦٩)، وقال الله تعالى:﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾(الأنفال: ٣٤).

وهذا النظم يفيد الحصر، أي لا يكون وليًا إلا تقيًا.[١] فكل ذلك وغيره مما في القرآن يدل على أن معظم الأركان في الإسلام التقوى، انظر إلى حال المستدرجين إبليس وبلعام و برصيصا مع كمال حالاتهم وكراماتهم لما أهملوا التقوى واتبعوا الهوى، كيف سقطوا عن درجاتهم.

لوكان في العلم من دون التقى شرف　　　لكان أشرف خلق الله إبليس

فطوبى للعاقل[٢] المتقي الذي يختار الباقي ويذر الفاني، ويجتنب صحبة من لم يصحبه التقوى قولًا وفعلًا و أكلًا ولباسًا.

والمتقي لما عرف أن مصاحبة القرين السوء نقصٌ في الدنيا وفضيحة في الآخرة، هرب فارا إلى الله، قال الله تعالى:﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾(الذاريات: ٥٠)، وقال الله تعالى:﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾(الزخرف: ٦٧)، كيلا يقول يوم القيامة:﴿يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾(الفرقان: ٢٨)،﴿يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾(الزخرف: ٣٨)، وسوء القرناء هم الذين قال الله تعالى:﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ٣٢)، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(الشورى: ٤٠)[٣]،﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾(النحل: ٢٣)[٤]،﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(القصص:٧٧)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(الأنفال: ٥٨)، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأنعام: ١٤١)[٥]، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(البقرة: ١٩٠).

باب في شيء من واقعات أهل الخلوة:

قال الله تعالى:﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾(يوسف: ٤).

وقال النبي ﷺ:« الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[٦].

اعلم أن السالك إذا شرع في المجاهدة، ورياضة النفس، وتزكيتها وتصفية القلب ومراقبته، يحصل له العبور على عالم الملك والملكوت، ففي كل مقام يناسب حاله يُكشَف له الوقائع، وقد

(١) في مج، ور "أولياء إلا الأتقياء".

(٢) في د "العالم".

(٣) في جميع النسخ "إن الله لا يحب الظالمين".

(٤) في جميع النسخ "إن الله لا يحب المتكبرين".

(٥) في جميع النسخ "إن الله لا يحب المسرفين".

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٣١، رقم: ٦٩٨٩) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٧٤، رقم: ٢٢٦٤).

يكون كشف حاله في صورة منام[1] صالح، وقد يكون واقعة، فالذي يتفق له في أثناء الذكر واستغراق حاله مع الله تعالى بحيث يغيب عنه المحسوسات، فيكاشفه ببعض أمور حقائق الغيب، وهو بين النوم واليقظة، فالصوفية تسمي مثل ذلك: الواقعة، وإذا اتفق هذا الحال في اليقظة والحضور فهو المكاشفة، والمنام قد يكون صدقًا وقد يكون كذبًا.

وأما المكاشفة فلا يكون إلا صدقًا، لأنها من إراءة الحق سبحانه وتعالى في حال تجرد الروح عن غشاوة البدن، وفي أكثر المقامات يشارك النفس مع الروح، والصدق صفة الروح، والكذب صفة النفس المحجوبة، فالصدق مِدْرَكُهُ الروح، والكذب مِدْرَكه النفس[2].

والرؤياء الصادقة جزء من النبوة، وروت عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ:«أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ».[3]

وإذا رأى المريد في الواقعة أنه يحارب مع السباع والبهائم أو يقاتل مع الحَيَّات والعَقارب أو يجادل مع الكفار و الملاحدة[4]، فالشيخ يعرف أنه في مجاهدة النفس، ويأمره بالصدق والثبات على المجاهدة كيلا يَغْفُل عن مكر النفس.

فصل في العناصر الأر بعة وصفاتها اللازمة:

الأجزاء الأربعة من التراب والماء والهواء والنار، لكل واحد منها صفات تلزمه، فلازم الجزء الترابي: الكثافةُ والكدورةُ والظلمةُ والجهالةُ والثقالةُ والقساوةُ، فإذا شرع الخلوتي في المجاهدة يتبدل ذلك باللطافة والصفاء، فعند العبور على الصفة الترابية[5] يرى كأنه يقطع المفاوز والفلوات والأخربة.

وأما لازم الجزء المائي فرغبته[6] الاختلاطُ والامتزاجُ مع النفوس، وقبول التأثر والتلون منهم، والنسيان، والميل إلى النوم، فعند عبوره على الجزء المائي يرى الأنهار والبحار والحياض والخضرة.

---

(١) في مج، ود "مقام".

(٢) في ك "مُدْرَكُ" مكان "مِدْرَكه" في الموضعين.

(٣) سبق تخريجه في " فصل في أن الخلوة مستحبة عندفساد الزمان".

(٤)"أو" في الموضعين زيد من د بدل "و".

(٥) في د، ومج "التربي".

(٦) في ك، ومج "فرغبه".

وأما لازم الجزء الهوائي فالميلُ إلى الشهوات وكثرةُ الملالة والضجرة وسرعةُ التغير من حال إلى حال، فعند عبوره على الجزء الهوائي يرى كأنه يطير في الهواء ويعدو ويتصاعد.[١]

وأما لازم الجزء الناري فالغضبُ والكِبْرُ والاستعلاءُ وطلبُ الجاه والرياسة والرفعة، فعند العبورعلى الجزء الناري يرى السراج والمشعلة والبروق والأشياء المحرقة.

وآخر العناصرالجزء الناري، ويمكن أن يقال هذا الحديث،[٢] قال النبي ﷺ:«آخر ما يخرج من رءوس الصديقين حب الجاه والرياسة»[٣]، إشارة إلى إخلاص الصديقين من لوازم الجزء الناري لاستعلائها على النفوس غالبًا.

فصل في مكاشفات السالك المجاهد:

إذا كوشف بحقيقة الروح يرى ذلك في صورة الشمس، وإذا كوشف بحقيقة القلب يرى ذلك في صورة القمر، وإذا تجلى له صفات القلب يرى ذلك في صورة الكواكب، وفي هذا القسم يمكن مداخلة الكذب، ولكن لا سبيل لمحض الكذب فيه، لأنه لا يخلو من إدراك الروح، فينبغي للمعبِّر والمؤوِّل أن يخلص حقائق المدركات الروحانية من شوائب الخواطر النفسانية، ثم يعبر ويؤوِّل، وأما الخيال المجرد فهو الخواص النفسانية[٤]والقوة المتخيلة تكسو كل واحد صورة الخيال، وتعرضه على النفس فتشاهد صورة تلك الخواطر بعينها، مثل شخص مرتاض داعية قبول الخلق باعثة له على الرياضة فيرى في الواقعة أنه مسجود الخلائق، فيعرف المعبر أو الشيخ أن تلك نتيجة اشتياق النفس هواها، يصور لرأيها[٥] لا جرم لا يعبره المعبر، ويعده من قبيل الخيال الباطل.

وإذا وقع هذا النوع في المنام يقال له أضغاث أحلام، وإذا كان في الواقعة يكون الواقعة كاذبة، ولا يكون في مثل هذا صدق.

فصل في عالم الغيب مما يمكن ظهوره في عالم الشهادة و مما لا يمكن ظهوره فيه:

أما الذي في عالم الغيب فإما ظهوره لا يمكن في عالم الشهادة مثل الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم، وإما ظهوره يمكن في عالم الشهادة بصورة عارضة مثل الملائكة

---

(١) هذه القطعة أعني من" وأما لازم الجزء الهوائي" .. إلى " ويعدو ويتصاعد" ساقطة في د.

(٢) في د، ومج زيادة "الذي".

(٣) لا أصل له من حديث الرسول ﷺ، مع أنه موجود في كتب الصوفية كالإحياء للغزالي من حيث أقوال المشايخ.

(٤) في د " ثم يعبر........ النفسانية" ساقطة.

(٥) في د، ومج "في هواها" بزيادة حرف الجار، وفي خد، وك "لذاتها" بدل "لرأيها".

والأرواح المجردة، كظهور جبرئيل عليه السلام كلما جاء إلى النبي ﷺ تمثل حاضرًا[1] بصورة البشر، بصورة دحية الكلبي أو بصورة أعرابي، كما رأى من كان حاضرًا في ذلك المجلس في تلك الصورة، ما كانت نتيجة تصرف القوة المتخيلة وإلا لكان كل واحد يشاهد ذلك بحسب اختلاف أحوالهم بصفة أخرى، ولا شك أن تمثل الملائكة والأرواح المجردة بصورة البشر في عالم الشهادة إنما كان ذلك بصورةعارضة، فأما حضورهم ومشاهدتهم بصور ذواتهم لا يكون إلا في عالم الغيب، وهذا التمثل من قوة تصرف الروحانيات في عالم الصور يتمثل ذلك بكل صورة[2] يريد من صور البشر.

ومن المكاشفات ما يكون إدراكه في عالم الشهادة، مثل المسجد الأقصى رآه النبي ﷺ من مكة، لما رجع من المعراج وأخبرهم، فأنكر كفار مكة ذلك، حتى سألوا قالوا: إن كنتَ صادقًا فقل عمد المسجد الأقصى كم هي؟ ففي الحال ارتفع الحجاب عن نظره، وعدّ عمده كلها.[3]

وكذا سألوه عن القافلة بجانب الشام، فقال: «القافلة بينهم وبين مكة منزل واحد»[4]، فوصل القافلة ثاني اليوم على الصباح.

ومثل ما قال أبو بكر رضي الله عنه: ألقي في روعي أن ذا بطن بنتِ خارجةٍ جاريةٌ[5]، فولدت جارية،[6] ومثل خبر سارية[7] أمّره عمر رضي الله عنه على جيش، ووجهه إلى نَهَاوَند[8]، فلما لقي العدو بها، وافق اللقاء يوم الجمعة، عندما كان عمر رضي الله تعالى عنه يخطب على المنبر، وقد كمن طائفة من العدو وراء الجبل، فنادى: يا ساريةُ الجبلَ، فسمع سارية النداء وأشرف وراء الجبل فاستأصل الكمين.[9] ومثل ذلك في واقعات المشايخ كثير مشهور.

---

(١) في د "حاضر".

(٢) في خد "يتمثل في كل صورة" وفي ك "يتمثل بكل صورة" بدون "ذلك".

(٣)أخرجه البخاري في الصحيح (٥/ ٥٢، رقم: ٣٨٨٦) بلفظ: «لما كذبتني قريش، قمت في الحجر، فجلا الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»، ومسلم في الصحيح (١/ ١٥٦، رقم: ١٧٠).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٢٨٤، رقم: ٧١٤٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام (١/ ٢٤٣)، والبيهقى في دلائل النبوة (٢/ ٣٥٧) وقال: هذا إسناد صحيح. ورواه الأصبهاني في دلائل النبوة (ص: ١٤٤).

(٥) في خد، وك "ذات بطن بنت خارجة" وبدون "جارية".

(٦) رواه مالك فى الموطأ، كتاب الأقضية، باب ما لا يجوز من النحل (٢/ ٧٥٢).

(٧) سارية بن زنيم الدئلي الكناني صحابي مخضرم شهد الجاهلية والإسلام.

(٨) مدينة من مدن إيران.

(٩) في خد "أهل الكمين" والواقعة رواها أبو بكر بن خلاد في الفوائد (ص:٥٦)، وأبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين في التصوف (ص:٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٣٧٠)، ابن عساكر في تأريخ دمشق (٢٠/ ٢٥)، والضياء في

فصل في فائدة الواقعة للسالك:

فائدة الواقعة للسالك ليقف على صلاح النفس وفسادها وترقي حالها ونقصانها في السير والسلوك، وتكون سبب السكينة، قال الله:﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(الفتح: ٤)، وليفرق بين الحق والباطل وبين الوقائع النفسانية والشيطانية والحيوانية والسبعية والملكية والقلبية والروحية والرحمانية، حتى إذا غلب على النفس الصفات الذميمة، مثل الحرص والبخل والحسد والحقد والكبر والغضب والعجب(١) والشهوة وغيرها، فالخيال يصور كل واحد من هذه الصفات في صورة حيوان تكون تلك الصفة غالبة على ذلك الحيوان، فصفة الحرص ترى في صورة الفار والنمل، وصفة الشر في صورة الخنزير، وصفة العُجب في صورة الذب، وصفة البخل في صورة الكلب والقرد، وصفة الحقد في صورة الحية، وصفة الكبر في صورة النمر، وصفة الغضب في صورة الفهد، والصفة السبعية في صورة الأسد وغيره من السباع، والصفة الشهوية في صورة الحمار، والصفة البهيمية في صورة الغنم، والصفة الشيطانية في صورة الشياطين والمردة والغيلان، وصفة المكر والحيلة في صورة الثعلب والأرنب، فإن كان يرى هذه الصفات مستولية عليه، فيجتهد في تطهيره عنها، وإن كانت مسخرة له علم أن ذلك عبوره عن هذه الصفات، وإن يرى أنه يقتل ويقهر هذه الحيوانات علم أنه يستخلص منها، وإن كان في المنازعة والمكابرة معها، فلا يغفل ولا يأمن حتى تنتفي هذه الصور بالكلية.

فصل في أن الوقائع الغيبية غذاء أطفال الطريقة:

غذاء أطفال الطريقة في بعض المقامات(٢) في السلوك، الوقائع الغيبية، فإنها أمور واردات يربى(٣) بها أطفال الطريقة، وبعض المقامات لا يمكن العبور عنها إلا بتصرف الوقائع الغيبية، وهذا هو الركن الأعظم في احتياج المريد إلى الشيخ، وذلك لأن السالك إذا كان سلوكه في وجوده أو في صفات نفسه يمكن له العبور، إذ له أمارات، بها يستدل على الطريق، ولكن إذا بلغ إلى مقام الروحانيات(٤) فلا يمكنه العبور عنها إلا بتصرف الغير، فالواقعة في هذا المقام إذا كانت

المنتقى من مسموعاته بمرو (٨٨-٨٩)، وذكره ابن كثير في البداية (٧ / ١٣١)، وابن الأثير في أسد الغابة (١/ ٤٠٨).

(١) في خد، وك "الشره".

(٢) في خد، وك "في بعض المقامات" ساقطة.

(٣) في خد، ومج "تربى".

(٤) في مج "إلى مقام إذا كانت من فيض الروحانيات".

من فيض ولاية الشيخ أو من حضرة الرسالة أو من تجلي الصفات الإلهية يعطي السالك الفناء، وما لم يحصل الفناء وفناء الفناء لم يصل إلى البقاء، وبقاء البقاء، والتمكن في البقاء الذي هو المراد من السلوك.

ثم اعلم أن الواقعة القلبية والملكية والروحانية والرحمانية لها مذاق تستلذ منها النفس وتجد منها شربا وقوة وذوقا وشوقا وتفارق مالوفات الطبع ومستلذاته، وتألف إلى عالم الغيب والروحانيات واللطائف والأسرار والحقائق، وتوجَّه بالكلية إلى عالم الطلب، ويصيرمشربه عالم الغيب: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾(البقرة: ٦٠).

فصل في ذم الجهلة وأنهم مسخرة للشياطين:

قال بعض الكبار: إن الشيطان إذا وجد جاهلًا ليس له علوم الدين وقد كوشف بشيء من الغيب يضحك عليه ويستهزئ به ويستخفه بحركات عجيبة، كأن يبول عليه ويريه قارورة فيها ماء الورد يرش عليه، وأن اللعين يجعل ذلك الضعيف وسيلة إلى إغواء خلق كثير، ويجعله آلة يضل به جمًا غفيرًا؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ».[1] وهذا معقول، فإن الفقيه وإن كان سفيها كسلان في الطاعة، فإنه يهدي أمة عظيمة بفقهه، وهذا الجاهل يغوي بعبادته ومكاشفته مع جهله خلقًا كثيرًا، وأدنى[2] معاملات الشيطان مع هذا الجاهل أن يغويه أوّلا ويريه أن من تجلى له الحقُ سبحانه في الصور فلما يرى فيصير مجسمًا فيهلك.

فالجاهل إذا رأى في واقعته تجلى الله تعالى في صورة، اعتقد أن الله تعالى ذاته صورة فيصير مجسمًا، مشبّهًا، ثم الشيطان يمنعه من صحبة العلماء والمشايخ الكبار الذين ينبهونه على الحق والباطل، بأن يُسَوِّل له فيقول له: مَن مثلك في العالم حتى ترجع إليه وتقتدي به؟ وهل كان للأنبياء والأولياء[3] مثل ما لك من الصفاء والجلاء؟ يتجلى لك الرب تعالى من غير سؤالك وما تجلى لموسى عليه السلام، حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي﴾(الأعراف: ١٤٣)، ويقول له أيضًا: كيف ترجع إلى عالم أو شيخ عارف، أعرف من الله العظيم الذي ينعم عليك ويربيك بفضله وجوده، أتظن أن الشيخ العارف أعرف بمصالحك وأقوى على تربيتك، وأقدر على عصمتك من شر الشيطان، وأبصر بما يغنيك من الله تعالى العزيزالحكيم البصيرالعليم القوي

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤/ ٣٤٥رقم: ٢٦٨١) وابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٨١ ،رقم:٢٢٢) وفي نسخة د "فقيه".

(٢) في د، ومج "أوفى".

(٣) "والأولياء" زيد من ك، وخد.

المتين الهادي للخلق إلى الحق، ثم إذا قيل ذلك منه قام الشيطان له شيخًا معلمًا، وصارحجابًا بينه وبين الله تعالى، ووضع عرشه بين السماء والأرض، وتجلى له متى شاء واحتجب متى شاء، أراد حتى يغرقه في الضلالة، ثم يزينه عندالناس، ويدعوهم إلى الاقتداء به، فيهلك به خلق عظيم، وهذا أمر مجرب جربه المشايخ ـ رحمهم الله ـ، ثم قالوا: من لا شيخ له فالشيطان شيخه، قال الله تعالى:﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(النحل: ٤٣)، وقال النبي ﷺ:«أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»(١).

وقد حذر الله عباده عن موالاة الشيطان في كثير من الآيات، قال الله تعالى:﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾(فاطر: ٦)، وقال الله تعالى:﴿يَابَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ إلى قوله:﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾(الأعراف: ٢٧) والعجب أنه ما نجا من إلقاء الشيطان أنبياء الله تعالى، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ـ الآية ـ، (الحج: ٥٢) وليس بخفي من حكاية آدم صفي الله ـ عليه السلام ـ، وما عمل به إبليس اللعين، فكيف يأمن الغَمْرُ الغَبِيُّ من آحاد الجهال أن يسخره الشيطان.

فصل فيما يُلقي الشيطانُ الجهَّالَ: الإباحة، والتجسيم، والحلول:

[الإباحة:]

أكثر ما يلقي الشيطان الجهال في الإباحة والتجسيم والحلول، أما الإباحة فإنه يسوِّل لهم أن المقصود هو الوصول إلى مشاهدة الحقيقة، وقد وصلت، فيرتفع التكاليف كما ترتفع بالموت، وربما يلقي إليهم: أنه غني عن طاعتك وإنما كلفك بهذه التكاليف لتطهيرالنفس وحصول الصفاء، وقد حصل حتى ترى بصفاء قلبك الروحانيات، وربما يلقيه في معصية ويريه حالة عصيانه أنوارًا كاذبةً وصورًا مزخرفةً، ثم يقول له أو يلقي في قلبه: إنه الآن زال عنه التكاليف، حتى لا يضره المعاصي، وكل ذلك تخيلات باطلة من الشيطان.

وللنجاة من ذلك أسباب كثيرة عند العلماء، وذلك نحو أن يعلم أن هذه الطائفة أتباع للأنبياء عليهم السلام، وأن الأنبياء ــ عليهم السلام ــ كانوا إلى الله تعالى أقرب منهم وأقوى في مشاهدة الحقائق والأمورالباطنة، ومع هذا ما أخلّو بشيء من الطاعات، ولا تجاسروا على اقتراف من المعاصي، وكذلك يعلم أن ليس في القرآن ولا في أخبار النبي ﷺ (٢)حرف بإباحة

---

(١) سبق تخريجه في " باب في احتياج المريد إلى شيخ كامل ".

(٢) في خد، وك " ولا في الأخبار من النبي ﷺ ".

المحظورات لأحد من الناس في حال من الأحوال، بل القرآن والأخبار وإجماع العلماء ظاهرة غالبة على التشديد، والزجر بالحدود والسياسات على من أهان بشيء من التكاليف وتعظيم الأوامر والنواهي الشرعية، وأمثال ذلك البراهين على بطلان الإباحة كثير عند المشايخ العارفة والعلماء الراسخة.(١)

فصل فيما يلقي الشيطان على السالك شبهة التجسيم:

وأما التجسيم فإنما يريه الشيطان من قبل أنه يريه أن الذي يرى من الصور والأشكال، فذلك عينها ذات الله تعالى، وربما يريه الشيطان نفسه على عرشه بين السماء والأرض، كما ورد في الحديث، فيعتقده ربًّا ويسجد له.

وقد وقع تلك الحادثة لواحد، وهو المؤمّل ـ والله أعلم ـ أنه رأى في برية طريق المصر، الشيطانَ على عرش بين السماء والأرض، فسجد له فظن أنه الرب تعالى، ثم حكى ذلك في بغداد لجماعة من المشايخ، فقالوا: أما ذلك فهو الشيطان، بدليل قول النبي ﷺ: «إن للشيطان عرشًا بين السماء والأرض، وهو يجلس عليه»(٢)ـ الحديث ـ كما ورد، فقام الرجل وأعاد صلاته وجدَّد إيمانه، ثم عاد إلى المكان الذي رآه ولعنه وأنكرعليه، وقال: إنما أنت الشيطان اللعين كفرت بك وآمنت بالله وحده.

وأما النجاة من ذلك فلها وجوه كثيرة عند العلماء الراسخين، وأيضًا من إجماع الأنبياء والأمم الماضية(٣) المؤمنة بالأنبياء، والمشايخ العارفة بالله تعالى على أن الله تعالى منزه ذاته وصفاته عن أن يكون جسمًا أو يشبه بشيء من الأجسام، وأن الأجسام كلها مخلوقة ومحدثة، والله تعالى خالقها قديم أزلي أبدي، وكان أزلًا ويكون أبدًا.

فصل في الحلول وكيف تقع شبهة الحلول على السالك:

وأما الحلول، فاعلم أن الحلول إنما حدث في الإسلام من واقعات الجهلة المتصوفة، ألقى الشيطانُ في قلوبهم الأغلاطَ فغلطوا بها.

وذلك نحو أن يريهم أنهم إنما يرون ما يرون من الروحانيات من بواطنهم، فإذا هو في

---

(١) في ر "العارفين" و"الراسخين" بدل "العارفة" و "الراسخة".

(٢) لم أجده ولكن وورد عن عرش إبليس هو على الماء أو البحر، كما أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٧، رقم: ٢٨١٣) بلفظ: إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة، وأحمد في مسنده (٢٣/ ١١٩، رقم: ١٤٨١٤).

(٣) في د، ومج، وك "العاقلة".

الباطن ضرورة أن[1] ليس في الخارج، والذي في الباطن نفسُه؛ فيكون نفسه ربًّا إذًا، وأيضًا يلقي الشيطان إلى طائفة من أصحاب الأحوال منهم، فإن الحال ربما ينزل[2] فيهم ويغلبهم، ثم إنهم بقوة ذلك الحال يعملون أعمالا خارقة للعادة، وهي الكرامات العيانية، فيخيل الشيطان إليهم أن ذلك الحال الذي نزل فيهم هو الله تعالى، حيث يعمل[3] خوارق العادات.

والنجاة من ذلك أن يعلم أن ذلك تأثير الحال، والحال نظر الله تعالى إليه بما شاء من صفاته عز وجل، فنظر الناظر كنظر الواحد منا إلى الكواكب في السماء.

ومنها: أن يكون السالك بَعْدُ في عالم النفس والهوى، فيرى في المنام أو الحال أنه الرب تعالى فيكون الرؤيا صحيحًا محتاجًا إلى التعبير، وتعبيره أن ذلك الشخص بَعْدُ عبدُ نفسه يحبه ويعمل له ما تحب، فيكون بعدُ ممن اتخذ إلهه هواه، فيرى السالك في الواقعة[4] أنه الرب المعبود له، فيجب عليه أن يجتنب من طاعة النفس والهوى ومن القيام بما يشتهي ويهوى، ويكسرها بالمجاهدة والرياضة، فلا يظن ظان ذلك المحال، فما يرى في المنام أو في الحال فإنه كمثل ما يرى سائر العامة في منامهم، حيث يرى أنه آدم أو نوح أو موسى أو عيسى أو جبرائيل أو ميكائيل من ملائكة الله تعالى، وأنه طير أو سبع وما أشبه ذلك. ويكون لذلك الرؤيا تعبير صحيح، وإن لم يكن كما يرى.

ومنها: أن يكون الصوفي قد جاوز عالم النفس والهوى إلى عالم الحقيقة، ووصل إلى عالم الفناء. وتفسير الفناء عندهم أن لا يرى شيئًا إلا الله، ولا يعلم إلا الله ويكون ناسيًا لنفسه ولكل الأشياء سوى الله تعالى، فعند ذلك يتراءى له أنه الرب، إذ لا يرى ولا يعلم شيئًا إلا هو، فيعتقد أنه لا شيء إلا هو، فيظن أنه هو، فيقول: أنا الحق، ويقول: ليس في الدار إلا الله، وليس في الوجود سوى الله، ويعتقد من يسمع ذلك منه الحلول.

والنجاة من ذلك أن يعلم ويعتقد أن ذلك الحسبان إنما جاء لأنه نسي كل شيء من الدنيا والآخرة، ونسي نفسه وصفاته، وبقي عالمًا بالله تعالى ومشاهدًا له بباطنه، وفي الحقيقة كل شيء موجود باق كما كان، وكينونة الصوفي في مقام الفناء حسن، وأنه مقام رفيع لكن فيه خطر الغلط من هذا الوجه.

ومنها: أن يبلغ الصوفي إلى مقام، كل شيء نظر فيه، رآى الله تعالى. وهذه مشاهدة معرفة، ومن هنا قال بعضهم: ما رأيتُ شيئًا إلا ورأيتُ اللهَ فيه، وروي: إلا ورأيتُ اللهَ قبله، وقال منشدًا:

---

(١) في ك، وخد "إذ" بدل "أن".

(٢) في ك، وخد "يتنزل".

(٣) في ك، وخد "تعمل".

(٤) في ك، وخد "في الواقعات" مكان "في الواقعة"، وكلمة "السالك" ساقطة.

وَأيُّ البرِّ تخلو منك حتى	تعالوا يطلبونك في السماء
تراهم ينظرون إليك جهرًا	وهم لا يبصرون من السماء

والنجاة من ذلك أن يعلم أنه إنما رأى حجاب العظمة والكبرياء بكل مكان، ويعلم أنه تعالى بكل شيء محيط وإلى كل شيء قريب، ﴿لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾(سبأ: ٣) مع أنه تعالى بائن عن خلقه، والخلق بائنون منه، فيستحيل حلوله في شيء أو حلول شيء فيه، ولا يجاوزه شيء ولا يجاوز هو شيئا قط ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(الحديد: ٤)، و﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾(البقرة: ١١٥) يحفظ ولا ينسى، فإن هذه الدرجة فيها آفة غلط الحلول. والأصل في النجاة من ذلك قد مر ذكره من قبل، ومن اتفاق الأنبياء والأولياء والعلماء على خلاف الحلول، وكذلك المشايخ العارفون بالله تعالى وصفاته عز وجل يعلمون مشاهدة أنه تعالى بائن عن خلقه، غير داخل في الخلق.

ومن الفصل:"قال بعض الكبار: الشيطان إذا وجد جاهلًا..." إلى هنا كلام الشيخ الديلمي رحمه الله.

فصل في شرف هذه الأمة المرحومة:

قال الله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾- الآية- (آل عمران: ١١٠)، وقال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(البقرة: ١٤٣) أي عدلًا.

اعلم أن هذه الأمة – زادها الله تعالى شرفًا- لا يزال الولاية ثابتة فيها إلى يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم خذلان من خذلهم»[١]، وجملة العلماء على أنهم حملة العلم، وقد دعا لهم النبي ﷺ فقال: «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»[٢]، وجعلهم عدولا، فأمرهم بالتبليغ عنه، فقال ﷺ:«ليبلغ الشاهد منكم الغائب»[٣]، وخيرها ما قال النبي ﷺ: «خيركم قرني ثم الذين يلونهم»[٤].

وحكي أن إبراهيم عليه السلام وجد في الصحف فضيلة هذه الأمة، فقال: يا رب اجعلهم من أمتي، فقال: لا أفعل، فإنهم من أمة محمد ﷺ، فقال: يا رب اعطني لسان صدق منهم، فوضعه الله تعالى في الصلاة في التحيات. وهكذا رأى موسى عليه السلام وصف هذه الأمة

---

(١) سبق تخريجه في "فصل في علوم الشريعة".

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/ ٣٤، رقم: ٢٦٥٨) بلفظ: «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها» والحديث مشهور عند المحدثين.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب (١/ ٣٣، رقم:١٠٥).

(٤) سبق تخريجه في "فصل في الاعتقاد الصحيح".

ومدائحهم في التوراة فقال: اللهم اجعلهم من أمتي، فقال: لا أفعل، فإنهم من أمة محمد ﷺ، فقال: إن لم تجعلهم من أمتي اجعلني منهم، فقال: يبعد ظهورهم ولا تلحقهم ولا تصل إليهم. وهكذا رأى عيسى عليه السلام فضائلهم في الإنجيل، فقال: اللهم اجعلهم من أمتي، فقال: لا أفعل، وهم أمة أحمد ﷺ، فقال عيسى عليه السلام: إن لم تجعلهم من أمتي اجعلني منهم، فرفعه الله إلى السماء ليرده إلى الأرض في آخر الزمان ليكون من هذه الأمة.

فصل في تعريف الصحابي، والتابعي، والولي:

أما الصحابي ففيه مذهبان، أحدهما: أنه كل مسلم رأى النبي ﷺ وإن لم يجالسه ولم يخالطه. والثاني: أنه يشترط مجالسته، فهذا مقتضى العرف.

وأما التابعي، ففيه أيضًا مذهبان، أحدهما: أنه من رأى الصحابي، والثاني: أنه الذي جالس الصحابي.

وأما الولي، فقال الله تعالى:﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾(البقرة: ٢٥٧)، قال بعضُ الكبار: الولاية ولايتان، ولاية تخرج من العداوة، وهي لعامة المؤمنين، فيقال: المؤمن ولي الله، يريد بالولاية التي تخرج من العداوة، وقال الله تعالى:﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾(البقرة: ٢٥٧)، والعداوة وهي عداوة الكفر، والمؤمنون هم الذين عبادتهم متواترة وطاعتهم متوالية من غير فتور ولا قصور.

وأما تعريف الولي الخاص، فقد سئل النبي ﷺ: من أولياء الله تعالى؟ قال: "الذين إذا رؤوا ذكر الله"، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء(١). وفي الخبر الإلهي قال الله تعالى: إن أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم(٢).

وقال في حقائق السلمي: قال عيسى عليه السلام: جالسوا من يذكركم الله رؤيته، ويرغبكم في الآخرة. وهذه الولاية ولاية اختصاص واصطفاء(٣).

---

(١) (١/ ٦).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، عن عمرو بن الجموح (٢٤/ ٣١٦، رقم: ١٥٥٤٩) أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا يحق العبد حق صريح الإيمان حتى يحب لله، ويبغض لله، فإذا أحب لله، وأبغض لله، فقد استحق الولاء من الله، وإن أوليائي من عبادي، وأحبائي من خلقي الذين يذكرون بذكري، وأذكر بذكرهم"، والطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٠٤، رقم: ٦٥١)، الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل/ ١٠٣ (٢/ ٤١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦).

(٣) تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، تحت الزمر:١٨ (٢/ ١٩٥).

فصل في القطب:

قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه»[1]، قال بعضهم: هذا الحديث يؤذن بوجود أولياء الله الخواص[2]، وإن بساط النبوة وإن طُوِي، لكن لم يطو بساط الولاية.

اعلم أن القطب وهو الغوث، عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان، وهو[3] على قلب سيدنا محمد ﷺ. ثم اعلم أن من زعم أن القطب يساوي النبي في الدرجة عند الله فقد أخطأ خطأً عظيمًا، وألحد بجهله وحماقته، ولا يعلم أن النبي فوق مقام القطب، فالنبي نبي في مقام النبوة، والقطب قطب في مقام القطبية.

والقطب إن كان قطبا ليس بنبي، وإن النبي صاحب الشريعة، والقطب ليس بصاحب الشريعة، والأقطاب والأوتاد والأبدال كلهم أتباع النبي في أوامره ونواهيه، وإن جمهور الأقطاب والأوتاد والأبدال مع سائر المؤمنين الذين هم أمة نبي واحد، لو جمع الكل بفضائلهم ودرجاتهم ثم أغرقوا في بحر نبوة نبيهم ضاعوا فيها وتلاشوا، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بترهات الجهال، فينسلخ من دينه فيهلك، والله ولي العصمة.

والدليل على ذلك أيضًا أن النبي إنما سُمِّي نبيًا، لارتفاع قدره على غير النبي، والأنبياء هم الأشراف الكبراء، المشرَّفون بأقدارهم ومقاديرهم على سائر من سواهم من الناس، قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا، وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾(مريم: ٥٦-٥٧)، يعني رفعناه إلى أعلى عليين في حياته، وقال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ (آل عمران: ٥٥) من الذنوب، ثم رافعك إلى عالمي، وقال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾(الزخرف: ٣٢) يعني رفعنا الأنبياء على الأولياء، والأولياء على عامة المؤمنين، والمؤمنين على الكافرين، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ،فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٤، ٥٥) وهذا نص ظاهر في هذا المعنى، وقال الله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾(النجم: ١٠)، أي ألقى إليه الأسرار بلا واسطة، ولا يعلم بها أحد غيره ولا غير الإله، وقال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾(النجم: ١١) أي ما كذب القلب ولا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين (٤/ ٢٠٢، ٢٦٢٢).

(٢) في ك، وخد "بوجود الأولياء الخاص".

(٣) في ك، وخد "خُلق" زيادة.

ارتاب فيما رأى العين بالعين عيانًا، وشاهد بالبصر ربه كفاحًا، وقال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾(النجم: ١٢) يعني أفتشكون على ما رأى محمد ﷺ من ذات ربه وصفاته تعالى، فلا تشكوا في هذه رؤية النبي ﷺ ربه عز وجل بعين الرأس معاينة وكفاحًا، وقد رآه تعالى مرة أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (النجم: ١٣)أي معراجًا ثانيًا، رآه ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾(النجم: ١٤) أي كان محمد ـ ﷺ ـ عند سدرة المنتهى، حين رآه رؤية أخرى، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾(النجم: ٨)، قال ابن عباس رضي الله عنه: هو محمد ﷺ دنا -أي- قرب، فتدلَّى -أي[1]- زاد في القرب.

وقال بعض الكبار: دنا؛ قرب فتدلى، أي تكشف الحجاب حتى وصل إلى غيره من الحجاب، فما زالت الحجب تتدلى عن محمد ﷺ، حتى وصل إلى ما أشار إليه من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾(النجم: ٩) أي كان يدنوه قريبًا، كقرب قاب قوسين يعني مقدار قوسين، وقاب قوسين موضع الإشكال، أشكل ليتبين العارف ويهلك الجاهل. والتدلي: التكشف. ثم رفع ما بقي من الحجب[2] فصار دنا وقرب، وهو القرب الذي يظنه بعض الناس حلولًا وليس ذلك إلا رفع الحجاب عن سيدنا محمد ﷺ.

فصل في سير ذات النفس:

إنما يكون ذلك بعد ما صارت النفس مطمئنة نورانية مثل الشمع فالآن لها سير بشعاعها في عالم الروحانيات، وإنما ثمرة سير النفس أن تكبر وتعظم وإنما تكبر النفس وتعظم بمقدار سيرها، وسيرها موقوف على المراقبة والحضور والتواضع والتذلل بين يدي الله، والعبودية، والانطواع والتسليم، والأحاديث في ذلك كثيرة.

قال النبي ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله»[3]، وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: أتدري لِمَ كلّمتك بين الخلائق، قال: يا رب لا، قال: رأيتك تتمرغ في التراب بين يدي تواضعًا، فأردت أن أرفعك بين الناس.

(١) "أي" زيد من المحققين في الموضعين.

(٢) في ك، وخد "الحجاب".

(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٢١٩، رقم: ٣٣٥) و البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٤٥٥، رقم: ٧٧٩٠) بلفظه وأخرجه أيضًا ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع (٥/ ٢٧٤، رقم: ٤١٧٦) بلفظ: «من يتواضع لله درجة يرفعه الله به درجة» ، ومسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع (٤/ ٢٠٠١، رقم: ٢٥٨٨) بلفظ: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».

وعن أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تستحقرن أحدًا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير»[1].

وعن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من بني آدم إلا في رأسه سلسلتان: سلسلة في السماء السابعة، وسلسلة في الأرض السابعة، فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة إلى السماء السابعة، وإذا تكبر وضعه الله تعالى بالسلسلة إلى الارض السابعة»[2].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: من لان في حقي وتواضع لي ولم يتكبر في أرضي رفعته حتى أجعله في عليين»[3].

وأمثال ذلك كثيرة كلها تدل على أن نفوس الإنسان لها اختيار في السير، وفي تزكية النفوس قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(الشمس: ٩) أي زكاها بسيف مخالفة[4] هواها، وأن نفس الإنسان بالسير يصير نورانيًا؛ ولذلك قال الله تعالى في حق النبي ﷺ: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(المائدة: ١٥)، وأراد بالنور: النبيَّ ﷺ، وبالكتاب القرآنَ، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا،وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(الأحزاب: ٤٦)، والمنير هو المنوِّر، فلو استحال أن يكونَ الإنسان منوِّرًا لغيره لاستحال في النبي ﷺ أيضًا، لأنه خُلِق من التراب كسائر أولاد آدم عليه السلام.

وقد وصل إلينا متواترًا أنه لم يكن للنبي ﷺ ظلٌّ على الأرض، وإنما لم يكن لأن نور ذاته عليه السلام كان يمنع وقوع ظله على الأرض، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ﴾(المائدة: ١٥)، نص على أنه عليه السلام نور. وقال الله تعالى في حق المؤمنين: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾(الحديد: ١٢) إلى قوله تعالى حكاية عن المنافقين ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾(الحديد: ١٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾(التحريم: ٨). فالله تعالى أخبر أن نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يعني نور ذاتهم نوّر العالم بين أيديهم

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس (٥/ ٣٠٢، رقم: ٨٢٥٦).

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٠/ ٤٥٧، رقم: ٧٧٩٢) وابن شاهين (المتوفى: ٣٨٥هـ) في الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك (ص: ٧٩، رقم: ٢٣٤)، و الخرائطي في مساوئ الأخلاق، باب ما جاء في ذم العجب (ص: ٢٥٩، رقم: ٥٥٧)

(٣) أخرجه أبو نعيم عن أبي هريرة كما في الإتحافات السنية (ص:٦٨) وابن أبى حاتم فى العلل (٢/ ١٤٢، رقم: ١٩٢١).

(٤) في ك "مخالفتها".

وبأيمانهم. وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى خلقني من نوره، وخلق المؤمنين من نوري»[1]، وقال ﷺ في دعائه: «اللهم اجعل في سمعي نورا، وفي بصري نورًا، وفي قلبي نورًا، واجعلني نورًا»[2]، فلو كان محالا أن يصير نفس الإنسان نورًا مضيئًا، لما قال ﷺ: «اللهم اجعلني نورًا».

وقيل: إنما سُمِّي أبوالحسين النوري[3] نورا، لأنه رأى ذلك منه كثيرًا، وكثير من الخواص والعوام يرون ارتفاع الأنوار من مقابر الصلحاء والشهداء، وذلك نور نفس الإنسان لما علا وغلب، سرى[4] إلى البدن، وصار طبعًا ومزاجًا للبدن، فإذا خرج النفس من البدن بقي البدن منبع الأنوار ومنفذها، كما كان حالة الحياة.

فصل في فائدة حفظ عبودية النفس:

على العبد حفظ عبودية نفسه ومراقبته إياها وأن لاينساها لحظة، فإن ارتكاب ذلك كسب العبد أي حفظ العبودية[5] وفضل الله تعالى، وجُوده، والتوفيق للسير والهداية إليه موقوف على انقياد العبد وارتكابه للعبودية طوعًا ورغبةً، فكثير من الناس تجادلوا وتكاسبوا فرفعهم الله إلى أعلى عِلِّيين، وألحقهم بالملائكة والنبيين عليهم السلام، وكثير من الناس تكاسلوا في ذلك، فأنزلهم كسلهم ذلك في الدرك الأسفل من النار. وارتكاب العبودية والانقياد لها والفرح والسرور بها، شرط أعلى وأهم في تنوير النفس.

فصل في التمرغ:

والتمرغ -المذكور في الحديث- هو تمرغ النفس والروح في عالم الأرواح في التراب الروحاني،

---

(١) لم أجده بلفظه ولكن حديث أول ما خلق الله النور المحمدي أورده العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٠٢،رقم:٨٢٧)، والزرقاني في المواهب اللدنية (١/ ٨٩) ولكن معظم العلماء أنكروا عليه مع أنه مشهور ومقبول عند سادات الصوفية.

(٢) أخرجه البخاري صحيحه ، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل (٨/ ٦٩، رقم: ٦٣١٦) ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٢٨، رقم:٧٦٣) ولفظهما بفرق يسير: «اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا، وفي بصري نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، وأمامي نورا، وخلفي نورا، وفوقي نورا، وتحتي نورا، واجعل لي نورا»، أو قال: «واجعلني نورا».

(٣) في جميع النسخ "أبو الحسن" والصحيح ما أثبتناه، والله أعلم.

أبو الحسين النوري: (٢٩٥ هـ = ٩٠٧ م) أحمد بن محمد البغوي النوري، المعروف بـ "ابن البغوي" من أجل مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلامًا، صحب سري السقطي، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن علي القصاب، وكان من أقران الجنيد. وقال أبو أحمد المغازلي: «ما رأيت أعبد من النوري، قيل: ولا الجنيد؟ قال: ولا الجنيد.

(٤) في ك، وخد "يسرى".

(٥) زيدت من د.

وهذا التمرغ كسب العبد، وهذه الحرفة إنما يعلمها من كان في عالم الأرواح، ومن أراد أن يتعلم ذلك فإنما يتعلم ممن كان منهم ماهرًا في التمرغ في ذلك التراب، وموسى عليه السلام كان يتمرغ كل يوم مرة، ولما ارتفع في المعاريج كان يتمرغ كل يوم ألف مرة، فكلما كان ذات الإنسان وصفاته أعلى وأعظم وأصفى كان هو أعبد، وأحمد، وأحسن أدبًا، وأخلص عبودية.

فقال الشيخ أبو سعيد أبو الخير[1] رحمه الله تعالى: العلم النافع ما أورث صاحبه تواضعًا بعد التكبر، وعزلةً بعد الخلطة، وزهدًا بعد الرغبة، فأما إذا أثمر لصاحبه تكبرًا بعد التواضع، وذكرًا بعد الخمول، وشهرة بعد العزلة، فذلك العلم الذي استعاذ منه رسول الله ﷺ بقوله: «أعوذ بك من علم لاينفع»[2].

وقال رحمه الله: المعرفة طريقةٌ، بدايتها: نجوم زاهرة، ووسطها: أقمار باهرة، ونهايتها: شموس ظاهرة.

ونختم بهذه الآية الكريمة، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ،ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُون،مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُون﴾(الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧)ـ نبَّهَنا اللهُ وإيَّاكم عن نومةِ الغَافلين ـ.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على خير خلقه سيِّدنا محمد في الأولين والآخرين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.[3]

تمت الرسالة التي أُلِّفَت في مكة – شرفها الله تعالى –، ولكن استدركت بمدينة دمشق المحروسة، وزيدت فيها مسائل وفوائد لم تكن من قبل، فهذه تذكرة من واعظ لا يتعظ، ونصوح

---

(١)**أبو سعيد أبو الخير**: (٤٤٠هـ)أبو سعيد الفضل بن أبي الخير الميهني، من كبار مشايخ الصوفية، الملقب بشيخ الوقت، صاحب الكرامات الباهرات، يعتبر أول من وضع أسس التصوف وأنشأ فكرة المدارس والخانقاهات، أقام في نيسابور وتوفي كوالده في ميهنة.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٨، رقم: ٢٧٢٢).

(٣) كلمات الدعاء فيها تقديم، وتأخير، وسقوط في بعض النسخ، فجمعناها كلها وأثبتناها في هذه النسخة التي بين أيديكم.

وإلى هنا انتهت الرسالة في معظم النسخ إلا في ر، ومج زادت عبارة ما بعدها.

وفي ر زيادة من الناسخ: "والحمد لله، وصلاته على محمد وآله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، في يوم الأحد وقت الضحى، السادس والعشرين من شوال سنة ثلاث وثمانين وسبع مائة". والشيخ قطب الدين الدمشقي قدس الله سره توفي سنة ٧٨٠هـ كما حققها الأستاذ الفاضل ضياء الرحمن العليمي.

تم التحقيق والتخريج والتعليق بحمد الله وكان من فضل الله أن وفقنا لهذا العمل الجليل، ونسأل الله تعالى أن يرزقنا التوفيق للمزيد بمثل هذه الأعمال، وهو الموفق والميسر لكل عسير، نعم المولى ونعم النصير.

لا يقبل، ومصاب قد امتحن ببصره، فلا يرى طريق رشده ويعرف خطأ ما هو عليه، ولكن أقعده قعود الشقاء من المسير إلى طريق رشده

وما يُغنِي العقابَ عيانُ صيدٍ إذا كانَ العقابُ بلا جناحِ

جمع الله بيننا وبين الأبرار في دار القرار، وأعاننا على كل خير، وأعاذنا من كل شر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*****

قائمة المصادر والمراجع

١. الآثار المرفوعة، عبد الحي اللكنوي، مكتبة الشرق الجديد، بغداد
٢. الإبانة الكبرى، ابن بَطَّة العكبري، دار الراية، الرياض
٣. اتحاف السادة المتقين، مرتضى الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
٤. الإتحافات السنية، زين الدين المناوي، دار ابن كثير، دمشق
٥. الإتقان، السيوطي، دار الفكر، لبنان،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م
٦. الإحكام، ابن حزم الأندلسي، دار الحديث، القاهرة،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
٧. إحياء علوم الدين، محمد الغزالي، دار االمعرفة، بيروت
٨. الأربعين، أبو سعد النيسابوري، البرنامج جوامع الكلم، المخطوط
٩. الأسماء والصفات، البيهقي، مكتبة السوادي، جدة
١٠. أسنى المطالب، محمد درويش الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م
١١. الاعتقاد والهداية، البيهقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت،١٤٠١هـ/ ١٩٨٠
١٢. أمالي، ابن بشران، دار الوطن، الرياض،٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م
١٣. بحر الفوائد، أبو بكر الكلاباذي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م
١٤. البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت
١٥. مسندالحارث/ زوائد الهيثمي، الحارث بن أبي أسامة / نور الدين الهيثمي، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ، المدينة المنورة،١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م
١٦. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢ م
١٧. تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر ، بيروت،١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م
١٨. تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العِراقي، ابن السبكى، الزبيدي، دارالعاصمة، الرياض
١٩. الترغيب في الدعاء، عبد الغني المقدسي، دار ابن حزم ، بيروت
٢٠. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م
٢١. تهذيب الكمال، المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م
٢٢. التمهيد، ابن عبد البر، وزارة عموم الأوقاف، المغرب،١٣٨٧ هـ
٢٣. التيسير، عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
٢٤. الثقات، ابن حبان، دار الفكر، لبنان،١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م

٢٥. جامع بيان العلم وفضله، ابن رجب الحنبلي،دار ابن الجوزي،السعودية،١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤
٢٦. حلية الأولياء، أبو نعيم، السعادة، القاهرة،١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م
٢٧. حديث خيثمة، خيثمة الأطرابلسي، دار الكتاب العربي ، بيروت،١٤٠٠هـ
٢٨. الدرر المنتشرة، السيوطي، جامعة الملك سعود، الرياض
٢٩. دلائل النبوة، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م
٣٠. رد الإمام الدارمي، أبو سعيد الدارمي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٣٥٨هـ
٣١. رياض الصالحين، النووي، دار ابن كثير، بيروت،١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م
٣٢. الزهد، أحمد بن حنبل، دار الريان للتراث، القاهرة،١٤٠٨هـ
٣٣. الزهد، ابن أبي عاصم، دار الريان للتراث، القاهرة،١٤٠٨هـ
٣٤. الزهد الكبير، البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت،١٩٩٦م
٣٥. الزهد، والرقائق، ابن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت
٣٦. الزهد، هناد بن السري، دار الخلفاء، الكويت،١٤٠٦هـ
٣٧. الزهد، وكيع بن الجراح، مكتبة الدار، المدينة المنورة،١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م
٣٨. سنن ابن ماجه، ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية
٣٩. سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، مصطفى البابي الحلبي، مصر،١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م
٤٠. سنن الدارمي، الدارمي، دار المغني، السعودية،١٤١٢ هـ/ ٢٠٠٠م
٤١. السنن الصغير، البيهقي، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان،١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م
٤٢. السنن الكبرى، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م
٤٣. شرح المواهب اللدنية، الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م
٤٤. شروح سنن ابن ماجه:(١) مصباح الزجاجة، للسيوطي،(٢)إنجاح الحاجة، لعبد الغني المجددي، (٣)حل اللغات وشرح المشكلات، للكنكوهي، قديمي كتب خانة – كراتشي
٤٥. شعب الإيمان، البيهقي، مكتبة الرشد ، بومباي، الهند،١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م
٤٦. صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م
٤٧. صحيح البخاري، دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ
٤٨. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٤٩. العزلة، الخطابي، المطبعة السلفية، القاهرة،١٣٩٩هـ
٥٠. عمل اليوم والليلة، ابن السنيسنة، مؤسسة علوم القرآن، جدة

٥١. عمل اليوم والليلة، النسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٦هـ
٥٢. عوارف المعارف، السهروردي، المكتبة العلامية بجوار الأزهر،١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩م
٥٣. الكامل في الضعفاء، ابن عدي، دار الفكر، بيروت،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م
٥٤. الضعفاء الكبير، العقيلي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
٥٥. الفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي، دار الفكر، بيروت
٥٦. الفرج بعد الشدة، ابن أبي الدنيا، دار الريان للتراث، مصر،١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م
٥٧. مسند الفردوس، الديلميّ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م
٥٨. فضائل الصحابة، ابن أسد الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م
٥٩. الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي، السعودية،١٤١٧هـ
٦٠. الفوائد الجليلة، ابن عقيلة، البشائر الإسلامية، بيروت،١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م
٦١. فوائد أبي بكر النصيبي، أبو بكر النصيبي، برنامج جوامع الكلم،(مخطوط)/ ٢٠٠٤م
٦٢. فيض القدير، المناوي، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر،١٣٥٦هـ
٦٣. كتاب التوحيد، أبة بكر السلمي، مكتبة الرشد، السعودية،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
٦٤. كشف الخفاء، العجلوني، المكتبة العصرية،١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م
٦٥. كشف الكربة، ابن رجب الحنبلي، الفاروق الحديثة،١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م
٦٦. الكفاية، الخطيب البغدادي، المكتبة العلمية، المدينة المنورة
٦٧. كشف الأستار، نور الدين الهيثمي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م
٦٨. اللآلى المصنوعة، السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م
٦٩. اللآلي المنثورة، الزركشي، المكتب الإسلامي
٧٠. اللمع، أبو نصر الطوسي، دار الكتب الحديثية، مصر،١٣٨٠هـ
٧١. اللؤلؤ المرصوع، أبو المحاسن القاوقجي، دار البشائر الإسلامية، بيروت،١٤١٥هـ
٧٢. المجالسة، أبو بكر الدينوري، دار ابن حزم، بيروت،١٤١٩هـ
٧٣. المجروحين، أبو حاتم، دار الوعي، حلب
٧٤. مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة،١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م
٧٥. المحبة لله سبحانه، أبو إسحاق الخُتَّلِيُّ، دار الحضارة ، الرياض،١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م
٧٦. المدخل، البيهقي، دار الخلفاء، الكويت
٧٧. مساوئ الأخلاق، أبو بكر الخرائطي، مكتبة السوادي، جدة،١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م

٧٨. المستدرك، الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١١هـ/ ١٩٩٠م
٧٩. مسند الطيالسي، أبو داود الطيالسي، دار هجر، مصر،١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م
٨٠. مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، دمشق،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
٨١. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م
٨٢. مسند ابن راهويه، إسحاق بن راهويه، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة،١٤١٢هـ/١٩٩١م
٨٣. مسند البزار، أبو بكر البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة،١٩٨٨-٢٠٠٩م
٨٤. مسند الشهاب، القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م
٨٥. المصنف، ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد، الرياض،١٤٠٩هـ
٨٦. المصنف، عبد الرزاق، المجلس العلمي، الهند،١٤٠٣هـ
٨٧. المطالب العالية، ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة، السعودية،١٤١٩هـ
٨٨. المعجم، ابن المقرئ، مكتبة الرشد، الرياض،١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م
٨٩. المعجم الأوسط، الطبراني، دار الحرمين، القاهرة
٩٠. المعجم الصغير، الطبراني، المكتب الإسلامي، دار عمار،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
٩١. المعجم الكبير، الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة
٩٢. المغني، العراقي، مكتبة طبرية، الرياض،١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م
٩٣. مفتاح دار السعادة، الزرعي، دار الكتب العلمية، بيروت
٩٤. المقاصد الحسنة، السخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م
٩٥. المنتخب، بن نصر الكَسّي، مكتبة السنة، القاهرة،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
٩٦. المنتقى، المقدسي،مخطوط
٩٧. موطأ مالك، مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م
٩٨. المنهاج، النووي، دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٣٩٢هـ
٩٩. الموضوعات، ابن الجوزي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة،١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨م
١٠٠. نزهة المجالس، عبد الرحمن الصفوري، دار المحبة، بيروت،٢٠٠٢م
١٠١. نوادر الأصول، الحكيم الترمذي، دار الجيل، بيروت

****

المحتويات

****